

مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الخامس والسبعون

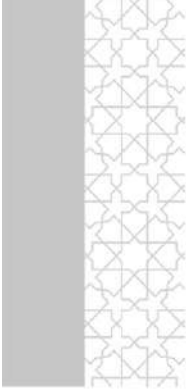
ربيع الآخر ١٤٤٦هـ

(الجزء الأول)

رقم الإيداع: ٣٥٦٣ / ١٤٢٩ بتاريخ ١٩ / ٠٦ / ١٤٢٩ هـ
الرقم الدولي المعياري (ردم) ٤١٩٨ - ١٦٥٨







المشرف العام
الأستاذ الدكتور / أحمد بن سالم العامري
معالي رئيس الجامعة



نائب المشرف العام
الدكتور / نايف بن محمد العتيبي
وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي



رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور / خالد بن سليمان القوسي
الأستاذ في قسم علم اللغة التطبيقي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



مدير التحرير
الأستاذ الدكتور / محمد بن سعيد بن إبراهيم اللويحي
الأستاذ في قسم الأدب والبلاغة والنقد – كلية اللغة العربية



أعضاء هيئة التحرير

- أ.د. سعد بن عبدالعزيز مطلوح
الأستاذ في قسم اللسانيات - جامعة الكويت
- أ.د. محمد بن إبراهيم القاضي
الأستاذ في قسم اللغويات العربية - جامعة تونس
- أ.د. محمد بن نافع بن بداح المضياني العنزي
الأستاذ في قسم علم اللغة التطبيقي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- أ.د. عبد العزيز بن صالح بن عبد الله بن دجيلج
الأستاذ في قسم الأدب والبلاغة والنقد - كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- أ.د. طاهر عبدالحى شبانه
الأستاذ في قسم النحو والصرف - جامعة كفر الشيخ
- أ.د. خالد بن محمد بن سليمان الجمعة
الأستاذ في قسم اللغة العربية - جامعة القصيم
- د. عبدالرحمن بن إبراهيم الجريد
أمين تحرير مجلة العلوم العربية

قواعد النشر

مجلة العلوم العربية مجلة علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتُعلن بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً: يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

- ١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .
- ٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتمدة في مجاله .
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .
- ٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .
- ٥- ألا يكون قد سبق نشره .
- ٦- ألا يكون مستقلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أم لغيره .

ثانياً: يشترط عند تقديم البحث :

- ١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية (مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .
- ٢- أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (A 4) .
- ٣- أن يكون حجم المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش حجم (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرداً) .
- ٤- يرسل الباحث بحثه إلى منصة المجلات الإلكترونية (<https://imamjournals.org>) مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة.

ثالثاً: التوثيق :

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .
 - ٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .
 - ٣- توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .
 - ٤- ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .
- رابعاً: عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .
- خامساً: عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .
- سادساً: تُحْكَم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.
- سابعاً: لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .
- عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢ - ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - فاكس (٢٥٩٠٢٦١)

www. imamu.edu.sa

E.mail: Arabicjournal@imamu.edu.sa

المحتويات

١٣	موقفُ ابنِ مالكٍ في شرحي (التسهيل) و(الكافية الشافية) من آراءِ ابنِ برّهان النحويّةِ في شرحه على اللُّمع دراسةٌ نحويّةٌ تحليلية د. صالح بن مطلق بن سعد المالكي
١١٦	التعبيرات الاصطلاحية في معجم المكنز الكبير دراسة في الجمع والوضع والتعريف د. فاطمة بنت عبد العزيز العثمان
١٦٣	دراسة الشواهد البلاغية مناهجها واتجاهاتها د. حمد بن عبد الله بن سعد العوفي
٢٤٥	سرد سيرة الذات في الترجمة الأدبية قلاند العقبان للفتح بن خاقان أنموذجاً د. ياسر بن غازي الطيب
٣٠٥	البطل الإشكالي في خبر نبّاشة القبور للقاضي أبي علي التَّنُوخي د. أسماء بنت صالح المبارك

**موقفُ ابنِ مالكٍ في شرحِ (التسهيل) و(الكافية الشافية) من أراءِ ابنِ
برهان النحويةِ في شرحه على اللُّمع دراسةً نحويةً تحليلية**

د. صالح بن مطلق بن سعد المالكي

أستاذ اللغة العربية المساعد بقسم الدراسات العامة

بكلّيات ومعاهد الهيئة الملكية بينبع



موقف ابن مالك في شرحي (التسهيل) و(الكافية الشافية) من آراء ابن برهان النحوية في شرحه على اللمع دراسة نحوية تحليلية

د. صالح بن مطلق بن سعد المالكي
أستاذ اللغة العربية المساعد بقسم الدراسات العامة بكليات ومعاهد الهيئة الملكية بينبع

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤٥/١١/٥ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤٤٦/٢/١٤ هـ

ملخص الدراسة:

تناول هذا البحث موقف ابن مالك في شرحي (التسهيل) و(الكافية الشافية) من آراء ابن برهان النحوية في شرح اللمع، ودراسته دراسة نحوية تحليلية، وتكمن أهمية البحث في الجمع بين علمين من أعلام اللغة والنحو، ويهدف إلى جمع آراء ابن برهان النحوية في كتابي: شرح التسهيل، وشرح الكافية الشافية، وبين موقف ابن مالك منها، ثم مناقشتها، ودراستها دراسة نحوية تحليلية، وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، واقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في مقدمة، وتمهيد، ترجمت فيه للعالمين الجليلين، ثم ثلاثة مباحث للدراسة، تناول المبحث الأول: موافقات ابن مالك لابن برهان، وفيه سبع مسائل، وتناول المبحث الثاني: اعتراضاته عليه، وفيه سبع مسائل كذلك، وتناول المبحث الثالث: تحليل موقف ابن مالك من آراء ابن برهان، وفيه ثلاثة مطالب، ثم خاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، التي منها: تناغم الفكر النحوي بين ابن برهان وابن مالك، حيث اتفقا في عديد من الآراء والاختيارات، ومنها أيضاً: أهمية شرح اللمع لابن برهان بالنسبة لابن مالك، حيث يُعد من المصادر النحوية المهمة التي اعتمد عليها ابن مالك، وهذا يتجلى بوضوح من خلال النقول المتعددة التي نقلها من ذلك الشرح.

الكلمات المفتاحية: موقف - ابن مالك - ابن برهان - شرح اللمع.



Ibn Malik's Elaborations on Ibn Burhan's Sharh Al-Luma'a as Revealed in

Ibn Malik's Sharh Al Tas-heel and Sharh Al Kafiah Alshafiah: A

Grammatical Analytical Study

Dr. Saleh bin Mutleq bin Saad Almaleki

Associate Professor of Arabic – Department of General Studies- Colleges and
Institutes of Royal Commission – Yanbu

Abstract:

This research dealt with of Ibn Malik's attitude in Sharh Al Tas-heel and Al Kafiah Alshafiah on the views of Ibn Burhan as stated in Sharh Al Luma'a. The importance of the research lies in the combination of two eminent scholars of language and grammar. It aims to collect the views of Ibn Burhan in his books: Sharh Al Tas-heel and Sharh Al Kafiah and pointing out Ibn Malik's attitude towards them then discussed objectively. The research relied on both the descriptive and the analytical approaches.

The research is divided into an introduction and a preface which provides brief biographies of both scholars. This is followed by three sections. The first section deals with the of Ibn Malik's approval to Ibn Burhan, which has seven issues, the second deals with Ibn Malik's objections to Ibn Burhan's views, and the seven issues as well; the third deals with Ibn Malik's the analysis of the position of the views of Ibn Burhan. This last section has three subsections.

The conclusion states the findings of the research, most notably, the harmony of grammatical thoughts between Ibn Burhan and Ibn Malik, as they agreed on many opinions and choices including the importance of Sharh Al-Luma'a by Ibn Burhan for Ibn Malik, one of the important grammatical sources that he relied on. This is shown through the multiple quotes that he conveyed from that explanation..

Keywords: Attitude - Ibn Malik - Ibn Burhan – SHARH AL-LUMA'A

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن دراسة العلاقات النحوية بين النحاة، تأثيراً وتأثيراً، وموافقةً ومخالفةً، ثم تحليل تلك العلاقات، لهي من أهم المجالات التي تُثري الدرس النحوي؛ حيث إنَّ تعدد الآراء والمذاهب، وتنوع المدارس، من عوامل تطور العلوم وتوسعها، ولا سيما علم العربية، إذ ما فتى علماء النحو منذ نشأته يتعقب بعضهم بعضاً، فيتفقون ويختلفون، ويؤيدون ويعترضون، فجاءت آراؤهم متعددة، وأضحّت مذاهبهم متنوعة، ولكل أدلته وأقيسته التي يعتمد عليها في أحكامه النحوية.

وإنَّ من العلماء البارزين في ذلك الفن: العالم الفذَّ ابنَ برهانٍ العُكْبَرِي (ت: ٤٥٦هـ)، صاحب كتاب شرح اللُّمَع، الذي يُعدُّ من أهمِّ شروح لُمَع ابنِ جني؛ لما أودع فيه كثيراً من المسائل النحوية، والصرفية، والقراءات، ولهجات العرب، مدعومةً بالشواهد النحوية المتنوعة، ومتضمنةً آراء أئمة العربية من بصريين وكوفيين، كالخليل، ويونس، وسيبويه، والأخفش، والكسائي، والفراء، والمبرد، والفارسي، وغيرهم، وكان لا بُدَّ لابن برهانٍ لما يتمتع به من عقلية فذة، وعلمٍ غزير، من أن يُدليَ بدلوه، ويقولَ برأيه في كثيرٍ من المسائل النحوية، فجاءت اختياراته وآراؤه محلَّ اهتمام العديد من النحويين من بعده، كأبي البركات ابن الأنباري في الإنصاف، وابن الخشاب في المرتجل، والرضيِّ الاسترأبادي في كتابيه: شرح الكافية، وشرح الشافية.

إلا أنَّ أبرزَ مَنْ أولاهُ بالعناية الواسعة، ونظر إلى آرائه باهتمام، هو جمال الدين ابنُ مالك الجبالي الأندلسي (ت: ٦٧٢هـ)، ذلك الإمامُ العَلَمُ، والأستاذُ المقدمُ في النحو واللغة، وصاحبُ المصنَّفاتِ الشهيرة، ما بين نظمٍ، ومختصرٍ، وشرحٍ، كان من أبرزها: شرح التسهيل، وشرح الكافية الشافية، إذ ناقش في هذين الشرحين آراءَ ابنِ برهانٍ واختياراته، فوافقه في أغلبها، وخالفه في بعضها، وجعل من كتاب شرح اللمع مصدرًا من مصادر هذين الشرحين، فأفاد منه، ونقل عنه العديدَ من الأقوال والترجيحات.

ولذا جاءت هذه الدراسةُ لتسلِّطَ الضوءَ على موقفِ ابنِ مالكٍ في شرحي (التسهيل) و(الكافية الشافية) من آراءِ ابنِ برهانٍ النحويِّ في شرحه على اللُّمع.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية الموضوع وأسبابُ اختياره في النقاط التالية:

- القيمة العلمية الكبيرة للعالمين الجليلين: ابنِ برهانٍ العُكْبَرِيِّ، وابنِ مالكٍ الجبالي.
- إبراز آراءِ ابنِ برهانٍ النحويِّ، ومكانته العلمية، ولا سيما أنه لم يأخذ نصيبه من الدراسة والاهتمام.
- اهتمام ابنِ مالكٍ اللافت بآراءِ ابنِ برهانٍ النحويِّ، وتحديد موقفه منها، مما يدلُّ على أهميتها، وقيمتها العلمية الكبيرة.

أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق جملة من الأهداف منها:

- ١- حصر آراء ابن برهان النحوية في كتابي ابن مالك: شرح التسهيل، وشرح الكافية الشافية، وبيان موقف ابن مالك منها، ثم مناقشتها وتحليلها تحليلًا موضوعيًا.
- ٢- معرفة مدى التوافق والاختلاف بين العالمين الجليلين: ابن برهان العكبري، وابن مالك الجياني، من خلال دراسة آرائهما النحوية، والمقارنة بينهما.
- ٣- الكشف عن أثر آراء ابن برهان في شخصية ابن مالك النحوية؛ إذ كان لها دورٌ في تحديد موقفه النحوي.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة هذا البحث في الإجابة عن أسئلة مهمة هي:

- ما الآراء النحوية التي نقلها ابن مالك في كتابيه: شرح التسهيل وشرح الكافية الشافية عن ابن برهان؟
- ما مدى عناية ابن مالك بآراء ابن برهان؟ وما موقفه منها؟
- ما مدى أثر ابن برهان على ابن مالك في منهجه النحوي، والأصول النحوية؟

حدود الدراسة:

كتاب (شرح اللُّمع) لابن برهان العُكْبَرِي، وكتابا: (شرح التسهيل) و(شرح الكافية الشافية) لابن مالك الجَيَّاني.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسةً تناولت هذا الموضوع، إلا أنَّه وقفَ على بعض الدراسات التي تناولت ابن برهان العُكْبَرِي، ومن هذه الدراسات:

- شرح اللمع لابن برهان، تحقيق ودراسة: د. فائز فارس، الكويت، ط ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

- موقف ابن برهان في كتاب شرح اللمع من آراء الأخفش النحوية، د. فاطمة عبد الله الرشيد^(١).

أما اختيارات ابن مالك ومواقفه من العلماء فقد حظيتُ بدارسات كثيرة، منها:

- رسالة ماجستير بعنوان: موقف ابن مالك من الأخفش الأوسط، جميلة بنت عبد العزيز خياط، جامعة أم القرى، ١٤٢٤ هـ.

- رسالة ماجستير بعنوان: اختيارات ابن مالك النحوية في بعض المسائل الخلافية، حامد عبد الله علي، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٣ م.

(١) منشور في مجلة جذور من إصدارات النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد: ٥٣، ١٤٤٠ هـ -

- رسالة دكتوراه بعنوان: المسائل الخلافية في شرح التسهيل لابن مالك من أوله إلى باب العدد وكنائياته، آمال علي عبد العال عبد الرحمن، قسم اللغويات، جامعة الأزهر، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

- رسالة دكتوراه بعنوان: موقف ابن مالك بين البصريين والكوفيين في الابتداء وبعض نواصحه، أحمد محمد عبد المكرم إدريس، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.

وجاء هذا البحث ليسلط الضوء على موقف ابن مالك في شرحي التسهيل والكافية الشافية من آراء ابن برهان النحوية في شرحه على اللمع، ودراستها دراسة نحوية تحليلية.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في مقدمة، وتمهيد، ثم ثلاثة مباحث للدراسة، فخاتمة، تلاها ثبت للمصادر والمراجع. وتشتمل المقدمة على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومشكلته، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطته، ومنهجه. التمهيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ابن برهان العكبري.

المطلب الثاني: ابن مالك الجياني الأندلسي.

المبحث الأول: الموافقات، وعددها سبع مسائل:

المسألة الأولى: القول بموصلية (أل).

المسألة الثانية: جوازُ عملِ (إِنَّ) عند اتصاليها بـ(ما) الزائدة، قياسًا على (ليت).

المسألة الثالثة: جوازُ تقدُّمِ الحالِ على صاحبِها المجرورِ بالحرف.

المسألة الرابعة: فعليَّةُ (نَعَمْ، وَبِئْسَ).

المسألة الخامسة: فعليَّةُ (حَبَّذَا).

المسألة السادسة: مِنْ معاني الكافِ الجارَّةِ (التعليل).

المسألة السابعة: مجيءُ (أَوْ) للإضراب.

المبحث الثاني: الاعتراضات، وعددها سبعُ مسائل:

المسألة الأولى: دلالةُ (كان) الناقصةِ على الزمانِ دونِ الحدث.

المسألة الثانية: جوازُ تقدُّمِ خبرٍ (ليس) عليها.

المسألة الثالثة: إلغاءُ عملِ (لا) النافية للجنسِ إذا نُعتِ اسمُها بمرفوع.

المسألة الرابعة: تعدِّي الفعلِ (اتَّخَذَ) إلى مفعولينِ مطلقًا.

المسألة الخامسة: إضافةُ المصدرِ مِنَ الإضافاتِ اللفظية.

المسألة السادسة: اعتبارُ (أَيَّ) لنداءِ المتوسِّط.

المسألة السابعة: جوازُ صَرَفِ العددِ المعدولِ إذا جاءَ عَلمًا.

المبحث الثالث: تحليلُ موقفِ ابنِ مالكٍ مِنْ آراءِ ابنِ بَرهَانَ، وفيه ثلاثةُ

مطالب:

- المطلب الأول: مقارنةً بين استدلالِ ابنِ مالكٍ وابنِ بَرهَانَ لأرائيهما.

- المطلب الثاني: أثرُ التقليدِ والاجتهادِ في آرائيهما.

- المطب الثالث: أثر موقف ابن مالك من آراء ابن برهان في من جاء
بعد ابن مالك.

الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.
ثبت المصادر والمراجع.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي؛ وذلك من خلال
عرض آراء ابن برهان التي نقلها ابن مالك في كتابي: شرح التسهيل، وشرح
الكافية الشافية، ثم معرفة موقف ابن مالك منها، مع مناقشتها وتحليلها
لتحديد خصائصها، للوصول إلى النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

التمهيد:

المطلب الأول: ابن برهَانَ العُكْبَرِي (١).

هو أبو القاسم عبد الواحد بن علي ابن برهَانَ الأسدي العُكْبَرِي، وُلِدَ في عُكْبَرَا ونُسِبَ إليها، وهي بلدةٌ تبعد عن بغداد عشرة فراسخ (٢).

كانت نشأته في عُكْبَرَا ثم انتقل إلى بغداد، وقضى عمره فيها يبذل العلمَ لطالبيه، حتى جاوز الثمانين، وكان معظم طلابه من خواصِّ الناس، كأبناء الرؤساء والأغنياء، ووُصِفَ بشراسةِ الخُلُقِ في التعليم، عاش زاهدًا بعيدًا عن البذخ والتنعُّم والاعتناء بمظهره، توفي سنة ٤٥٦ هـ.

برز ابنُ برهَانَ في علومٍ كثيرةٍ منها النحو، واللغة، والأنساب، وأخبار العرب، ومعاني القرآن، والحديث، والكلام، قال عنه الخطيب البغدادي: "كان ابنُ برهَانَ مضطليعًا بعلومٍ كثيرة، منها النحو واللغة" (٣)، وقال معاصره ابنُ ماكولا: "لم أرَ مثله، ذهب بموته علمُ بغداد" (٤).

ويُعدُّ ابنُ برهَانَ من أكابر نحاة القرن الخامس، وهو من أبرز العلماء الذين مثَّلوا الدرسَ البغدادي، كابن كيسان والفارسي، وابن جني، حيث اتَّسم منهجُه بالاختيار بين مذهبي أهل البصرة وأهل الكوفة، مع أنَّ نزعتَه البصرية

(١) تنظر ترجمته في: إنباه الرواة ٢/٢١٣، نزهة الألباء ص ٣٦٥، بغية الوعاة ٢/١٢٠، الأعلام ٤/٣٢٦.

(٢) ينظر: معجم البلدان ٣/٧٥٠.

(٣) تاريخ بغداد ١١/١٧.

(٤) الإكمال ١/٤٤٦.

كانت حاضرةً في أغلب آرائه النحوية وترجيحاته، من خلال موافقته للبصريين في معظم آرائهم النحوية، إذ شهد له أبو البركات الأنباري بأنه: "من أكابر أئمة البصريين والمشار إليهم من المحققين"^(١).

المطلب الثاني: ابن مالك الجياني الأندلسي^(٢).

هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك، جمال الدين، أبو عبد الله، الطائي، الجياني، الأندلسي، المعروف بابن مالك.

وُلد سنة (٦٠٠ للهجرة) على أقرب الأقوال، وكانت ولادته في جيّان، إحدى مدن الأندلس، ونشأ فيها نشأةً علميةً محضة، فبدأ بحفظ القرآن الكريم، ثم دراسة القراءات القرآنية، وعلوم الدين واللغة.

ثم رحل وهو شابٌّ إلى المشرق بسبب الفتن والاضطرابات في الأندلس، ورغبةً منه في أداء فريضة الحج، وكذلك طلبًا للعلم.

وقد عُرف ابن مالك بالدين، والعبادة، وكثرة النوافل، ورقة القلب، وكان حسن الخلق، حسن السمّة، مُهذّبًا، لا يلهج إلا بالصدق، وقورًا متّئدًا، حريصًا على حفظ العلم، وكثرة المطالعة.

نال ابن مالك منزلةً عظمت في علوم اللغة والقراءات حتى بلغ الإمامة فيهما، وكان بحرًا لا يُجارى في النحو والتصريف، وبرع في نظم الشعر، وكانت وفاته — رحمه الله — في دمشق سنة ٦٧٢ هـ.

(١) الإنصاف ٤١٨/٢.

(٢) تنظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ٣/٣٥٩، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص ٢٩٩،

بغية الوعاة ١/١٣٠، الأعلام ٧/١١١.

من أبرز مصنفاته المطبوعة: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، وشرحه، والكافية الشافية، وشرحها، وعمدة الحافظ وعدة الالفاظ، وشرحه، ونظم الألفية.

المبحث الأول: الموافقات:

المسألة الأولى: القول بموصلية (أل).

ذهب ابن برهان إلى أن (أل) تأتي اسمًا موصولًا، واستدل على موصوليَّتها بمجيء الفعل بعدها، مستشهدًا بما رواه أبو زيد^(١):

يَقُولُ الْحَنَّا وَأَبْعَضُ الْعُجْمِ نَاطِقًا ... إِلَى رَبَّنَا صَوْتُ الْحِمَارِ الْيُجَدِّعُ
وَيَسْتَخْرِجُ الْيَرْبُوعَ مِنْ نَافِقَائِهِ ... وَمِنْ جُحْرِهِ بِالشَّيْحَةِ الْيَتَقَصَّعُ
فـ(أل) في هذين البيتين اسمٌ موصولٌ، وليست حرفَ تعريف؛ وذلك للفرق الذي بينهما، وتقديرها: الذي يُجَدِّعُ، والذي يُتَقَصَّعُ، قال ابن برهان:

"والألف واللام في (الرجل) لا يليها الفعل، وإنما هذه بمنزلة (الذي)"^(٢).

ووافقه ابن مالك في هذا الاستدلال، مضيًا إلى شواهد شواهد آخر، منها بيت الفرزدق^(٣):

(١) البيتان من الطويل، لذي الخرق الطهوي. ينظر: النوادر ص ٢٧٦، وهو من شواهد: الأصول ٥٧/١، اللامات ص ٥٣، شرح السيراني ٢٣٦/١، الإنصاف ٤٢٥/٢، شرح ابن يعيش، ٣٧٨، المقاصد النحوية ٤٦٧/١، الخزانة ٣١/١.

(٢) شرح اللمع ص ٦٠٧.

(٣) البيت من البسيط، وهو من شواهد: الإنصاف ٤٢٤/٢، البسيط ص ٣١١، التذيل ٦٦/٣، توضيح المقاصد ٢٨٤/١، أوضح المسالك ١٧٠/١، المساعد ١٥٠/١، شرح الأشموني ١٥١/١، الهمع ٣٣٢/١.

مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ الثَّرَضَى حُكُومَتُهُ .. وَلَا الْأَصِيلِ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ
أي: الذي تُرَضَى حُكُومَتُهُ.

ومنها قول الشاعر^(١):

يَقُولُ الْحَنَّا وَأُبْعَضُ الْعُجْمَ نَاطِقًا ... إِلَى رَبَّنَا صَوْتُ الْحِمَارِ الْيُجَدِّعُ
وكذا قول الآخر^(٢):

مَا كَالِيزُوحُ وَيَعْدُو لَاهِيًا مَرِحًا ... مُشَمِّرًا يَسْتَدِيمُ الْحَزَمَ ذُو رَشَدٍ
ومثله^(٣):

وليس اليرى للخلّ مثل الذي يرى ... له الخلُّ أهلاً أَنْ يُعَدَّ خَلِيلاً
قال في شرح التسهيل: "واستدلَّ ابنُ بَرَهَانَ على موصوليَّةِ الألفِ واللام
بدخولها على الفعل، واستدلَّ أنه قويٌّ؛ لأنَّ حرفَ التعريفِ في اختصاصه
بالاسم كحرف التنفيس في اختصاصه بالفعل، فكما لا يدخل حرفُ التنفيسِ
على اسمٍ، لا يدخل حرفُ التعريفِ على فعلٍ، فوجب اعتقادُ الألفِ واللام

(١) البيت من الطويل قائله ذو الخرق الطهي، دينار بن هلال، شاعر جاهلي، ينظر: الخزانة
١٤/١، وهو من شواهد: الإنصاف ١٢٢/١، شرح ابن يعيش ٣٧٨/٢، شرح التسهيل
٢٠١/١، التذييل ٦٦/٣، المقاصد الشافية ٤٨٦/١.

(٢) البيت من البسيط، لم أعثر على قائله، وهو من شواهد: شرح التسهيل ٢٠١/١، التذييل
٦٦/٣، تمهيد القواعد ٦٨٨/٢، الهمع ٣٣٢/١، شرح أبيات المغني ٢٩٣/١.

(٣) البيت من الطويل، لم أعثر على قائله، وهو من شواهد: شرح التسهيل ٢٠١/١، التذييل
٦٦/٣، تمهيد القواعد ٦٨٩/٢، شرح أبيات المغني ٢٩٢/١.

في: التَّرْصَى، والْيَجْدَعُ، واليَرَى، والْيَرُوخُ أسماء بمعنى (الذي)، لا حرف تعريف^(١).

دراسة المسألة:

من الأوجه التي تأتي عليها (أل): مجيئها اسمًا موصولًا مشتركًا، بمعنى (الذي) وفروعه، وصلتها الصفات الصريحة، وهي اسمُ الفاعل، واسمُ المفعول، نحو: جاء الضاربُ زيدًا، والمضروبُ عبده، واختلف في الصفة المشبهة، نحو: جاء الحسنُ وجهه، فبعضُ النحويين على جواز مجيئها، ومنهم مَنْ منعها، كابن أبي الربيع، وابن هشام، لعلَّ ضعفها وقُرْبها من الأسماء، وكذلك دلالتها على الثبوت، بخلاف اسمِ الفاعل، واسمِ المفعول^(٢).

ومجيء (أل) موصولةً هو رأيُ الجمهور، وخالفهم الأخفش، والمازني، حيث ذهب كلُّ منهما إلى أنها في هذه المواضع حرفُ تعريفٍ، إلا أنَّ المازني يعدُّها حرفًا موصولًا، والأخفش يعدُّها مُعْرِفَةً وليست موصولةً، فاشترك المذهبان في التعريف واختصَّ المازني بالوصل^(٣).

وكان ابنُ برهانٍ أوردَ هذا الاستدلالَ انتصارًا لابن السراج على المازني في هذه المسألة^(٤)، ومِن النحويين مَنْ أجاز في هذا الشاهد توجيهًا آخرَ، وهو أنَّه لم يُرد (أل) الموصولة، ولا (أل) المُعْرِفَة، ولكنَّه أراد، (الذي) نفسَها،

(١) شرح التسهيل ٢٠٢/١.

(٢) ينظر: البسيط ص ٢٨٥، المغني ص ٧١، الهمع ٣٣٢/١.

(٣) ينظر: التذيل والتكميل ٦٤/٣، الجنى الداني ص ٢٠٢، المساعد ١٤٩/١.

(٤) شرح اللمع ص ٦٠٦.

فحذَفَ الذَّالَ والياءَ وإحدى اللَّامين؛ لأنَّه قد رأى (الذي) يلحقها حذفٌ،
كقولهم: اللذَّ واللَّذ، وهذا توجيه السِّيرافي في شرحه على الكتاب^(١).

ولعلَّ اقتصارَ ابنِ مالك في ذكر المخالفين من القدماء على المازني
نتيجةً تأثُّره بابنِ برهَانَ في النقل، وقد ضَعَّفَ قولَ المازني من عِدَّةِ أوجه،
ذكرها في شرح التسهيل، وأطال في تقرير موصوليَّة (أل) إذا دخلت على
صفاتٍ صريحة.

ومَن وافق الأخفش والمازني في حرفيتها: ابن يعيش، والشلوبين، قال
ابن يعيش: "والصوابُ الأوَّلُ أنَّها حرفٌ، إذ لو كانت اسمًا، لكان لها موضعٌ
من الإعراب، ولا خلافَ أنَّه لا موضعٌ لها من الإعراب"^(٢).

أمَّا الشلوبين فاحتجَّ على حرفية (أل) بقولهم: جاء القائم، فلو كانت
اسمًا لكانت فاعلاً، واستحقَّ (قائم) البناء؛ لأنَّه على هذا التقدير مُهْمَلٌ؛ لأنَّه
صلةٌ، والصلة لا يتسلَّطُ عليها عاملُ الموصول.

وردَّ عليه ابنُ مالك بقوله: "والجوابُ أنْ يُقالَ: قد قام الدليلُ على أنَّها
غيرُ المعرِّفة بدخولها على الفعل، وتصحيحها عملَ اسمِ الفاعل ذي المضيِّ،
فلم يبقَ إلا كونُها اسمًا موصولًا إذ لا ثالث.

والجوابُ عن شُبْهَةِ الشُّلوبين أنْ يُقالَ: مقتضى الدليل أنْ يظهرَ عملُ
عاملِ الموصولِ في آخر الصلة، لأنَّ نسبتَها منه نسبةُ أجزاءِ المركَّبِ منه، لكن
منعٌ من ذلك كونُ الصِّلَةِ جُمْلَةً، والجملُ لا تتأثَّرُ بالعوامل، فلمَّا كانت صلةٌ

(١) ينظر: ٢٣٦/١.

(٢) شرح المفصل ٣٧٩/٢.

الألف واللام في اللفظ غير جملة جيء بها على مقتضى الدليل لعدم المانع^(١).

قال المرادي: "والصحيحُ مذهبُ الجمهور؛ لِعَوْدِ الضمير إليها، في نحو: الضاربها زيد هند"^(٢).

إلا أنَّ الجمهورَ يعدُّون دخولَ (أل) على المضارع خاصًّا بالشَّعر، ومجيئها فيه إنما هو على وجه الشذوذ، فهو من قبيل الضرورة الشعرية، وقد عدَّه ابن السراج من أقبح الضرورات^(٣).

قال أبو علي الفارسي: "ومن الشاذَّ في القياس والاستعمال، قولهم: (الْيَجْدَعُ)، وإدخال لام التعريف فيه على الفعل، فهذا شاذُّ عن القياس؛ لأنَّ موضع الفعل على خلاف التخصيص، وشاذُّ في الاستعمال أيضًا"^(٤).

في حين ذهب ابنُ مالك إلى عدم اختصاصه بالضرورة، ولذلك أجازَه في اختيار الكلام، قال ابن مالك: وعندي أنَّ مثلَ هذا غيرُ مخصوصٍ بالضرورة، لِتَمَكُّنِ قائلِ الأولِ أنْ يقولَ: ما أنتَ بالحَكَمِ المرضيِّ حكومته، ولِتَمَكُّنِ قائلِ الثاني من أنْ يقولَ: إلى ربِّنا صوتُ الحمارِ يُجَدِّعُ، فإذا لم يفعلوا ذلك مع استطاعته ففي ذلك إشعارٌ بالاختيار وعدم الاضطرار^(٥).

(١) شرح التسهيل ٢٠٣/١.

(٢) الجنى ص ٢٠٢.

(٣) نقل عنه الجوهري في الصحاح، ينظر: ١٩٤/٣.

(٤) المسائل العسكرية ص ٨٣.

(٥) شرح التسهيل ٢٠٢/١.

والمشهور عن ابن مالك تفرُّده بهذا القول، واختصاصه بجواز دخول المضارع على (أل) في اختيار الكلام ولكنه قليل، قال في نظمه:

وصِفَةُ صَرِيحَةٍ صَلَّةُ أَل ... وَكُونُهَا بِمُعَرِّبِ الْأَفْعَالِ قَلٌّ

وهذا التفرُّد أكَّدَ عليه أبو حيان في التذييل؛ إذ يقول: "لا خلاف نعلمه أن وصل (أل) بالمضارع يختص بالشعر، وقد ذهب هو في بعض تصانيفه إلى أن وصل (أل) بالمضارع قليل، وهنا أجاز ذلك في الاختيار"^(١).

إلا أن من النحويين من نسب القول بالاختيار إلى بعض الكوفيين، فيكون ابن مالك موافقاً لهم^(٢).

وفهم ابن هشام من حكاية الجوهري في الصَّحاح ما يشير إلى جواز ذلك عند الأخفش، قال الجوهري: "فإنَّ الأخفش يقول: أرادَ الذي يُجَدِّعُ، كما تقول: هو الَيَضْرِبُكَ، تريد: هو الذي يَضْرِبُكَ"^(٣).

قال ابن هشام معقِّباً على هذا النُّقل: "وظاهره أنَّ الأخفش يبيِّنه في الكلام كما قال الناظم، وفي ذلك ردُّ على مَنْ قال: إنَّ الناظم استأثر بهذا المذهب"^(٤).

وفي ما ذهب إليه ابن مالك مخالفة للجمهور، ويُحتمل أن الذي أُلْجَأَ إلى ذلك هو تفسيره للضَّرورة الشعرية.

(١) التذييل ٦٥/٣-٦٦.

(٢) ينظر: توضيح المقاصد ٤٤٦/١، شرح الأشموني ١٥١/١، التصريح ١٧٠/١.

(٣) الصحاح ١٩٤/٣.

(٤) ينظر: تخلص الشواهد ص ١٥٤.

وقد تعقّبهُ ابنُ هشامٍ بقوله: "ما ذكره أولاً مبنيّاً على اختياره في تفسير الضرورة بأنّها ما لا يُمكن الشاعر العدول عنه، وقد مضى رُده ...، وأمّا ما ذكره ثانياً فيرُدّه قولُ سيبويه: "وليس شيءٌ ممّا يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهًا"، فلا تنافي بين كون الشيء ضرورةً وكونه ذا وجهٍ يسوغه، بل لا تكون الضرورة إلا كذلك بشهادة إمام النحو"^(١).

المسألة الثانية: جوازُ عمل (إنَّ) عند اتّصالها بـ(ما) الزائدة، قياساً على (ليت).

نقل ابنُ برهانٍ عن الكسائي والأخفش قولَ العرب: إنّما زيدًا قائمٌ، فأعملوا (إنَّ) مع زيادة (ما)^(٢)، واعتضد ابنُ مالكٍ بهذه الرواية على جواز عمل جميع الأحرفِ المشبّهة بالأفعال إذا اتصلت بـ(ما) الزائدة، قال في شرح التسهيل: "وأجرى ابنُ السراج غيرَ (ليتما) مجراها قياساً، وذكر ابنُ برهانٍ أنّ أبا الحسنِ الأخفش روى عن العرب: إنّما زيدًا قائمٌ، فأعمل مع زيادة (ما)، وعزا مثل ذلك إلى الكسائي عن العرب، وهذا النقلُ الذي ذكره ابنُ برهانٍ رحمه الله يؤيّد ما ذهب إليه ابنُ السراج من إجراء عواملِ هذا الباب على سننٍ واحدٍ قياساً، وإن لم يتبسّط سماعٌ في إعمال جميعها، وبقوله أقولُ في هذه المسألة، ومن أجل ذلك قلتُ: القياسُ سائغٌ"^(٣).

(١) المرجع السابق ص ١٥٥.

(٢) ينظر: شرح اللمع ص ٧٥.

(٣) شرح التسهيل ٣٨/٢.

دراسة المسألة:

تعمل (إنَّ) وأخواتها (أَنَّ، ولكنَّ، وكأنَّ، ولعلَّ، وليت) في الجملة الاسمية، وهي المبتدأ والخبر، فترفع المبتدأ وتنصب الخبر، نحو: إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ، وَالْعِلَّةُ فِي عَمَلِهَا اخْتِصَاصُهَا بِالْأَسْمَاءِ، وَعَمِلَتْ فِي الْجُمْلَةِ تَشْبِيهًا لَهَا بِالْفِعْلِ الْمُتَعَدِّي مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى مَعًا، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ بِالْحُرُوفِ الْمَشَبَّهَةِ بِالْأَفْعَالِ^(١).

فإذا دخلت (ما) على (إنَّ، وأنَّ، ولكنَّ، وكأنَّ، ولعلَّ)، كَفَتَّهَا عَنِ الْعَمَلِ، وَارْتَفَعَ مَا بَعْدَهَا بِالْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وَالْعِلَّةُ فِي إِغْيَاءِ عَمَلِهَا هِيَ زَوَالُ اخْتِصَاصِهَا بِالْأَسْمَاءِ، حَيْثُ إِنَّهَا تَدْخُلُ عَلَى الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿[فاطر: ٢٨] فَلَمَّا زَالَتِ الْعِلَّةُ الْمُقْتَضِيَةُ لِلْعَمَلِ أُلْغِيَ عَمَلُهَا، وَالْحُكْمُ يَدُورُ مَعَ عِلَّتِهِ وَجُودًا وَعَدَمًا، فَإِذَا وُجِدَتِ الْعِلَّةُ وَجَدَ الْحُكْمُ، وَإِذَا ارْتَفَعَتِ الْعِلَّةُ ارْتَفَعَ الْحُكْمُ.

بخلاف (ليت) فإنَّها إذا دخلت عليها (ما) جاز أن تكون كائفة فيرتفع الاسمان بعدها بالابتداء والخبر، وجاز أن تكون (ما) زائدة ملغاة، دخولها كخروجها، فتبقى (ليت) على عملها في الاسمين النصب والرفع، نحو: ليتما

(١) ينظر: الكتاب ١٣٨/٢، شرح ابن يعيش ٥٢١/٤، شرح الجمل ٤٣٢/١، التذيل

٢٨٥/٣، المقاصد الشافية ٣٦٢/٢.

زيدٌ قائمٌ، وليتما زيدا قائمٌ، فإلغاء عملها لاعتبار (ما) وإحافاً لها بأخواتها، وإعمالها لبقاء اختصاصها بالجملة الاسمية، والإعمال أحسن؛ لقوة معنى الفعل فيها، وعدم تغير معناها^(١).

ومن شواهد إعمالها وإغائها في (ليت) قول الشاعر^(٢):

قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامَ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نَصْفَهُ فَقَدْ

قال ابنُ برهانٍ مشيراً إلى هذا البيت: "الجميعُ رَوُّهُ عن العربِ بالإلغاء والإعمال"^(٣).

وما تقدّم في إعمال هذه الأحرف وإغائها إذا اتصلت بـ(ما) هو رأي سيوييه، ومذهب الجمهور، حيث ذهبوا إلى جواز الإعمال والإلغاء في (ليتما) دون غيرها^(٤).

وذهب بعض النحويين إلى جواز الإلغاء والإعمال في جميع هذه الأحرف، ومن هؤلاء الزجاجي، وقد نصَّ على ذلك في الجمل، حيث قال:

(١) ينظر: شرح الجمل ١/٤٣٢، التذييل ٣/٢٨٥، المقاصد الشافية ٢/٣٦٢.

(٢) البيت من البسيط، وهو للناطقة الديباني في ديوانه ص ٢٤، والبيت من شواهد: الكتاب ١٣٧/٢، الأصول ١/٢٣٣، الخصائص ٢/٤٦٠، شرح ابن يعيش ٤/٥٢٠، وشرح عمدة الحفاظ ص ٢٣٣، اللسان ٣/٣٤٧ (قدد)، الهمع ١/٥١٩، خزانة الأدب ٦/١٥٧.

(٣) شرح اللمع ص ٧٦.

(٤) ينظر: الكتاب ٢/١٣٨، التذييل والتكميل ٣/٢٨٥، المقاصد الشافية ٢/٣٦٢.

"وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّمَا زَيْدًا قَائِمٌ، وَلَعَلَّمَا بَكْرًا قَائِمٌ، فَيُلْغِي (مَا) وَيَنْصِبُ بِهِ (إِنَّ) وكذلك سائرُ أخواتِها"^(١). ومنهم كذلك الزمخشري^(٢).

واختار هذا القول ابنُ مالك، ونسبَه إلى ابنِ السَّراج في كتابيه شرح التسهيل وشرح عمدة الحافظ، وعلَّلَ له بالقياس على المسموع في (إنَّما)؛ وذلك لعدم الفرق بين تلك الأحرف، وليجري البابُ على طريقةٍ واحدةٍ، وقد صرَّح بموافقتِه لابن السَّراج معترضًا بالرواية التي نقلها ابنُ برهان، فهذه الرواية سوَّغت له القياسَ في جواز العملِ لبقيةِ الأحرف، حتى لو انعدم السماعُ فيها^(٣).

ونلاحظ أن ابن مالك في هذه المسألة خالف منهجه في القياس، فهو لا يقيس على السماع القليل بالرغم من قبوله، وقد نص على ذلك في أكثر من موضع^(٤).

ونسب ابنُ عصفور القولَ بجواز الإعمالِ والإلغاء في بعض هذه الأحرف دونَ بعضٍ إلى الزَّجاج وابنِ السَّراج، والحروفُ التي أجازوا فيها الإعمالَ والإلغاء هي: (لَيْتَ، وَلَعَلَّ، وَكَأَنَّ)، وذكرَ أنَّه لا يجوزُ عندهم فيما عداها إلا الإلغاء، والعلَّة عندهم كما ذكر ابنُ عصفور هي مشابهُة (لَعَلَّ) و(كَأَنَّ) لِـ(لَيْتَ)، من حيثُ إنَّهما غيرا معنى الابتداء بما أخذتا في الكلام من

(١) الجمل ص ٣٠٤.

(٢) ينظر: المفصل ٢٣٩.

(٣) ينظر: شرح التسهيل ٣٨/٢، شرح عمدة الحافظ ص ٢٣٣.

(٤) ينظر: شرح الكافية الشافية ٥٧٣/٢ و ١٠١٥/٢.

التشبيه والترجي، كما أحدثت (ليت) التميي، فساغ القياس عليها لتلك المشابهة^(١).

وقصر السيوطي جواز الأعمال والإلغاء على (ليتما) و(إنما)؛ لوجود السماع فيهما، ومنعه في البقية لعدم السماع^(٢).

والذي يظهر لي في هذه المسألة أن قياس ابن مالك، والاعتضاد بما نقله ابن برهان جاء خلاف الراجح، وأن الراجح هو ما عليه الجمهور، وهو اقتصار جواز الأعمال والإلغاء على (ليتما)، دون غيرها؛ وذلك لبقاء اختصاصها بالأسماء، بخلاف أخواتها، لزوال اختصاصها بدخول (ما) عليها، قال أبو حيان: "وصححه أكثر أصحابنا"^(٣).

وقال ابن عقيل: "والصحيح المذهب الأول، وهو أنه لا يعمل منها مع (ما) إلا (ليت)، وأما ما حكاه الأخفش والكسائي فشاذ"^(٤).

المسألة الثالثة: جواز تقدم الحال على صاحبها المجرور بالحرف.

ذهب ابن برهان إلى جواز تقدم الحال على صاحبها إذا كان مجرورًا بالحرف، وذكر أن هذا مذهب أبي علي الفارسي، وابن كيسان، قال في شرح اللمع: "وذكر غيره — يعني سيبويه — يجوز في هذه المسألة ما جاز في الأولى؛ لأن العامل في الحال هو الفعل، ولا يفتقر الفعل إلى الباء في عمله في المفعول

(١) شرح الجمل ٤٣٢/١.

(٢) ينظر: الهمع ٥٢١/١.

(٣) التذييل ٢٨٥/٣، وينظر: شرح المفصل ٥٢١/٤-٥٢٥، شرح الجمل ٤٣٢/١.

(٤) شرح ابن عقيل ٣٧٥/١.

به، وإذا ساغ أن يعمل في الحال ما لا يعمل في صاحب الحال، كان هذا أولى بالجواز، وهذا قول أبي علي، وابن كيسان، وإليه نذهب، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨] ، و(كافّة) حالٌ من (الناس) وقد تقدّم على المجرور باللام، وما استعملت العرب (كافّة) قطّ إلّا حالاً^(١).

ووافقه ابن مالك في شرح التسهيل، حيث أجاز تقدّم الحال على صاحبها المجرور بالحرف، فائلاً: "وهذا موافقٌ لقول ابن برهان"^(٢).

واستدلّ على صحة هذا الرأي بالآية السابقة، وقال في إعراب (كافّة): "أمّا ثبوته سماعاً ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها أنّ (كافّة) صفةٌ لـ(إرسالة) فحذف الموصوف، وأقيمت الصفة مقامه، وهو قول الزمخشري^(٣)، والثاني أنّ (كافّة) حالٌ من الكاف، وهو قول الزجاج والتاء فيه للمبالغة^(٤)، والثالث أنّ (كافّة) حالٌ من (الناس)، والأصل للناس كافّة، أي جميعاً، وهذا هو الصحيح، وهو مذهب أبي علي، وابن كيسان، أعني تقديم حال المجرور بحرف، حكاه ابن برهان، وقال: "وإليه نذهب، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]".

(١) شرح اللمع ص ١٣٧-١٣٨.

(٢) شرح التسهيل ٣٣٨/٢.

(٣) ينظر: الكشف ٥٨٣/٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٥٤/٤.

[٢٨] و(كافّة) حالٌ من (الناس) وقد تقدّم على المجرور باللام، وما استعملت العرب (كافّة) قطّ إلا حالاً، كذا قال ابنُ برهان، وكذلك أقول^(١).

دراسة المسألة:

الأصل في الحال أن تأتي متأخرة، ولكن يجوز باتفاق أن تتقدّم على صاحبها إن كان مرفوعاً أو منصوباً، نحو: جاء ضاحكاً زيدٌ، وضربت مكتوباً اللصّ^(٢).

أما إن كان صاحبها مجروراً ففيه تفصيل:

لا خلاف في منع تقديم الحال على صاحبها إن كان مضافاً إليه، وعلة المنع كي لا تكون الحال فاصلةً بين المضاف والمضاف إليه وهما كالشيء الواحد، وكذلك لا يجوز تقديمها على المضاف؛ لأنّ المضاف مع المضاف إليه كالصلة مع الموصول؛ فكما لا يتقدّم ما يتعلّق بالصلة على موصولها، كذلك لا يتقدّم ما يتعلّق بالمضاف إليه على المضاف.

كذلك لا خلاف في جواز تقديم الحال على صاحبها إن كان مجروراً بحرف جرٍّ زائد، فإنّ تقديمه يجوز باتفاق، وعلة الجواز هي كون المجرور بحرف الجر الزائد -عند التحقيق- فاعلاً أو مفعولاً، فيجوز تقديمه كما جاز فيهما، نحو: ما جاءني راكباً من أحدٍ، وما رأيت راكباً من أحدٍ.

(١) المرجع السابق ٣٣٧/٢.

(٢) ينظر: الأصول ٢٦٠/١، أمالي ابن الشجري ٢/٢٨٠، التذييل ٦٦/٩، التصريح

٥٨٩/١، الجمع ٣٠٦/٢.

إنَّما وقع الخلافُ فيما إذا كان صاحبُ الحال مجرورًا بحرف جرِّ أصلي،
فللنحاة فيه ثلاثة مذاهب:

الأول: المنع مطلقاً، وهو مذهب سيبويه والبصريين، فلا يجوزون: مررت
جالسةً بهند^(١)، قال ابن أبي الربيع: "ولا أعلم من البصريين خلافاً في
منعه"^(٢).

واعتلَّ البصريون لامتناع التقديم بعدَّةٍ عللٍ، منها: أنَّ تعلُّقَ العاملِ
بالحال ثانٍ لتعلُّقه بصاحبه، فحقُّه إذا تعدَّى لصاحبه بواسطةً أن يتعدَّى إليه
بتلك الوساطة، لكنَّ منع من ذلك خوفُ التباسِ الحالِ بالبدل، وأنَّ فعلاً
واحداً لا يتعدَّى بحرفٍ واحدٍ إلى شيئين، فجعلوا عوضاً من ذلك التزام
التأخير.

ومنها: أنَّ منع التقديم هذا محمولٌ على منع تقديم حالِ المجرورِ
بالإضافة.

ومنها: أنَّ حالِ المجرورِ شبيهٌ بحالِ عملٍ فيه حرفُ جرٍّ مُضمَّنٌ معنى
الاستقرار، نحو: زيدٌ في الدار متكئاً، فكما لا يتقدَّم الحالُ على حرفِ الجرِّ
هذا وأمثاله، كذلك لا يتقدَّم عليه في نحو: مررت بهندٍ جالسةً.

(١) ينظر: الكتاب ١٢٤/٢، المقتضب ١٧١/٤، الأصول ٢٦٠/١، أمالي ابن الشجري

٢٨٠/٢، الباب ٢٢٩/١.

(٢) البسيط ص ٥٢٩.

والمذهب الثاني: الجواز مطلقاً، وهو مذهب أبي علي الفارسي، وابن
كيسان، وابن برهان، واختاره ابن مالك، وصحَّحه أبو حيان^(١).

وأكد ابن مالك على موافقته لابن برهان في هذه المسألة معتلاً لجواز
التقديم بأنَّ المجرور بحرفٍ هو مفعولٌ به في المعنى، فلا يمتنع تقديمُ حاله عليه،
كما لا يمتنع تقديمُ حالِ المفعولِ به، وذكر أنَّ مذهبَ الفارسي وابن كيسان
وابن برهان هو الصحيح؛ لكونه مؤيداً بالسمع، ولضعف أدلة المانعين، إذ
قال عنها: "وهذه شبهةٌ وتخيُّلاتٌ لا تستميلُ إلا نفسَ مَنْ لا تثبَّت له، بل
الصحيح جوازُ التقديم في نحو: مررت بهندٍ جالسةً، وإنما حكمتُ بالجواز
لثبوته سماعاً، ولضعف دليل المنع"^(٢).

أما استدلالهم بالسمع فشواهد كثيرة، منها ما جاء في القرآن الكريم،
وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، فهذا الفريق يُعرب (كافَّةً) حالاً من (الناس)،
والأصل: للناسِ كافَّةً أي جميعاً، فتقدمت الحالُ على صاحبها وهو مجرورٌ
بحرف جرٍّ أصلي.

ومنها ماورد في أشعار العرب، كما في قول الشاعر^(٣):

(١) ينظر: البحر المحيط ٥٤٩/٨.

(٢) شرح التسهيل ٣٣٦/٢.

(٣) البيت من الطويل، للمخبل السعدي في ملحق ديوانه ص ٣٢٤، وله أو لرجل من بني
قريع في خزانة الأدب ٣/ ٢١٩، وهو من شواهد: شرح الكافية الشافية ٢/ ٧٤٧،
التذييل ٣٧٠/٩، المقاصد الشافية ٤٥٦/٣.

إذا المرء أَعْيَتْهُ المَرْوَةُ ناشئاً ... فَمَطْلُبُهَا كَهْلًا عَلَيْهِ عَسِيرُ
أي فمطلبُها عليه كهلاً.

وقول الشاعر^(١):

لَنْ كَانَ بَرْدُ الْمَاءِ هَيْمَانَ صَادِيًا ... إِلَيَّ حَبِيبًا إِنَّمَا لِحَبِيبِ
أي: لئن كان برْدُ الماء حَبِيبًا إِلَيَّ هَيْمَانَ صَادِيًا.

وكذلك قول الشاعر^(٢):

تَسَلَّيْتُ طُرًّا عَنْكُمْ بُعْدَ بَيْنِكُمْ ... بِذِكْرِكُمْ، حَتَّى كَأَنَّكُمْ عِنْدِي
أي: تَسَلَّيْتُ عَنْكُمْ طُرًّا.

أما المانعون فلم يجدوا في هذه الشواهد حجةً عليهم؛ لكون ورودها في
الآبيات للضَّرورة، ويمكن تأويلها، وأَمَّا (كافَّةً) فبحسب توجيه الزَّجَّاج أَنَّهُ
ليس بحالٍ من (الناس)، وإِنَّمَا هو حالٌ من الكاف في (أرسلناك)، والمراد:
جامعًا للناس، وإِنَّمَا دخلتُ الهاءُ للمبالغة في الوصف، كدخولها في (علامة)
و(نَسابة) و(راوية)^(٣).

(١) البيت من الطويل لكثير عزة في ديوانه ١٩٢ / ٢، ونسبه البغدادي لعروة بن حزام وهو في
ديوانه ص ٥، ونسبه المبرد في الكامل ص ٣٧٩، لقيس بن ذريح، وهو في ديوانه ص
٥٩، وينظر من شواهد: شرح الكافية للرضي ١ / ٢٠٧، شرح الكافية الشافية ٢ / ٧٤٥،
التذييل ٩ / ٣٧٠، الخزانة ٣ / ٢١٢.

(٢) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في شرح الكافية الشافية ٢ / ٧٤٥، وشرح عمدة
الحافظ ص ٤٢٦ التذييل ٩ / ٣٧٠، أوضح المسالك ٢ / ٣٢١، والمقاصد النحوية ٣ /
١٦٠.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٥٤.

وهناك توجيه آخر ذهب إليه الزمخشري وهو أنَّ (كافَّةً) صفةٌ
لـ(إرسالة)، فحذف الموصوف، وأقيمت الصفة مقامه^(١).

وكلا هذين التوجيهين مردودان عند ابن مالك ومن وافقه، حيث قال:
"ولا يلتفت إلى قول الزمخشري والزجاج؛ أمَّا الزمخشري فلأنَّه جعل (كافَّةً)
صفةً، ولم تستعمله العرب إلا حالاً...، وأمَّا الزجاج فبطلان قوله بينً أيضاً؛
لأنَّه جعل (كافَّةً) حالاً مفرداً ولا يُعرف ذلك من غير محل النزاع، وجعله من
مُذكرٍ مع كونه مؤنثاً، ولا يتأتى ذلك إلا بجعل تائه للمبالغة، وبأبه مقصورٌ
على السماع"^(٢).

قال أبو حيان: "أمَّا (كافَّةً) بمعنى عامَّةً، فلمنقول عن النحويين أمَّا لا
تكون إلا حالاً، ولم يُتصرَّف فيها بغير ذلك، فجعلها صفةً لمصدرٍ محذوفٍ،
خروجٌ عما نقلوا، ولا يُحفظ أيضاً استعماله صفةً لموصوف محذوف، وأمَّا قولُ
الزَّجَّاج: إِنَّ (كافَّةً) بمعنى جامعاً، والهاءُ فيه للمبالغة، فإنَّ اللُّغة لا تساعدُ
على ذلك، لأنَّ (كَفَّ) ليس بمحفوظٍ أنَّ معناه (جَمَعَ)"^(٣).

وتعقَّب الشاطبيُّ ابن مالك في اختياره لهذا المذهب بعد أن صَوَّبَ
مذهبَ المانعين، وذكر أنَّ مذهبهم قائمٌ على استقراء كلام العرب، وأنهم لم
يجدوا التقديم إلا في شعرٍ لا يُجعلُ وحده مأخذاً قياساً، أو في الآية الكريمة مع
احتمالها، وعدم نظير لها في ظاهرهما، قائلاً: "ومن عادة ابن مالك التعويلُ

(١) ينظر: الكشف ٥٨٣/٣.

(٢) شرح التسهيل ٣٣٧/٢.

(٣) البحر المحيط ٥٤٩/٨.

على اللفظة الواحدة تأتي في القرآن ظاهرهما جواز ما يمنعه النحويون، فيعُولُ عليها في الجواز، ومخالفة الأئمة، وربما رَشَّحَ ذلك بأبيات مشهورة أو غير مشهورة، ومثل ذلك ليس بإنصاف، فإنَّ القرآنَ الكريمَ قد يأتي بما لا يُقاسُ مثله، وإنَّ كان فصيحًا، وموجهًا في القياس لقلته^(١).

وهناك مذهبٌ ثالثٌ للكوفيين وهو جوازُ التَّقديمِ إنَّ كان صاحبُ الحالِ ضميرًا مجرورًا نحو: مررتُ ضاحكَةً بك، أو كان اسمًا ظاهرًا وكان الحالُ فعلًا، نحو: مَرَرْتُ تضحكُ بهندٍ، أو كان المجرورُ أحدَ اسمين، غُطِفَ ثانيهما على المجرور؛ نحو: مررتُ بزيدٍ وعمروٍ مسرعين، فإنه يجوز: مررت مسرعين بزيدٍ وعمروٍ.

ومنعوا التقديم إذا كان صاحبُ الحالِ اسمًا ظاهرًا وكان الحالُ اسمًا، نحو: مررتُ بهندٍ ضاحكةً، فلا يجوز: مررتُ ضاحكةً بهندٍ^(٢).

والراجع في هذه المسألة هو اختيارُ ابنِ مالكٍ، وموافقته لابنِ برهانٍ، وهو جوازُ تقدُّمِ الحالِ على صاحبها المجرور؛ لمحيطه في كلام العرب، والآية السابقة دليلٌ على صحته؛ لأنَّ (كافَّةً) لا تكونُ إلا حالًا، كما ذكر ابنُ برهان.

(١) المقاصد الشافية ٤٥٦/٣.

(٢) ينظر: التذييل ٧٤/٩، شرح الأشموني ٢٦٤/٢، التصريح ٥٩١/١، الهمع ٣٠٧/٢.

المسألة الرابعة: فعلية (نعم، وبئس).

ذهب ابن برهان إلى أنَّ (نعم، وبئس) فعلاّن ماضيان، مستدلًّا على ذلك بعدّة أوجه، ذكرها في شرح اللّمع^(١)، ونقلها عنه ابن مالك في شرح التسهيل، موافقًا له في هذا القول، حيث قال: "يدلُّ على فعلية (نعم) و(بئس) اتصال تاء التأنيث بهما ساكنة في كلّ اللغات، واتصال ضمير الرفع البارز بهما في لغة حكاها الكسائي نحو: أخواك نعمًا رجلين، وإخوتك نعموا رجالًا، والهندات نعمن هندات.

وقال ابن برهان: الدليل على أنَّ (نعم) فعلٌ ماضٍ: رفعه الظاهر، وتضمُّنه الضمير، ودخول لام القسم عليه، وعطفه على الفعل الماضي^(٢).

دراسة المسألة:

مسألة (نعم، وبئس) والقول بفعليتيهما أو اسميتيهما من المسائل الخلافية التي وقعت بين البصريين والكوفيين، وتحدّث عنها أصحاب كتب الخلاف النحوي، على نحو مطوّل، استعرضوا فيها أدلة كلّ فريق، فالبصريون ومعهم الكسائي ذهبوا إلى أنّهما فعلاّن ماضيان جامدان، في حين ذهب الفراء وجمهور الكوفيين إلى أنَّ (نعم، وبئس) اسمان مبتدآن^(٣).

(١) ينظر: شرح اللّمع ص ٤١٧.

(٢) شرح التسهيل ٥/٣.

(٣) ينظر: المقتضب ١٤٤/٢، الأصول ١١١/١، الإيضاح العضدي ص ٨١، أمالي ابن الشجري ٤٠٤/٢، أسرار العربية ص ٩٦، الإنصاف ٨١/١، التبيين ص ٢٧٤، توجيه اللّمع ص ٣٨٨، شرح المفصل ١٢٧/٧، شرح الجمل لابن عصفور ٦١/٢، شرح الكافية للرضي ٢٤٢/٤، التذييل ٦٩/١٠، توضيح المقاصد ٩٠٢/٢، ائتلاف النصرة ص ١١٥.

وابنُ بَرهَانَ في هذه المسألة لم يكتفِ بتأييد قول البصريين فحسب، بل ساق الأدلة المَرَّجحة لهذا القول، حيث استدَلَّ برفعِهما للظاهر؛ لأنَّه فاعِلٌ، نحو: نَعَمْ الرجلُ.

واستدلَّ كذلك بتحُمُّلِهما الضمير؛ لأنَّ الإِضمارَ لا يكونُ إلا في الفعل، نحو: نَعَمْ الرجلُ زيدٌ، أي: (هو) ^(١).

ومن أدلِّته أيضًا: دخولُ لامِ القَسَمِ عليهما، وكذلك عطفُهما على الفعل الماضي، وهذان الأخيران من الأدلة التي تفرَّد بها ابنُ بَرهَانَ فيما وقفتُ عليه.

ووافقه ابنُ مالِكٍ في هذه الاستدلالات، وأضاف إليها دليلين آخرين وهما: اتصاُهما بقاء التانيث الساكنة، نحو: نِعَمَتِ المرأةُ، وبُسُتِ الجاريةُ؛ لأنَّ هذه التاءَ يختصُّ بها الفعلُ الماضي، ولا تتعدَّاه، فلا يجوز الحكمُ باسميةِ ما اتصلتْ به، وكذلك اتصاُ الضميرِ المرفوعِ بهما، كما يتصلُّ بالفعل، وذلك كما في حكاية الكسائي: (نَعَمًا رجلين، ونَعَمُوا رجالًا)، فاتصل الضميرُ بهما، كما اتصل في: قامَا وقامُوا، إذ إنَّ من علامات الفعل اتصاُله بضمير الرفع البارز ^(٢).

ومن الأدلةُ المعتبرة عند البصريين بناؤُهما على الفتح؛ وذلك لكونهما على بناءِ الفعلِ الماضي، ولو كانتا اسمين لكانتا مُعرَبَتين؛ لأنَّه لا سببَ

شرح الأشموني ٤٠/٣، التصريح ٧٧/٢.

(١) ينظر: شرح اللمع ص ٤١٧.

(٢) شرح التسهيل ٥/٣.

لبنائهما، لأنَّ الاسمَ إنما يُبنى لشبهه بالحرف، ولا مشابَهةً بين (نَعَمْ، وبُئْسَ) وبين الحرف، فدلَّ بناؤهما على الفتح على أنَّهما فعلاَنِ ماضيان. فهذه الأدلةُ هي أبرزُ ما استدلَّ به البصريون ومَن وافقهم في هذه المسألة^(١).

أمَّا الفراءُ والكوفيون فاستدلُّوا على اسميّتهما بعددٍ من الأدلةِ أبرزها: دخولُ حرفِ الجرِّ عليهما، وحرفُ الجرِّ مختصٌّ بالأسماء، ومن ذلك ما حُكي عن بعض العرب أنه بُشِّرَ بمولودةٍ، ف قيل له: نِعَمَ المولودةُ مولودُتُك، فقال: والله ما هي بنِعَمَ المولودةِ، نصرُّها بكاءً، وبُئِّرها سرقةً^(٢). وحُكي عن بعض العرب أيضًا أنه قال: "نِعَمَ السَّيْرُ على بُئْسَ العَيْرُ"، فدلَّ دخولُ الجرِّ عليهما على أنَّهما اسمان لا فعلاَنِ^(٣).

وكذلك: دخولُ حرفِ النداء عليهما، نحو: يا نِعَمَ المولى، ويا نِعَمَ النَّصير، وحرفُ النداء مختصٌّ بالأسماء^(٤).

وأيضًا: أنه لا يحسنُ اقترانُ الزمانَ بهما كسائر الأفعال، فلا يصح أن يُقال: نِعَمَ الرجلُ أمس، ولا نِعَمَ الرجلُ غدًا، فلمَّا لم يحسنُ اقترانُ الزمانَ بهما دلَّ على أنَّهما ليسا بفعالين.

(١) ينظر: الإنصاف ٨١/١، التبيين ص ٢٧٤، شرح ابن يعيش ١٢٧/٧، شرح الجمل لابن عصفور ٦١/٢، التذيل ٦٩/١٠، ائتلاف النصرة ص ١١٦.

(٢) ينظر: الإنصاف ٩٣/١، التبيين ص ٢٧٦، شرح ابن يعيش ١٢٨/٧، المقاصد الشافية ٥٠٨/٤، ائتلاف النصرة ص ١١٥.

(٣) تنظر: المراجع السابقة.

(٤) تنظر: المراجع السابقة.

ومن أدلتهم: عدم التصرُّف، فلو كانا فعلين لتصرَّفا تصرَّفَ الأفعال، فكان منهما المستقبل، والأمر، والمصدر، واسمُ الفاعل، لأنَّ التصرُّفَ من خصائص الأفعال، فلمَّا لم يتصرَّفا دلَّ على أنَّهما ليسا بفعلين.

ومنها أيضًا: دخول اللام عليهما إذا وقعا خبرين، نحو: إِنَّ زَيْدًا لِنِعْمِ الرجلِ، وهذه اللَّامُ لا تدخلُ إلَّا على الاسم، أو على الفعل المضارع، و(نِعْمَ، وبِئْسَ) ليسا مضارعين، والماضي لا تدخل عليه، فثبت أنَّهما اسمان.

وكذلك: أنَّه قد جاء عن العربِ قولهم: نَعِيمَ الرجلِ زَيْدٌ، وليس في أمثلة الأفعالِ بناءٌ على وزن (فَعِيلٍ)، فدلَّ على أنَّهما اسمان لا فِعلان.

هذه أبرزُ حُجَجِ الكوفيين في اسمية (نِعْمَ، وبِئْسَ)، وتأوَّل القائلون بالفعلية جميع ما احتجَّ به هؤلاء بكلامٍ يطولُ ذكره.

والراجح في هذه المسألة هو ما اختاره ابنُ مالك موافقًا فيه لابنِ برهانٍ وجمهورِ البصريين، وهو القولُ بفعلية (نِعْمَ، وبِئْسَ)؛ وذلك لما تقدَّم من الأدلة، وهو كذلك اختيارُ أصحابِ كتبِ الخلافِ النحوي^(١).

المسألة الخامسة: فعلية (حَبَّذَا).

ذهب ابنُ برهانٍ إلى أنَّ (حَبَّذَا) مركَّبٌ من فعلٍ وفاعل^(٢)، ووافقه ابنُ مالك، وذكر أنَّه ظاهرُ قولِ سيبويه، حيث قال: "والذي اخترته من كونِ (حَبَّ) باقيًا على فعليّته، وكونِ (ذَا) باقيًا على فاعليّته، هو مذهبُ اختيارِ

(١) ينظر: الإنصاف ٨١/١، التبيين ص ٢٧٤، ائتلاف النصرة ص ١١٥.

(٢) ينظر: شرح اللمع ص ٤٢٠.

أبي علي، ذكر أبو علي كَوْنَ (حَبَّذا) فعلاً وفاعلاً في البغداديات، الفارسي^(١)، وابن برهان، وابن خروف^(٢)، وهو ظاهر قول سيبويه، وزعم قوم منهم ابن هشام اللخمي أنَّ مذهب سيبويه جعلُ (حَبَّذا) مبتدأً مخبراً عنه بما بعده، قال ابن خروف^(٣): (حَبَّ) فعلٌ، و(ذا) فاعله، و(زيدٌ) مبتدأٌ، وخبره (حَبَّذا)، هذا قول سيبويه، وأخطأ مَنْ زعمَ غيرَ ذلك^(٤).

دراسة المسألة:

(حَبَّذا) من أساليب المدح، وتُشَبَّه (نَعَمْ) في المعنى والعمل، إلا أنَّها تزيد بكون الممدوح بها محبوباً للقلب^(٥).
وكما يُقال في المدح (حَبَّذا) يُقال في الذمِّ (لا حَبَّذا)، ومن شواهد استعمالهما:

أَلَا حَبَّذَا عَاذِرِي فِي الْهَوَى ... وَلَا حَبَّذَا الْجَاهِلُ الْعَاذِلُ^(٦)
و(حَبَّذا) من المركَّبات المختلَفِ فيها على ثلاثة أقوال:
أحدها: أنَّ (حَبَّذا) أصلُهما الفعل والفاعل، لكنَّ صُيِّرَا بالتركيب اسمًا واحدًا مرفوعًا بالابتداء، وما بعده خبره، وليست (حَبَّ) بباقية على ما كانت

(١) ينظر: المسائل البغداديات ص ٢٠١.

(٢) ينظر: شرح الجمل ص ٥٩٩.

(٣) شرح الجمل ٥٩٩/١.

(٤) شرح التسهيل ٢٣/٣.

(٥) ينظر: شرح ابن يعيش ٤/٤٠٤، الهمع ٣/٣٨.

(٦) البيت من المتقارب، بلا نسبة في شرح التسهيل ٣/٢٦، وشرح عمدة الحافظ ص ٨٠٢،

وأوضح المسالك ٣/٢٨٣، والمقاصد النحوية ٤/١٦، والهمع ٢/٨٩.

عليه من الفعلية، وهذا رأي المبرد، وابن السراج، والزجاجي، والسيري، وابن جني، وجمهور المتأخرين، كالشلوبين، وابن عصفور، ونسب هذا القول إلى الخليل وسيبويه.

وأبرز ما احتج به هؤلاء هو أنهما صارا بمنزلة كلمة واحدة بدليل عدم تصرف (ذا) كما تتصرف في بقية المواضع، وكذلك عدم الفصل بين (حب) و(ذا)، وقالوا باسميته لكون تغليب الاسم على الفعل أولى؛ لأنه أصل للفعل. ومما يرجح اسميته وجود التركيب في الأسماء نحو (بعلبك) بخلاف الأفعال، وكذلك دخول ياء النداء عليه، والنداء من خواص الأسماء^(١).

والثاني: أن (حبذا) بجمليتها فعل، والمخصوص هو الفاعل، صار (حب) و (ذا) بالتركيب فعلاً لا اسماً، لكون الفعل أسبق من الاسم، وأكثر حروفاً منه، وقد نسب هذا المذهب إلى الأحفش، والجزمي، والزبيدي، وخطاب الماردي^(٢).

وثالث المذاهب هو أن (حب) فعل و(ذا) فاعل به، وهو مذهب ابن كيسان، والفارسي، وابن برهان، وابن خروف، وذكر أنه الظاهر من قول سيبويه، وهو الذي اختاره ابن مالك.

(١) ينظر: المقتضب ١٤٥/٢، الأصول ١٤١/٢، الجمل ص ١١٠، شرح السيرافي ١٢/٣، سر الصناعة ١٣٢/١، التوطئة ص ٢٧٤، شرح الجمل لابن عصفور ٧٥/٢.

(٢) ينظر: شرح الجمل لابن عصفور ٧٦/٢، الارتشاف ٢٠٥٩/٤، المقاصد الشافية ٥٥٢/٤.

وسبب الاختلاف فيما نُسب إلى سيويه راجعٌ إلى فهم كلامه في هذه المسألة، حيث قال: "وزعم الخليل - رحمه الله - أنَّ (حَبَّذا) بمنزلة حبِّ الشيء، ولكن (ذا) و(حبَّ) بمنزلة كلمة واحدةٍ، نحو (لولا)، وهو اسمٌ مرفوع، كما تقول: يا ابنَ عمِّ، فالعمُّ مجرورٌ، ألا ترى أنَّك تقول للمؤنث: حَبَّذا، ولا تقول: حَبَّذه؛ لأنَّه صار مع (حبَّ) على ما ذكرتُ لك، وصار المذكرُ هو اللازم، لأنَّه كالمثل" (١).

قال أبو حيان: "قال أستاذنا أبو جعفر بن الزبير - رحمه الله - "لا تَعْلَقْ لِمَنْ يَنْسَبُ إِلَيْهِ أَنَّ (حَبَّذا) كلُّه اسمٌ بهذا اللفظ؛ إذ ليس صريحًا، بل لو قيل إنَّ ظاهره رَعَى الفصلَ لكان الوجه؛ ألا ترى تنظيره بـ(ابن عمِّ)، وقوله (فالعمُّ مجرور)، وتعويله على تعليل بقاء (ذا) مع المذكرِ والمؤنثِ على صورةٍ واحدةٍ، فلهذا عَوَّلَ ابنُ خروف، وأبو علي الشلوبين على هذا المفهوم" (٢).

واحتج ابنُ مالكٍ لصحَّةِ هذا القولِ بدليل الاستصحاب، حيث إنَّه لا خلاف في فعلية (حبَّ) وفاعلية (ذا) قبل التركيب، وأنَّهما بعد التركيب لم يتغيرا معنًى ولا لفظًا، فوجب بقاءهما على ما كانا عليه، كما وجب بقاء حرفية (لا) واسمية ما رُكِبَ معها في نحو: (لا غلامَ لك)، وأيضًا لو كان (حَبَّذا) مركبًا مُخْرِجًا لها من نوعٍ إلى نوعٍ لكان لازمًا كلزوم تركيب (إذما)، ومعلومٌ أنَّ تركيب (حَبَّذا) لا يلزم؛ لجوازِ الاقتصارِ على (حبَّ) عند العطف، كقول بعض الأنصار رضي الله عنهم: فحَبَّذا ربًّا وحبَّ دينًا.

(١) الكتاب ٢/ ١٨٠.

(٢) التنزيل ١٠/ ١٦٠.

واعترض ابنُ مالك على ابنِ عصفور في احتجاجه لاسميتها بالنداء، بأنَّ دخولَ (يا) النداء على فعل الأمرِ أكثرُ من دخولها على (حَبَّذا)، ومن ذلك قراءةُ الكسائي: (أَلَا يَا اسْجُدُوا) وقال العلماء: تقديره: أَلَا يَا هَؤُلَاءِ اسْجُدُوا^(١)، فكذلك يكون التقدير في يا حَبَّذا: يا قومُ حَبَّذا، ونحو ذلك^(٢).

والذي يظهرُ لي أنَّ الراجحَ في هذه المسألة هو اختيارُ ابنِ مالك، الذي وافق فيه ابنُ برهانَ، وهو أنَّ (حَبَّذا) فعلٌ وفاعلٌ، ولا يطعنُ في هذا القولِ عدمُ تغييرهما مع أحوالِ المخصوصِ بالمدح؛ لكونهما جرياً مجزئاً الأمثال.

المسألة السادسة: مِنْ معاني الكافِ الجارَّةِ (التَّعْلِيل).

يرى ابنُ برهانَ أنَّ مِنْ معاني الكافِ الجارَّةِ التَّعْلِيلَ، قال في الشرح: "و(كَي) معناها العَرَضُ، وقد تردُّ (حَتَّى) بذلك المعنى، وكذلك الكافُ، في نحو قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١]، ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩] وعلى هذا يكونُ التقديرُ في قولِ الخليل وسيبويه: ﴿وَيَكَاَنَّهُ﴾ [القصص: ٨٢]: أَيُّ أَعْجَبُ؛ لَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ"^(٣).

ووافقه ابنُ مالكٍ في هذا المعنى، حيث قال: "وجعلَ ابنُ برهانَ مِنْ هذا قوله تعالى: ﴿وَيَكَاَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ أَيُّ: أَعْجَبُ؛ لَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ

(١) ينظر: حجة القراءات ص ٥٢١، النشر في القراءات العشر ٢/٣٣٧.

(٢) ينظر: شرح التسهيل ٣/٢٣-٢٤.

(٣) شرح اللمع ١٢٨.

الكافرون، وكذا قدره، ثم قال: وحكى سيبويه: كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه، أي: لأنه لا يعلم^(١).

وقال في شرح الكافية: "كون الكاف الجارة حرف تشبيه هو المشهور، ودلائلها على التعليل كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وكقوله: ﴿وَيَكُنَّ لَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: أعجب؛ لأنه لا يفلح الكافرون، كذا قدره ابن برهان^(٢).

دراسة المسألة:

من المعلوم أن أشهر معاني الكاف الجارة التشبيه، إلا أنها قد تأتي لمعانٍ أخر ذكرها النحاة^(٣)، ومن هذه المعاني ما ذكره ابن برهان، واختاره ابن مالك وهو معنى التعليل، ومن شواهد هذا المعنى الآيات السابقة، وقد أثبت بعضهم ونفاه الأكترون، كما ذكر ابن هشام، وبعضهم قيد جوارزه بأن تكون الكاف متصلةً بـ (ما) الزائدة، كما فعل المالقي حين لم يذكر هذا المعنى في حرف الكاف، وإنما ذكره في مادة مستقلة وهي (كما)^(٤)، إلا أن حملها على هذا المعنى في قوله تعالى ﴿وَيَكُنَّ لَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ يرد على هذا القيد^(٥).

(١) شرح التسهيل ١٧٣/٣.

(٢) شرح الكافية ٨١١/٢.

(٣) ينظر: في معاني الكاف: رصف المباني ص ٢١٣، الجني الداني ص ٨٤، مغني اللبيب ٧/٣.

(٤) ينظر: رصف المباني ص ٢١٣.

(٥) ينظر: المغني ٧/٣-٨.

وقد أثبت معنى التعليل لهذا الحرف جماعة منهم الأخفش^(١)، مستدلّين بما حكاه سيبويه عن العرب: "كما أنّه لا يعلم، فتجاوزَ الله عنه". أي: لأنّه لا يعلم^(٢).

وذهب جمهورُ المفسّرين إلى أنّ معنى الكاف في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨] هو التشبيه، أي: اذكروه مثل ما هداكم، وكذلك في قوله عز وجل ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ أي: مثل ما أرسلنا^(٣).

أما قوله تعالى: ﴿وَيَكَاَنَ اللَّهُ﴾ [القصاص: ٨٢] وقوله: ﴿وَيَكَاَنَهُ﴾ فذهب المفسرون إلى أنّ (وَيَكَاَنَ) كلّها كلمة متصلة بسيطة، ومعناها: ألم تر أنّ الله^(٤).

أمّا أهل اللغة فقد أشكلت عليهم هذه اللفظة كما قال الزجاج^(٥)، وذهبوا فيها إلى عدّة مذاهب، أحدها: أنّ «وَيَ» كلمة برأسها وهي اسم فعلٍ معناها أعجب أي أنا، والكاف للتعليل، وأنّ وما في حيزها مجرورة بها، والتقدير: أعجب؛ لأنّه لا يفلح الكافرون، وقياسُ هذا القول أنّ يُوقَفَ على «وَيَ» وحدها.

(١) ينظر: الجنى الداني ص ٨٤.

(٢) ينظر: الكتاب ١٤٠/٣.

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية ٢٧٢/١، تفسير القرطبي ٤٢٧/٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن للأخفش ٤٧٢/٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٥٦/٤، البحر المحيط ٣٢٩/٨، الدر المصون ٦٩٨/٨.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٥٦/٤.

وهذا القولُ حكاةُ سيبويه عن الخليل، وهو الذي ذهب إليه ابنُ برهان واختاره ابنُ مالك.

والثاني: كذلك (وَيْ) للتعجب، و(كَأَنَّ) هنا للتشبيه، إلاَّ أنَّه ذهب منها معناها، وصارت للخبر واليقين، وكذلك يُناسب هذا المعنى الوقفُ على (وَيْ).

والثالث: أنَّ «وَيْكَ» كلمةٌ برأسها، والكافُ حرفُ خطابٍ، و(أَنَّ) معمولُهُ محذوفٌ، أي: أعلمُ أنه لا يُفْلِحُ. ويُناسب هذا المعنى الوقوفُ على «وَيْكَ».

والرابع: أنَّ أصلَها: (وَيْلَكَ) فحذَفَ، وإليه ذهب الكسائيُّ وأبو حاتم وجماعةٌ، ويناسبها كذلك الوقوفُ على (وَيْكَ).

وخطأُ الزجاجُ هذا القولَ من عدَّةِ أوجه، وذكر أنَّ الصحيحُ هو قولُ الخليل وسيبويه، حيث قال: "وقال بعضُ النحويين - وهذا غلطٌ عظيم - إنَّ معناها: وَيْلَكَ اعْلَمْ أَنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافرون، فحذَفَ اللامَ فبقيَتْ (وَيْكَ) وَحَذَفَ (اعلم) أَنَّهُ لا يفلحُ الكافرون، وهذا خطأٌ من غيرِ جهةٍ: لو كان كما قال لكانت (أَنَّ) مكسورةً كما تقول: وَيْلَكَ إِنَّهُ قَدْ كَانَ كذا وكذا، ومن جهةٍ أخرى: أنَّ يُقَالَ لمن خاطَبَ القومَ بهذا فقالوا: وَيْلَكَ "إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافرون"، ومن جهةٍ أخرى: أَنَّهُ حَذَفَ اللامَ من (وَيْل)، والقولُ الصحيحُ في هذا ما ذكره سيبويه عن الخليل ويونس^(١).

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣١٢/٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٥٦/٤، البحر المحيط

وبعد عرض هذه الأقوال يترجح لي اختيارُ ابنِ مالكٍ الموافق لقول ابنِ برهانٍ، وهو القول بأنَّ «وَيَ» كلمةٌ برأسها وهي اسمُ فعلٍ معناها أَعْجَبْتُ أيُّ أنا، والكافُ للتعليل.

المسألة السابعة: مجيءُ (أَوْ) للإضراب.

ذكر ابنُ برهانٍ أنَّ مِنْ معاني (أَوْ) أنَّها تَجِيءُ للإضراب، فتكوُنُ بمعنى (بَلْ)، وهذا القولُ نقله عن أبي علي الفارسي، قال في شرح اللُّمع: "قال أبو علي: (أَوْ) حرفٌ يُستعملُ على ضربين: أحدهما: أن يكونَ لأحدِ الشيئين، أو الأشياءِ في الخبر أو الاستفهام، والآخر: أن يكونَ للإضراب عمَّا قبله في الخبر أو الاستفهام"^(١)، ثم وضَّح ابنُ برهانٍ المرادُ بهذا الضَّرْبِ بقوله: "وأما الضَّرْبُ الثاني فنحو: أنا أخرجُ، ثم تقول، أو أُقيمُ، أضربتُ عن الخروج، وأثبتَّ الإقامة كَأَنَّكَ قلتَ: لا بَلْ أُقيمُ"^(٢).

ومجيءُ (أَوْ) على هذا المعنى هو قولُ الكوفيين، والفراسي، وابنِ جني، وابنِ برهان، وهو اختيارُ ابنِ مالك، قال في شرح الكافية الشافية: "وأجاز الكوفيون موافقتها (بَلْ) في الإضراب، وحكى الفراء: "اذهب إلى زيد، أو دَعْ ذلك، فلا تَبْرَحَ اليوم"، فالظاهرُ أنَّ هذا إضرابٌ صريحٌ، ووافق الكوفيون أبو علي، وابنُ برهان"^(٣).

(١) شرح اللمع ص ٢٤٧.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) شرح الكافية الشافية ٢٢١/٣.

وقال في شرح التسهيل: "وَمِنْ مَجِيئِهَا لِلْإِضْرَابِ قِرَاءَةُ أَبِي السَّمَّالِ^(١): ﴿أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠] قال أبو الفتح: معنى (أَوْ) هنا (بَلْ) بمنزلة (أَمْ) المنقطعة فكأنه قال: بَلْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا، قال: و(أَوْ) التي بمنزلة (أَمْ) المنقطعة موجودة في الكلام كثيراً^(٢)، وقال الفراء في قوله تعالى ﴿إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفات: ١٤٧]: (أَوْ) هنا بمعنى (بَلْ)^(٣)، كذا جاء في التفسير، مع صحته في العربية"^(٤).

دراسة المسألة:

ذكر العلماء أنَّ أبرزَ معاني (أَوْ) هي التخيير، والإباحة، والشك، والإبهام، والتفصيل^(٥)، واختلف النحاة في مجيئها للإضراب، فمنهم من أجاز استعمالها بمعنى (بَلْ) مطلقاً، وهذا قول الكوفيين وأبي علي الفارسي وابن جني، وابن برهان^(٦).

(١) تنظر قراءته في المحتسب ١٨٣/١.

(٢) ينظر: المحتسب ١٨٣/١.

(٣) ينظر: معاني القرآن ٧٢/١.

(٤) شرح التسهيل ٣٦٣/٣.

(٥) ينظر في معاني (أَوْ): الأزهية ص ١١١، رصف المباني ص ١٣١، الجني الداني ص ٢٢٧، مغني اللبيب ٣٩٨/١.

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء ٧٢/١، المحتسب ١٨٣/١، أمالي ابن الشجري ٧٧/٣، الإنصاف ٣٩١/٢، توجيه اللمع ص ٢٨٦، شرح الجمل لابن عصفور ١٩١/١، الجني ص ٢٢٩، المغني ٤١٨/١.

ومنهم مَنْ قَيَّدَ استعمالها للإضراب بشرطين، لا مطلقاً: الشرط الأول: تقدُّمُ نفيٍّ أو نهيٍّ، يعني: لا تكون (أو) للإضراب إلا إذا تقدَّمَ النهي أو النفي عليها.

والشرط الثاني: إعادةُ العامل، نحو: ما قام زيدٌ أو ما قام عمروٌ، ولو قال: ما قام زيدٌ أو عمروٌ، لم يصحَّ استعمالها للإضراب، فلا بُدَّ إذن من إعادة العامل، وتقدُّمُ النفي أو النهي عليها، ونُسب هذا القول إلى سيبويه^(١)، في حين ذهب البصريون وأكثر النحاة إلى أنَّها لا تُستعمل للإضراب مطلقاً^(٢).

والذي اختاره ابنُ مالك هو قول الكوفيين ومَنْ وافقهم، كالفارسي، وابن جني، وابن برهان، قال في نظمه:

خيرٌ أبلغَ قسَمٍ بأوٍ وأبهم ... واشكُّ وإضرابٌ بها أيضاً تُمي

واستدلَّ هذا الفريقُ على صحَّةِ مجيئها للإضراب بكثرة شواهدِها من كتاب الله تعالى ومِن كلام العرب، فمن شواهدِها الآيتان السابقتان، وكذلك قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ

(١) ينظر: الجني ص ٢٢٩، المغني ٤١٧/١، الهمع ١٧٣/٣.

(٢) ينظر: المقتضب ٣٠٤/٣، شرح السيرافي ٤٢٧/٣، أمالي ابن الشجري ٧٧/٣، الإنصاف ٣٩١/٢، شرح الجمل لابن عصفور ١٩١/١، الجني ص ٢٢٩، المغني ٤١٨/١.

هُوَ أَقْرَبُ ﴿ [النحل: ٧٧]، وقوله عز وجل: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ﴿ [النجم: ٩].

ومن كلام العرب ما جاء في قول الشاعر^(١):
بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْثِ الضُّحَى ... وَصُورَتَهَا أَوْ أَنْتَ فِي
الْعَيْنِ أَمْلَحُ
وكذلك قول جرير^(٢):

مَاذَا تَرَى فِي عِيَالٍ قَدْ بَرِمَتْ بِهِمْ ... لَمْ أُخْصِ عِدَّتَهُمْ إِلَّا بِعَدَادِ
كَانُوا ثَمَانِينَ، أَوْ زَادُوا ثَمَانِيَةَ ... لَوْلَا رَجَاؤُكَ قَدْ قَتَلْتُ أَوْلَادِي
ففي هذه الشواهد جاءت (أَوْ) بمعنى (بَلْ) للإضراب.
أما الجمهور فلا يرون في هذه الشواهد حُجَّةً لهم؛ لأنَّ (أَوْ) فيها
للإبهام أو الشك، فهي لم تخرج عن أصلها، ففي الآية: ﴿إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُونَ﴾ [الصفات: ١٤٧]، حكاية لقول المخلوقين، وتأويله: وأرسلناه إلى
جمع لو رأيتموهم لقلتم أنتم فيهم: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون^(٣).

(١) البيت من: الطويل، لذي الرمة في ملحق ديوانه ص ١٨٥٧، وهو من شواهد: معاني
القرآن للفراء ٧٢/١، شرح السيرافي ٤٣١/٣، الخصائص ٤٦٠/٢، الإنصاف ٣٩١/٢،
شرح الجمل لابن عصفور ١٩١/١، الأزهية ص ١٢١.

(٢) البيتان من البسيط، ينظر: ديوان جرير ص ٧٤٥، وهو من شواهد: شرح اللمع لابن
برهان ص ٢٤٩، شرح عمدة الحفاظ ص ٧٢٦، شرح ابن عقيل ٢٣٣/٣، مغني اللبيب
٤١٩/١، الهمع ٣٧١/٣، شرح الأشموني ١٠٨/٢.

(٣) ينظر: المقتضب ٣٠٤/٣، شرح السيرافي ٤٢٧/٣، أمالي ابن الشجري ٧٧/٣، الكشف
٦٢/٤، الإنصاف ٣٩١/٢، شرح الجمل لابن عصفور ١٩١/١، البحر المحيط ١٢٥/٩،

قال النحاس: "قال أبو عبيدة والفراء هي بمعنى (بَلْ) وهذا خطأً عند أكثر النحويين الحدّاق، ولو كان كما قالوا لكان: وأرسلناه إلى أكثر من مائة ألف واستغنى عن (أَوْ)"^(١).

ووجهُ (أَوْ) في الآيات الأخرى أن تكونَ للتخيير، أو للإبهام^(٢)، وما جاء منها في الشّعر فليست بمعنى (بَلْ)؛ لأنَّ مذهب الشعراء أن يُخرجوا الكلامَ مُخْرَجَ الشكِّ وإن لم يكن هناك شكٌّ؛ ليدلُّوا بذلك على قوّة الشّبه^(٣). والذي يظهر لي أن اختيار ابن مالك وموافقته لابن برهان في هذه المسألة هو خلافُ الراجح، وأنَّ (أَوْ) لا تخرج عن أحد المعاني التي ذكرها الجمهور، وأمّا ما احتجَّ به القائلون بالإضراب فيمكنُ توجيهه على التخيير أو الإبهام وذلك لأغراضٍ بلاغية.

الجنى ص ٢٢٩، المغني ٤١٨/١.

(١) معاني القرآن ٦٠/٦.

(٢) ينظر: شرح السيرافي ٤٢٧/٣، أمالي ابن الشجري ٧٨/٣، المغني ٤٢١/١.

(٣) ينظر: الإنصاف ٣٩٤/٢.

المبحث الثاني: الاعتراضات:

المسألة الأولى: دلالة (كان) الناقصة على الزمان دون الحدث.

ذهب ابن برهان إلى أنَّ (كان) وأخواتها سُمِّيَتْ بالأفعالِ الناقصةِ لكونها لا تدلُّ على الحدث، وإنما هي لمجرّد الزمان، فصارت ناقصةً الدلالة، وأنَّ الخبرَ هو الحدث الذي قُصِدَ الإخبارُ به عن اسمها^(١).

واعترض على هذا القول ابنُ مالك حيث ذهب إلى أنَّها دالةٌ على الحدث كما هي دالةٌ على الزمان، إلّا (ليس) فلا تدلُّ على حدثٍ كما لا تدلُّ على الزمان، وإنما سُمِّيَتْ نواقصَ لعدم اكتفائها بمرفوعها، قال في شرح التسهيل: "زعم جماعة منهم ابنُ جني، وابنُ برهان، والجرجانيُّ أنَّ (كان) وأخواتها تدلُّ على زمن وقوع الحدث، ولا تدلُّ على حدث، ودعواهم باطلةٌ من عشرة أوجه"^(٢).

دراسة المسألة:

في الأفعال الناقصة خلافٌ بين النحويين، هل تدلُّ على معنى الحدث أم هي لمجرّد الزمان؟

فذهب أكثرُ النحاةِ إلى أنَّ نقصانَ هذه الأفعالِ هو عدمُ دلالتها على معنى الحدث، وأنَّ تمامها هو دلالتها على الحدث والزمان، ومن هؤلاء: ابن

(١) ينظر: شرح اللمع ص ٤٩.

(٢) ينظر: شرح التسهيل ٣٣٨/١.

السراج، والفارسي، وابن جني، وابن برهان، والجرجاني، وأبي البقاء العكبري، وابن يعيش، والشلوبين^(١).

قال أبو حيان: "وهو ظاهرُ مذهب سيبويه"^(٢)، إشارةً إلى نصّه في الكتاب، إذ يقول: "واعلم أنّه لا يجوزُ لك أن تقولَ: عَبْدَ اللَّهِ المقتولَ، وأنت تريدُ: كُنْ عَبْدَ اللَّهِ المقتولَ؛ لأنّه ليس فعلاً يصلُ من شيءٍ إلى شيءٍ، ولأنّك لست تشيّرُ له إلى أحدٍ"^(٣)، وجاء في شرح التصريح أنّ هذا القول هو مذهب سيبويه وأكثر البصريين^(٤).

وذهب ابن مالك وغيره إلى أنّ هذه الأفعال تدلُّ على الحدث والزمان، كسائر الأفعال، وإنما سُميت بالناقصة لعدم اكتفائها بالمرفوع، وإنّما لم تكتفِ بمرفوع؛ لأنّ حدثها مقصودٌ إسناده إلى النسبة التي بين معموليها، ونسب هذا القول إلى كلّ من سيبويه، والمبرد، والسيراfi، ثم أطال في الردّ على القائلين بعدم دلالتها على معنى الحدث، وأبطل دعواهم من عشرة أوجه، ساقّصر على أهمّها، وتُنظر البقيّة في كتابه شرح التسهيل^(٥).

فمن أهمّ الأدلّة التي احتجّ بها استدلاله بالأصل، حيث ذكر أنّ النحاة جميعاً يذهبون إلى أنّ (كان) وأخواتها أفعالٌ، ومن المعلوم أنّ الفعل يدلُّ على

(١) ينظر: الأصول ٨٢/١، المسائل العسكرية ص ٩٦، التمام لابن جني ص ١٧١، المقتصد

٣٩٨/١، الباب ١٦٤/١، شرح المفصل ٣٣٦/٤، التوطئة ص ٢٢٤.

(٢) الارتشاف ص ١١٥١، التذييل ١٣٣/٤.

(٣) الكتاب ٢٦٤/١.

(٤) ينظر: ٢٤٩/١.

(٥) ٣٤١-٣٣٨/١.

الحدث والزمن؛ فإذا كانت (كان) وأخواؤها أفعالاً؛ فإنها تدلُّ لا محالة على الحدث والزمن؛ إبقاءً للأصل: وهو دلالة الفعل عليهما، قال ابن مالك: "ودعواهم باطلة من عشرة أوجه: أحدها: أَنَّ مُدَّعِيَّ ذلك مُعْتَرِفٌ بفعليَّة هذه العوامل، والفعليَّة تستلزم الدلالة على الحدث والزمان معاً، إذ الدالُّ على الحدث وحده مصدرٌ، والدالُّ على الزمان وحده اسمُ زمان، والعوامل المذكورة ليست بمصادر ولا أسماء زمان، فبطلَ كونها دالةً على أحد المعنيين دون الآخر.

الثاني: أَنَّ مُدَّعِيَّ ذلك مُعْتَرِفٌ بأنَّ الأصلَ في كلّ فعلٍ الدلالة على المعنيين، فحكمه على العوامل المذكورة بما زعم إخراج لها عن الأصل، فلا يُقبل إلا بدليل" (١).

فهذان الوجهان من أدلة استصحاب الحال، وهو كما عرّفه ابن الأنباري: إبقاء حال اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل (٢)، وذكر أنّه من الأدلة المعتبرة (٣)، وأورده السيوطي في اقتراحه من بين الأدلة التي استدلّ فيها النحاة بالأصل (٤).

ومن أهمّ هذه الأدلة أيضاً: أَنَّ هذه الأفعال لو لم يكن لها مصادراً لم تدخل عليها (أَنَّ)، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ [الأعراف: ٢٠]؛

(١) شرح التسهيل ٣٣٨/١.

(٢) ينظر: الإغراب في جدل الإعراب ص ٤٦.

(٣) ينظر: لمع الأدلة ص ١٤١.

(٤) ينظر: الاقتراح في أصول النحو ص ١٣٧.

لأنَّ (أَنْ) هذه وما وُصِلَتْ به في تأويل المصدر، وقد جاء مصدرها صريحًا في قول الشاعر^(١):

بَبَذِلٍ وَحَلِمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ الْفَقَى ... وَكَوْنُكَ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرُ

قال أبو حيان: "وهذا أحدُ الوجوه العشرة التي ردَّ بها المؤلفُ على مَنْ قال إنها لا تدلُّ على الحدث، وهو أقواها؛ إذ هو دليلٌ سَمْعِيٌّ ثابتٌ من لسان العرب"^(٢).

وذهب ابنُ خروف، وابن عصفور إلى أنها أُشْتُقَّتْ من مصادرٍ لم يُنْطَقْ بها، قال ابن عصفور: "وقد تفرَّزَ من كلام العرب أنهم قد يستعملون الفروع، ويُهْمَلون الأصول، والذي حَمَلَ على ادِّعاءٍ مصادرٍ لهذه الأفعال قد رفضَ النطقَ بها أنَّها أفعال، فينبغي أن تكونَ بمنزلة سائر الأفعالِ في أنَّها مأخوذةٌ من حدثٍ، ومما يدلُّ على أنَّ في هذه الأفعال معنى الحدثِ أمرُهم بها، وبناء اسمِ الفاعل منها، نحو: كُنْ قائمًا، وأنا كائنٌ منطلقًا، والأمرُ لا يُتصوَّرُ بالزمان، وكذلك لا يُبْنَى اسمُ الفاعل من الزمان"^(٣).

-
- (١) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ١ / ٢٣٩، ووالارتشاف ص ١١٥٢، تخلص الشواهد ص ٢٣٣، وشرح الأشموني ١ / ١١٢، التصريح ١ / ١٨٧، وشرح ابن عقيل ص ١٣٨، والمقاصد النحوية ٢ / ١٥، والهمع ١ / ٣٦٢.
- (٢) التذيل والتكميل ٤ / ١٣٦.
- (٣) شرح الجمل ١ / ٣٧٠.

واعترض عليهم أبو حيان بالسَّماع، حيث قال: "والصحيح أن لها مصادر، وقد أعملتها العربُ إعمالَ أفعالها، قالوا: كونك مطيعًا مع الفقير خيرٌ من كونك عاصيًا مع الغني" (١).

والذي يترجَّح لي في هذه المسألة هو صحة اعتراض ابن مالك على ابن برهان، وأن اختيار ابن مالك القائل بأن كان تدلُّ على الحدث الذي هو الكون، هو الراجح، خلافًا لابن برهان وغيره، بدليل مجيء المصدر وكذلك اسم الفاعل منها، كما تقدم، ومعلوم أن المصدر هو الحدث المجرد من الزمان، واسم الفاعل يدلُّ على الحدث ومن قام به، فهي إذن تدلُّ على الحدث وهو الكون.

المسألة الثانية: جوازُ تقدُّم خبر (ليس) عليها.

ذهب ابن برهان إلى جوازِ تقدُّم خبر (ليس) عليها، معتلًا لجواز ذلك بالسَّماع والقياس، قال في شرح اللُّمع: "ولنا في جوازه روايةٌ ودرايةٌ: فأما الروايةُ، فقولُه تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ [هود: ٨]، وتقدُّم معمول الخبرِ كتقدُّم عامله.

وأما الدرايةُ، فإنَّ (إنَّ) إذا كان خبرها غيرَ ظرف، لم يصح تقدُّمه لا على اسمها ولا عليها، و(كان) يصحُّ تقدُّم خبرها على اسمها وعليها، فلمَّا كانت (ليس) بمثابة في أحد الوجهين، كانت كذلك في الوجه الآخر، هذه علةٌ تطرَّد وتنعكس" (٢).

(١) الارتشاف ص ١١٥٢، التذييل ١٣٥/٤.

(٢) شرح اللُّمع ص ٥٨-٥٩.

واعترض ابن مالك على هذا القول، حيث ذهب إلى امتناع تقدّم الخبر عليها، قال في شرح التسهيل: "واختلّف في تقديم خبر (ليس) عليها، فأجازه سيبويه، ووافقه السيرافي، والفارسي، وابنُ برهان، والزحشري. ومنعه الكوفيون، وأبو العباس، وابنُ السراج، والجرجاني، وبه أقول؛ لأنّ (ليس) فعلٌ لا يتصرّف في نفسه، فلا يتصرّف في عمله، كما وجب لغيره من الأفعال التي لا تتصرّف كـ(عسى) و(نعم) و(بئس) وفعل التعجب" (١).

دراسة المسألة:

تقدّم خبر (ليس) عليها من المسائل الخلافية التي وقعت بين البصريين والكوفيين (٢)، إذ ذهب البصريون إلى جواز تقدّم الخبر عليها معتلّين بالسّماع والقياس، ووافق البصريين في هذا القول جمع من النحاة، منهم: أبو علي الفارسي، وابنُ جني، وابنُ برهان، والزحشري، والشلوبين، وابنُ يعيش، وابنُ عصفور، وابنُ أبي الربيع، ونسبه ابن جني إلى سيبويه (٣).

واعتلّ هؤلاء بعلّي السّماع والقياس، أمّا السّماع فعلى النحو الذي ذكره ابنُ برهان في الآية السابقة، في حين تعدّدت أقيستهم في هذه المسألة:

(١) شرح التسهيل ٣٥١/١.

(٢) ينظر في هذه المسألة: المسائل الحلبات ص ٢٨٠، الخصائص ١٨٨/١، أسرار العربية ص ١٤١، الإنصاف ص ١٣٨، التبيين ص ٢٤٤، توجيه اللمع ص ١٣٩، التوطئة ص ٢٢٨، شرح الكافية للرضي ٢٠١/٤، الارتشاف ص ١١٧١، المقاصد الشافية ١٧٠/٢، ائتلاف النصرة ص ١٢٣، شرح الأشموني ٣٧٠/١، التصريح ٢٤٥/١.

(٣) ينظر: الإيضاح ص ١٠١، الخصائص ١٨٨/١، المفصل ص ٢٦٩، شرح المفصل ١١٤/٧، التوطئة ص ٢٢٨، شرح الجمل ٣٧٤/١، البسيط ص ٦٧٨.

فالفارسي وابنُ برهانَ أجازا تقدُّمَ الخبرِ عليها قياسًا على (كان)؛ لأنَّ
كان يجوز فيها تقدُّمَ خبرِها عليها؛ لتصرُّفها، نحو: منطلقًا كان زيدٌ، و(ليس)
كذلك يجوز فيها على القياسِ، على الرغم من عدم تصرُّفها^(١).

وقاسها ابنُ يعيش على مطلقِ الأفعال، لكونها فعلًا في نفسها، واعتلَّ
لعدم مجيء لفظِ المضارعِ منها للاستغناء عنه بلفظِ المضارعِ، وهذا المعنى لا
يُنْقِصُها حقَّها، كما في (يَذُرُّ) و(يَدْعُ) لَمَّا مُنِعَا لفظَ الماضي؛ للاستغناء عنه
بـ(تَرَكَ)، لم ينقص من حُكم عملها، فالعمل لـ(ليس) بحقِّ الأصل، وبالقياس
على سائرِ الأفعال^(٢).

أمَّا ابنُ أبي الربيع فقاس تقدُّمَ الخبرِ عليها على تقدُّمه على اسمها، نحو:
ليس قائمًا زيدٌ، ورأى أنَّ (ليس) وإن كانت غيرَ متصرِّفةٍ في نفسها، إلَّا أنَّ لها
بعضَ التصرُّفِ، حيث يصحُّ نفيُّها للماضي والحال، والمستقبل، نحو: ليس
زيدٌ قائمًا أمس، وليس زيدٌ قائمًا الآن، وليس زيدٌ قائمًا غدًا، فاستُغني عن
تصرُّفها بتقييد الخبرِ بالزمان، فصارت بذلك كأَنَّها متصرِّفةٌ، فكما أُجيزَ
تصرُّفُها في تقدُّمِ خبرِها على اسمها، كذلك يجوز تصرُّفُها في تقدُّمِ الخبرِ عليها،
فكلاهما تَصَرُّفٌ^(٣).

في حين ذهب الكوفيون ومعهم المبرِّدُ — كما نُسِبَ إليه — وابنُ
السراج، والرمانيُّ إلى منع تقدُّمِ خبرِ (ليس) عليها، ووافقهم في هذا المذهب

(١) ينظر: الإيضاح ص ١٠١، شرح اللمع ص ٥٩.

(٢) ينظر: شرح المفصل ١١٤/٧.

(٣) ينظر: البسيط ص ٦٧٨.

كثيرٌ من المتأخرين: كالجرجاني، وأبي البركات ابن الأنباري، وابن الحاجب، والرضي، وأبي حيان، وابن هشام، والشاطبي، والزبيدي وغيرهم، وهو اختيار ابن مالك، وعده ابن هشام مذهب المحققين^(١).

وعلة المانع لتقدّم الخبر عليها هي عدم تصرّف (ليس) في نفسها، ممّا أدّى إلى منع تصرّفها في عملها، من حيث تقديم خبرها عليها، ويُقصدُ بعدم التصرّف، أي أنّ الفعل (ليس) لا يكون منه مضارعٌ، ولا أمرٌ، ولا اسمٌ فاعلٍ. فعُدّ التصرّف في نفسه منعه من التصرّف في معموله، وهذه العلة جعلت (ليس) في المرتبة الثانية من مراتب الأفعال، وهي امتناع تقدّم معمولها عليها، وذلك لضعفها عن الأفعال المتصرّفة، إذ يجوز فيها تقدّم معمولها عليها، نحو: زيداً أكرمتُ، وذاهباً كان زيدٌ.

فمقتضى الترتيب بين الأفعال المتصرّفة والأفعال غير المتصرّفة والحروف المشبّهة بالأفعال أنّ ينقص كلّ قسمٍ من هذه الأقسام عمّا قبله درجةً في العمل، فالأفعال المتصرّفة لها مطلقُ العمل من الرفع، والنصب، وتقدّم معمولاتها، والأفعال غير المتصرّفة لها العمل في المعرفة والنكرة، دون تقدّم معمولاتها، والحروف المشبّهة بالأفعال لها العمل في المعرفة دون النكرة، ودون

(١) ينظر: الأصول ١/٨٩-٩٠، المسائل الحلبيات ص ٢٨٠، شرح الرماني على الكتاب بتحقيق: د. محمد شيبه ص ٢١٥، الخصائص ١/١٨٨، المقتصد ص ٤٠٨، أسرار العربية ص ١٤١، الإنصاف ص ١٤١، الإيضاح في شرح المفصل ٢/٨٧، شرح التسهيل ١/٣٥١، شرح الكافية ٤/٢٠١، الارتشاف ص ١١٧١، اللوحة البدرية ٢/١٣، المقاصد الشافية ٢/١٧٠، ائتلاف النصرة ص ١٢٣.

تقدّم معمولاتها كذلك، وإنما تقدّم خبر (ليس) على اسمها لزيادة درجة في العمل عن (ما)، ومُنِع تقدّم خبرها عليها لتَنْقُصَ درجةً عن الأفعال المتصرّفة. وهذا الجواب اعترض به ابنُ الأنباري في الرد على اعتلال البصريين بالقياس^(١)، وتابعه في ذلك ابنُ مالك، إذ يقول: "وكان مقتضى شَبِّهِه (ليس) بـ(ما) و(عَسَى) بـ(لعلّ) امتناعٌ توسيطَ خبريهما، كما امتنع توسيطُ خبري شبيهيهما، ولكنْ قُصِدَ ترجيحُ ما له فعليةٌ على ما لا فعليةٌ له، والتوسيطُ كافٍ في ذلك، فلم تجز الزيادةُ عليه تجنُّبًا لكثرة مخالفة الأصل"^(٢). وأجاب هؤلاء المانعون عن الاعتلال بالسَّماع في الآية السابقة بأربعة أجوبة:

أحدها: أنَّ المعمولَ قد يقعُ حيث لا يقعُ العامل، نحو: أمّا زيدًا فاضربْ، وعمرًا لا تُهِنْ، وحقّك لن أُضِيعَ، فكما لم يلزَمْ من تقديم معمول الفعل بعد (أمّا) تقديم الفعل، ولا من تقديم معمول المجزوم، والمنصوب على (لا)، و(لن) تقديمهما عليهما، كذلك لا يلزَمْ من تقديم معمول خبر (ليس) تقديم الخبر.

والثاني: أنَّ (يومَ يأتيهم) منصوبٌ بفعلٍ مُضَمَّرٍ؛ لأنَّ قبله: (ما يحبسُه) فـ(يومَ يأتيهم) جوابٌ، كأنَّه قيل: يعرفون يومَ يأتيهم، و(ليس مصروفًا) جملةٌ حاليةٌ مؤكّدةٌ أو مستأنفةٌ.

(١) ينظر: الإنصاف ص ١٤٢.

(٢) شرح التسهيل ٣٥١/١.

والثالث: أَنْ يَكُونَ (يوم يأتيهم) مبتدأً مبنياً لإضافته إلى الجملة، وذلك سائغٌ مع المضارع كسوغه مع الماضي.

والرابع: أَنَّهُ تَمَّ التَّسْلِيمُ بِأَنَّ (يوم) معمولٌ (مضروفاً) فَإِنَّهُ سَائِغٌ تَقْدُومُهُ عَلَى (ليس)؛ لكونه ظرفاً، والظرفُ يُتَوَسَّعُ فِيهِ مَا لَا يُتَوَسَّعُ فِي غَيْرِهِ^(١).

والراجع في هذه المسألة هو المنع، وهو اختيار ابن مالك وجمهور المتأخرين، وعدّه ابن هشام مذهب المحققين، وذلك لوجاهة حجج المانعين، ولافتقاد السماع الصريح فيها، حيث إنه لم يثبت مصرّحاً تقديم خبر (ليس) عليها، نقل أبو حيان عن السهيلي قوله: "قائماً لسنّ، وقياماً لسنّا، وخارجين لسنّا، ما أظنّ العربَ فاهتَ بمثله قطُّ"^(٢).

وقد ذكر أنه تتبع دواوين العرب، فلم يظفر بتقديم خبر (ليس) عليها ولا معموله، إلّا ما دلّ عليه ظاهر الآية السابقة، وقول الشاعر^(٣):

فَيَأْتِي فَمَا يَزْدَادُ إِلَّا لَجَاجَةً ... وَكُنْتُ أَبِياً فِي الْحَقِّ لَسْتُ أَقْدُمُ

فظاهر هذا البيت أَنَّ قوله: "في الحنا" متعلّق بقوله: "أقْدُمُ"، و(أقْدُمُ)

خبرٌ (ليس)، ويجاب عنه بأنّ المعمول قد يقع حيث لا يقع العامل، فلا يلزم

(١) ينظر: الإنصاف ص ١٤٢، الباب ١/١٦٩، شرح التسهيل ١/٣٤٥، شرح الكافية

للرزي ٤/١٠٢، التذييل ٤/١٨١، المقاصد الشافية ٢/١٧٥.

(٢) التذييل ٤/١٨٠.

(٣) البيت من الطويل، وهو مجهول القائل ولم أقف عليه إلا عند أبي حيان، ينظر: البحر

المحيط ٦/١٢٧، التذييل ٤/١٨٠.

من تقديم معمول خبر (ليس) تقديم الخبر، وأمّا الآية فقد أمكن فيها وجوه كثيرة تُسقط الاستدلال بها كما تقدّم.

المسألة الثالثة: إلغاء عمل (لا) النافية للجنس إذا نُعت اسمها

بمرفوع.

ذهب ابنُ برهانٍ إلى أنّ صفة اسم (لا) لا ترفع إلا إذا كان الموصوفُ مركّباً مع (لا)، نحو: لا رجلٌ فاضلٌ عندك، وأنّ رفع الصفة دليلٌ على إلغاء (لا)، فهي واسمها في موضع رفعٍ بالابتداء^(١).

واعترض عليه ابنُ مالكٍ بأنّ الرفع يكون مع الإلغاء ومع الإعمال، ولا دليلٌ على إلغاء (لا)، ولكون شروط عمل (لا) متحققة في هذا المثال، ولا يصحّ الحكمُ عليها بالإلغاء دون نقصانِ الشروط^(٢).

دراسة المسألة:

من المعلوم أنّ (لا) النافية للجنس محمولةٌ في العمل على (إنّ)؛ حملاً للشّيء على نقيضه، ولعملها شروطٌ ذكرها النحاة، وهي: أن تكون نافيةً، وأن يكون المنفيّ الجنس، وأن لا تكرر، وأن لا يدخل عليها جازرٌ، وأن يكون اسمها نكرةً، متصلاً بها، وأن يكون خبرها أيضاً نكرةً، فإذا اجتمعت هذه الشروط نصبت الاسم ورفعت الخبر، نحو: لا غلامٌ سفيرٌ حاضرٌ^(٣).

(١) ينظر: شرح اللمع ص ٩٠.

(٢) ينظر: شرح التسهيل ٦٩/٢.

(٣) ينظر: أوضح المسالك ٣/٢، شرح الأشموني ٣٢٩/١، الهمع ٤٦٣/١.

وأجاز النحاة في نعت اسمِها المبنيّ إذا كان مفردًا ومتصلاً بالمنعوت
ثلاثة أوجه^(١):

الأوّل: النَّصْبُ على اللفظ، مع التّنوين، تقول: لا رَجُلٌ ظريفًا عندك؛
حملاً على وصفِ المنادى وإن كان مبنيًا، وهذا الوجهُ أكثرُ في الكلام
وأحسن^(٢).

الثّاني: البناءُ على الفتح بغير تنوين، حملاً على لفظ (لا رَجُلٌ) وإن
كان مبنيًا؛ لأنَّ حركة البناء هنا شبيهةٌ بحركة الإعراب، فتقول: لا رَجُلٌ ظريفٌ
عندك.

الثّالث: الرّفْع مع التّنوين، حملاً على موضع (لا) مع اسمِها، لأنّها في
موضع اسمٍ مرفوعٍ بالابتداء، تقول: لا رَجُلٌ ظريفٌ عندك.
قال ابنُ مالكٍ في نظمه:

وَمُفْرَدًا نَعْتًا لِمَبْنِيٍّ يَلِي ... فَافْتَحْ أَوْ انصِبْ أَوْ ارْفَعْ تَعْدِلْ
وهذه الأوجهُ عليها جمهور النحاة، ولا يختصُّ الرّفْعُ بالإلغاء، بل يكونُ
مع الإلغاء والإعمال، خلافاً لابنِ برهان، وعلتهُ أنَّ الاسمَ المنصوبَ لا عملَ

(١) ينظر: اللمع لابن جني ص ٤٦، المرتجل ص ١٨٠، شرح المفصل لابن يعيش ١٠٦/٢،
الارتشاف ص ١٣١٢، توضيح المقاصد ٥٤٨/١، المقاصد الشافية ٤٣٨/٢، التصريح
٣٥٠/١.

(٢) ينظر: الكتاب ٢٨٨/٢، المرتجل ص ١٨٠، الارتشاف ص ١٣١٢.

له بالابتداء، فلا عمل له في صفته كذلك؛ لأنَّ العامل في الصِّفَةِ هو العامل في الموصوف^(١).

وخطأه ابن مالك قائلاً: "وزعم ابن برهان أنَّ صفة اسم (لا) لا ترفع إلا إذا كان الموصوفُ مركَّبًا مع (لا)، وأنَّ رفعها دليلٌ على إلغاء (لا)، وحمله على ذلك أنَّ العامل في الصفة هو العامل في الموصوف، والاسم المنصوب لا عملٌ للابتداء فيه، فلا عمل له في صفته، والاسم المبني على الفتح إنَّ نُصِبَتْ صفته دَلٌّ ذلك عنده على الإعمال، وإذا رُفِعَتْ دَلٌّ ذلك عنده على الإلغاء، وما ذهب إليه غيرُ صحيح؛ لأنَّ إعمال (لا) المشار إليها عند استكمال شروطها جائزٌ بإجماع العرب، والحكمُ عليها بالإلغاء دون نُقصانِ الشروط حكمٌ بما لا نظير له، وقوله: لا عملٌ للابتداء في الاسم المنصوب غيرُ مسلم، بل له عملٌ في موضعه، كما له بإجماع عملٌ في موضع المجرور بـ(من) في نحو: هل من رجلٍ في الدار؟ فصَحَّ ما قلنا، وبطل ما ادَّعاه، ولا قوَّة إلا بالله"^(٢). وذكر أبو حيان أنَّ من نحاة المغاربة من ذهب مذهب ابن برهان، إذ يقول: "ووقع لبعض أصحابنا وهم، وهو أنَّ اسم (لا) إذا كان معربًا فلا يُتْبَعُ إلا على لفظه، وهو شبيهٌ بما ذهب إليه ابن برهان"^(٣).

(١) ينظر: شرح اللمع ص ٩٠.

(٢) شرح التسهيل ٦٩/٢.

(٣) التذييل والتكميل ٢٨٩/٥.

والراجح عندي هو صحة اعتراض ابن مالك على ابن برهان، وأن اختيار ابن مالك هو الراجح، وهو قول الجمهور، خلافا لابن برهان ومن وافقه من نحاة المغاربة.

المسألة الرابعة: تعدي الفعل (اتَّخَذَ) إلى مفعولين مطلقاً.

ذهب ابن برهان إلى أن الفعل (اتَّخَذَ) يتعدى إلى اثنين مطلقاً، قال في شرح اللمع: "ولا نعلم (اتَّخَذَ) إلا يتعدى إلى مفعولين، الثاني منهما بمعنى الأول"^(١).

في حين يرى ابن مالك خلاف هذا الرأي، لكون تعديّة الفعل (اتَّخَذَ) تكون بحسب معناه، فإذا كان بمعنى التصيير تعدى إلى مفعولين، وإن كان بمعنى (اكتسب) فهو يتعدى إلى مفعول واحد^(٢).

دراسة المسألة:

اختلف في تعدي الفعل (اتَّخَذَ) على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: أنه يأتي على معنيين وهما (اكتسب)، و(صير)، وبحسب هذين المعنيين يتعدى الفعل، فإن كان بمعنى (اكتسب) كان متعدياً إلى مفعول واحد، وإن كان بمعنى (صير) تعدى إلى مفعولين، وهذا مذهب أبي علي الفارسي، واستشهد على تعديّه إلى مفعول واحد بقوله تعالى: ﴿كَمْثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١]، وبقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَاتَّخِذُهُمْ مِنْ لَدُنَّا﴾ [الأنبياء: ١٧]، وكذلك استشهد على

(١) شرح اللمع ص ١٢٠.

(٢) ينظر: شرح التسهيل ٨٣/٢، شرح الكافية الشافية ٥٤١/٢.

تعدّيه إلى مفعولين بقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة: ١٦]، وبقوله عز وجل: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامٍ إِبْرَهُمْ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

والمذهب الثاني: أنّه يتعدّى إلى اثنين مطلقاً، وهذا قول ابن برهان، وقد اعترض فيه على الفارسي بأنّ المفعول وإن كان غير ظاهرٍ إلا أنّه مقدّرٌ في الكلام، قال ابن برهان: "يقال لأبي علي: ألم تقل في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظُلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، إنّ التقدير: اتخذوه إلهًا، فحذف المفعول الثاني للدليل، فكذلك التقدير في "اتخذت بيتًا" اتخذت من نسجها بيتًا، وفي: "أن نتخذ لهواً" لو أردنا أن نتخذ شيئاً لهواً، ولا نعلم (اتخذ) إلا يتعدّى إلى مفعولين الثاني منهما بمعنى الأول" (١).

والمذهب الثالث: أنّه لا يتعدّى إلا إلى مفعول واحدٍ، والثاني منصوبٌ على الحال إن وُجد (٢).

وإلى المذهب الأول أشار ابن مالك في نظمه (٣):

فكانَ منها وَتَحَذُّ وَاتَّخَذُ ... إِنْ أَفْهَمَا مَعْنَى عَنِ الْكَسْبِ انْتَبَذُ
وقوله كذلك (٤):

وَهَبْ تَعْلَمْ وَالتِي كَصَيَّرَا ... أَيْضًا بِهَا انصَبْ مَبْتَدَأً وَخَبَرًا

(١) شرح اللمع ص ١١٩-١٢٠.

(٢) ينظر: التذييل ٤١/٦، الهمع ٥٤٤/١.

(٣) شرح الكافية الشافية ٥٤١/٢.

(٤) نظم الألفية باب (ظن) وأخواتها.

والأصل ألا يقتصر على حذف أحد المفعولين؛ لأنه إن حذف الأول بقي الثاني بلا محبر عنه، وإن حذف الثاني بقي الأول بلا خبر، إلا إن دل على المحذوف منهما دليل فيجوز حذفه، قال ابن مالك^(١)

وحذف ما بينه دليل ... هُناكَ هُنا لَهُ سَبيلٌ
وجائز سُقوطُ جُزأينِ هُنا ... إِنْ كانَ ذِكْرُ ما تَبَقى حَسَنًا

ومَّا سبقَ يَتَبَيَّنُ صَحَّةُ اختيارِ ابنِ مالِكٍ، وصَحَّةُ اعتراضِهِ على ابنِ بَرهانٍ، الذي أوجبَ تَعَدِّي (اتَّخَذَ) إلى مفعولين مطلقاً، بل يجوز فيه أن يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ، وإلى مفعولين؛ سواءً أكانَ أَصلُهُما المبتدأ والخبر، أم كانَ متعديًّا لأحدهما بحرف جرٍّ، فهو من أفعال التصيير ك(جَعَلَ، وَرَدَّ، وَتَرَكَ، وَصَيَّرَ، وَوَهَبَ)^(٢).

المسألة الخامسة: اعتبار إضافة المصدر من الإضافات اللفظية.

نسب ابن مالك في شرح التسهيل إلى ابن برهان القول بأن إضافة المصدر غير محضة — ولم أجد لابن برهان نصاً صريحاً في شرحه على اللمع — ثم ضعّف قوله من أربعة أوجه، قال ابن مالك: "ثم نبهتُ إلى أن الصحيح كون إضافة المصدر محضة، وزعم ابن برهان أن إضافته غير محضة؛ لأنَّ المجرور

(١) شرح الكافية الشافية ٥٥٢/٢ :

(٢) ينظر: التذييل ٤٣/٦، أوضح المسالك ٤٥/٢، شرح الأشموني ٣٦١/١، التصريح

٣٦٦/١، الهمع ٥٤٤/١.

به مرفوعُ المحلِّ، أو منصوبُهُ، كقيامِ زيدٍ، وأكلِ الطَّعامِ، فالأوَّلُ مثل: حسن الخُلُقِ، والثاني مثل: ضارب العَبْدِ.

قلت: والذي ذهب إليه ابنُ برهانٍ ضعيفٌ في أربعة أوجه، أحدها: أنَّ المصدرَ المضافَ أكثرُ استعمالاً من غير المضاف، فلو جُعِلَتْ إضافتُهُ في نية الانفصال لَزِمَ جعلُ ما هو أقلُّ استعمالاً أصلاً، وهو خلافُ المعتاد، الثاني: أنَّ إضافةَ الصفةِ إلى مرفوعها ومنصوبها منوِيَّةُ الانفصالِ بالضميرِ المستترِ فيها، فجاز أن ينوي انفصالها باعتبارِ آخر، والمصدرُ بخلافِ ذلك؛ فتقدِّرُ انفصاله ممَّا هو مضافٌ إليه لا مُحَوَّجٌ إليه، ولا دليلٌ عليه، الثالث: أنَّ الصفةَ المضافةَ إلى مرفوعها أو منصوبها واقعةٌ موقعَ الفعلِ المفرد، والمصدرُ المضافُ واقعٌ موقعَ حرفٍ مصدرِيٍّ موصولٍ بالفعل، والموصولُ المشارُ إليه محكومٌ بتعريفه فليكنَّ الواقعُ موقعه كذلك، الرابع: أنَّ المصدرَ المضافَ إلى معرفةٍ معرفةً، ولذلك لا يُنَعَّثُ إلا بمعرفةٍ، فلو كانت إضافتُهُ غيرَ محضةٍ لحُكِمَ بتنكيره ونُعِتَ بنكرة، ولجازَ دخولُ (رُبَّ) عليه، وأنَّ يُجْمَعُ فيه بين الألفِ واللامِ والإضافة كما فُعِلَ في الصفةِ المضافةِ إلى معرفةٍ نحو: يا رُبَّ غابِطِنا، ورأيتَ الحسنَ الوجهَ^(١).

دراسة المسألة:

تكون الإضافة على قسمين: أحدهما: المحضة وهي الخالصة من تقدير الانفصال، وتُسمَّى أيضاً بالمعنوية؛ لأنَّ فائدتها في المعنى، وتفيدُ إمَّا التعريف أو التخصيص، أي يتعرَّفُ المضافُ إنَّ أُضيفَ إلى معرفة، ويتخصَّصُ إنَّ أُضيفَ إلى نكرة.

(١) شرح التسهيل ٢٢٨/٣.

والقسم الآخر: الإضافة غير المحضة، وهي التي في تقدير الانفصال، وتسمى باللفظية؛ لأنَّ فائدتها راجعة إلى اللفظ فقط، وذلك بحذف التنوين، ونوني التثنية والجمع.

ومن هذا القسم إضافة الصفة إلى معمولها، كاسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة، والصفة المشبهة، إذا كانت هذه الصفات بمعنى الحال أو الاستقبال.

ومذهب الجمهور أنَّ إضافة المصدر إلى مرفوعه أو منصوبه من الإضافات المحضة، أما ابنُ برهان كما نسب إليه ابنُ مالك فقد ذهب إلى خلاف الجمهور في هذه المسألة، حيث ذهب إلى أنَّ إضافته غير محضة؛ قياساً على الصفة؛ لكون المجرور به مرفوع المحلِّ أو منصوبه ك: قيام زيدٌ وأكل الطعام، وممن قال بهذا القول أيضاً ابنُ طاهر، وابنُ الطراوة^(١).

وضَعَفَ ابنُ مالك هذا القول بالأوجه السابقة، قال عنها الشاطبي: "وأظهرها في الاستدلال الرابع، وفيما عداه نظرٌ"^(٢)، ويعني به: أنَّ المصدر المضاف إلى معرفة معرفة، ولذلك لا يُنَعَّث إلا بمعرفة، وقوَّة هذا الوجه مستمدة من الاعتضاد بالسَّماع، حيث سُمِع نعتُ المصدر بالمعرفة، وفي هذا

(١) ينظر: الارتشاف ص ١٨٠٥، توضيح المقاصد ٧٨٦/٢، شرح الأشموني ١٢٦/٢،

التصريح ٦٩٧/١، والهمع ٤١٦/٢.

(٢) المقاصد الشافية ٢٢٧/٤.

دلالةً على أنَّ إضافته محضة، حيث اكتسب التعريف بإضافته إلى معرفة، قال الشاعر^(١):

إِنَّ وَجْدِي بِكَ الشَّدِيدَ أَرَانِي عَاذِرًا مَنْ عَهَدْتُ فِيكَ عَذُولًا
والشاهد فيه قوله: "وَجْدِي بِكَ الشَّدِيدَ"، حيث أفادت إضافة المصدرِ
التعريفَ، بدليل نعتِه بالمعرفة.

وهذا الدليل يكفي في الردِّ على مَنْ قال بأنَّ إضافته غيرُ محضة، ويؤكد
صحَّةَ اعتراضِ ابنِ مالك على ابنِ برهانَ، وهو الحجَّةُ المعوَّلُ عليها عند
أغلبِ شُرَّاح الألفية والتسهيل^(٢).

المسألة السادسة: اعتبارُ (أَيِّ) لنداءِ المتوسط.

نسب ابنُ مالك إلى ابنِ برهانَ القولَ بأنَّ (أَيِّ) يُنادى بها للمتوسط،
ولم أجد في كتابه ما ينصُّ على مراتبِ حروفِ النداء، وإنما تحدَّث عن عمل
(يا) وأحكامِ المنادى^(٣).

ونسب أيضًا إلى المبرِّدَ مناداةَ القريبِ بها، وخطأهما في ذلك؛ لافتقار ما
ذهبوا إليه إلى الرواية، قال في شرح الكافية الشافية: "الحروفُ التي يُنبَّه بها
المنادى عند البصريين خمسة: "يا" و"أَيَّا" و"هَيَّا" و"أَيِّ" والهمزة.

(١) البيت من الخفيف، وهو بلا نسبة في المقاصد النحوية ٣/ ٣٦٦، وتوضيح المقاصد

٧٨٧/٢، شرح الأشموني ٢/ ٢٦، التصريح ١/ ٦٩٧، والجمع ٢/ ٤١٦.

(٢) ينظر: توضيح المقاصد ٧٨٦/٢، المقاصد الشافية ٤/ ٢٢٧، شرح الأشموني ٢/ ١٢٦،
التصريح ١/ ٦٩٧.

(٣) ينظر: شرح اللمع ص ٢٧١.

فمذهبُ سيبويه أنَّ الهمزةَ وحدها للقريبِ المصْغِي، وغيرها للبعيد مسافةً، أو حُكْمًا، ومذهبُ المبرد، ومَنْ وافقه أنَّ: "أَيَا" و"هَيَا" للبعيد، و"أَيَّ" والهمزة للقريب، و"يَا" لهما، وزعمَ ابنُ بَرهَانَ أنَّ: "أَيَا" و"هَيَا" للبعيد، والهمزة للقريب و"أَيَّ" للمتوسط، و"يَا" للجميع^(١).

وقال في شرح التسهيل: "وكونُ الهمزة للقريب، وما سواها للبعيد هو الصحيح؛ لأنَّ سيبويه أخبر بذلك روايةً عن العرب، ومن زعمَ أنَّ (أَيَّ) كالهمزة في الاختصاص بالقرب لم يعتمد في ذلك إلا على رأيه، والرواية لا تُعارض بالرأي، وصاحبُ هذا الرأي هو المبرد، وتبعه كثيرٌ من المتأخرين"^(٢).

دراسة المسألة:

يرى الجمهورُ بأنَّ للمنادَى مرتبتين: القريب والبعيد، ومذهب سيبويه وجمهور البصريين أنَّ حروفَ النداء: (أَيَا)، و(هَيَا)، و(أَيَّ)، و(يَا)، جميعها لنداء البعيد حقيقةً أو حُكْمًا كالنائم والسَّاهي، وقد تُستعمل للقريب للتأكيد، وللمبالغة في التنبيه، أمَّا الهمزةُ فهي لنداء القريب^(٣).
والعلةُ في النداء بها للبعيد هي إمكانيةُ مدِّ الصوت بها؛ لأنَّ البعيدَ ومَنْ في حكمه يحتاج في ندائه إلى مدِّ الصوتِ لِيُسْمَعَ، قال سيبويه: "فأمَّا الاسمُ

(١) شرح الكافية الشافية ٢٨٩/٣.

(٢) شرح التسهيل ٢٨٦/٣.

(٣) ينظر: الكتاب ٢٢٩/٢-٢٣٠، المقتضب ٢٣٣/٤، الأصول ٣٢٩/١، شرح التسهيل ٣٨٦/٣، شرح الجمل لابن عصفور ١٧٧/٢، شرح الكافية للرضي ٤٢٥/٤، الارتشاف ص ٢١٧٩، توضيح المقاصد ص ١٠٥٠، أوضح المسالك ٩/٤، المقاصد الشافية ٢٣٤/٥.

غيرُ المندوب فينبهَ بخمسة أشياء: بـ(يا)، و(أيا)، و(هيا)، و(أي)، وبالألف، نحو قولك: أحرار بن عمرو، إلا أنَّ الأربعة غير الألف قد يستعملونها إذا أرادوا أن يمدُّوا أصواتهم للشيء المترخي عنهم، والإنسان المعرض عنهم، الذي يُرون أنَّه لا يُقبلُ عليهم إلا بالاجتهاد، أو النائم المستثقل^(١).

وهذا هو المذهب المختار عند ابن مالك، أمَّا خلافه مع المبرد وابن برهان ففي حرف النداء (أي)، فالمبرد جعلها لنداء القريب، وابن برهان جعلها لنداء المتوسط.

والفرق بين القولين أنَّ المبرد لم يخرج عن ترتيب الجمهور في مراتب المنادي، فهو عنده إمَّا بعيدٌ أو قريب، إمَّا مخالفتُهُ لهم في (أي) إذ جعلها لنداء القريب كالمهزمة، أمَّا البعيد فينادى له بـ(يا) و(أيا) و(هيا).

في حين أنَّ ابن برهان — كما نسب إليه ابن مالك — جعل للمنادي ثلاث مراتب: أحدها: البعيد، وينادى بـ(يا) و(أيا) و(هيا)، والثاني: قريب، وينادى بالهمزة، ومرتبة ثالثة بينهما وهي: المتوسط، وينادى بـ(أي).

وبالرجوع إلى كلام المبرد في المقتضب نجد أنَّه يوافق ما ذهب إليه سيبويه وجمهور البصريين، حيث قال: "وهذه الحروف سوى الألف تكون مدِّ الصوت"^(٢)، وهو ما نصَّ عليه سيبويه، كما تقدَّم، فنسبُهُ هذا القول للمبرد فيها نظر.

(١) الكتاب ٢٢٩/٢-٢٣٠.

(٢) المقتضب ٢٣٣/٤.

قال الشاطبي: "ونقله ابنُ مالكٍ في الشَّرحِ عن المبرد، ولم أرَ مذهبه في كتابه المقتضب إلا كمذهب سيبويه والجمهور، فانظر من أين نقله؟!"^(١).
إلا أنَّ جماعةً من المتأخِّرين أخذوا بهذا القول، فجعلوا (أَيَّ) لنداءِ القريبِ كاهمزة، معتلِّين لذلك بِقَصْرِ صَوْتِهَا، فهي لا تُناسِبُ البعيد، ومن هؤلاء: ابنُ الحُشَّاب، والزمخشري، والجزولي، وابن معطٍ، وابن يعيش، وابن الحاجب، والرضي^(٢).

أمَّا جعلُ المنادي على ثلاثة مراتب، وهي: القريب، والوسط، والبعيد، فقد قال به الرماني في شرحه على الكتاب، إذ يقول: "الذي يجوزُ فيه إجراءُ الحروفِ التي يُنادى بها على أربعةٍ أوجهٍ: حرفٌ للبعيد، وحرفٌ للقريب، وحرفٌ للوسط بين القريب والبعيد، وحرفٌ للجميع؛ ليكونَ أمَّ حروفِ النداءِ، ولا يجوزُ أنْ يُستعملَ الحرفُ الذي هو للقريبِ في موضعِ البعيد؛ لأنَّه ليس فيه شيءٌ من حروفِ المدِّ واللَّين... فأما (أَيَّ) فللوسط بين القريب والبعيد؛ لأنَّ فيه حرفَ مدٍّ لم يُمكنْ تمكينَ (أَيَّا)، إذ ليس ما قبله منه، وهو حرفٌ واحدٌ، وهي الياءُ"^(٣).

ووافقه في ذلك المالقي، حيث قال: "الموضع الأول: أنْ تكونَ تنبيهًا ونداءً مثل (يا) إلا أنَّها تختصُّ بالقريبِ منزلةِ المصغى إليك؛ لتقاربِ لفظها،

(١) المقاصد الشافية ٢٣٥/٥.

(٢) ينظر: المرجل ص ١٩١، المفصل ص ٣٠٩، المقدمة الجزولية ص ١٧٨، الفصول الخمسون ص ٢١٠، شرح المفصل ١١٨/٨، الكافية ص ٢٢٨، شرح الكافية ٤٢٥/٤.

(٣) شرح الرماني بتحقيق: د. سيف العريفي ص ٢١٣.

وهي في النداء أبعد من الهمزة؛ فهي في المنزلة الوسطى من الهمزة و(أَيَا)"^(١)،
ونُسب هذا القول كذلك إلى ابن أبي الربيع^(٢).

والراجع في هذه المسألة هو اختيار ابن مالك وموافقته لما ذهب إليه
سيبويه والجمهور، خلافاً لابن برهان وغيره، ويعترض عليهم بالأمر التالية:
الأمر الأول: كما ذكر ابن مالك وهو أنَّ معتمدَهم فيما ذهبوا إليه إنما
هو على الرأي، ولا يصح أنْ يُعترضَ بالرأي على الرواية^(٣)، قال الشاطبي:
"فإنَّه نُقِلَ عن العرب، وقد نقلوا أنَّ وضَعَهَا لنداء البعيد، فهو المقبول، ولا
يُعارضُ بقياسٍ"^(٤).

والأمر الثاني: أنَّه يجوزُ مدُّها، فيقال فيها: (آي)، كما حكى الكسائي،
فيكون المدُّ فيها دليلاً على البُعد^(٥).

والأمر الثالث: أنَّه لا حاجةً لتخصيصِ المتوسِّطِ بأداةٍ خاصَّةٍ في ندائه؛
لكونه واقعاً بين القريب والبعيد، وما يصحُّ في القريب والبعيد فهو حريٌّ بأنْ
يصحَّ في المتوسِّط، ولذلك أغفله الجمهور.

(١) رصف المباني ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) ينظر: المقاصد الشافية ٢٣٤/٥، التصريح ٢٠٦/٢.

(٣) ينظر: شرح التسهيل ٣٨٦/٣.

(٤) المقاصد الشافية ٢٣٥/٥.

(٥) ينظر: رصف المباني ص ١٣٥، الارتشاف ص ٢١٧٩، الجني ص ٢٣٣.

المسألة السابعة: جوازُ صَرْفِ العددِ المعدولِ إذا جاءَ علماً.

ذهب ابنُ برهَانَ إلى أَنَّهُ يجوزُ صرفُ العددِ المعدولِ به إذا جاءَ علماً، نحو: مَوْحَدٌ وَأَحَادٌ، وَمُثْنَى وَثَنَاءٌ، وَثَلَاثٌ وَرُبَاعٌ، وعلته في صرفه زوال العدل بالعلمية^(١)، وهذا الذي ذهب إليه هو مذهبُ الأخفش وجمعٍ من النحاة^(٢). وخالفهم في ذلك ابن مالِك، متبعاً منهج سيبويه في المعدول به إذا جاءَ علماً^(٣)، ومعتلاً ببقاء العدل فيه، مع إحلالِ عِلَّةٍ محلَّ عِلَّةٍ، فيكون اجتماعُ فيه علتان، قال في شرح الكافية الشافية:

"وكلُّ معدولٍ سُمِّيَ به فعْدَلُهُ باقٍ إلا "سَحَرٌ" و"أَمْسٌ" - في لغة بني تميم - فَإِنَّ عدْلَهُما يزول بالتسمية فينصرفان، بخلاف غيرهما من المعدولات، فَإِنَّ عدْلَهُ في التسمية باقٍ فيجبُ مَنْعُ صرفِهِ للعدل والعلمية، عددًا كان أو غيره، هذا كُلُّهُ مذهبُ سيبويه، وَمَنْ عزا إليه غيرَ ذلك فقد أخطأ وَقَوْلُهُ ما لم يُقْلَ، وإلى هذا أَشرتُ بقولي:

وَعْدَلُ غَيْرِ سَحَرٍ وَأَمْسٍ فِي ... تَسْمِيَةٍ تَعْرِضُ غَيْرُ مُنْتَفِي

وذهب الأخفش، وأبو علي، وابنُ برهَانَ، وغيرهم إلى صَرْفِ العددِ المعدولِ مُسَمًّى به، وهو خلافُ مذهبِ سيبويه^(٤).

(١) ينظر: شرح اللمع ص ٤٤٧-٤٤٨.

(٢) ينظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ٤٣١-٤٣٢، شرح الجمل لابن بابشاذ ١/ ٣٤٩،

شرح المفصل ١/ ١٧٦، شرح الكافية للرضي ١/ ١٦٨، الارتشاف ص ٨٧٤.

(٣) ينظر: الكتاب ٣/ ٢٢٥ و٢٢٧.

(٤) شرح الكافية الشافية ٣/ ٤٨٢-٤٨٣.

وقال في موضع آخر: "وهكذا الممنوع للعدل والوصفية كـ"أخر" و"مثنى"، صرح بذلك سيوييه، وخالفه الأخفش، وأبو علي، وابن برهان، وابن بابشاذ، قالوا: لأنَّ العدل يزول معناه بالتسمية، فيُصرفُ "ثُناء"، وأخواته إذا سُمِّيَ بشيءٍ منها مذكَّرٌ، والصَّحيحُ ما ذهبَ إليه سيوييه من منع الصَّرف؛ لأنَّ لفظَ العدلِ باقٍ، فلا أثر لزوال معناه" (١).

دراسة المسألة:

من الأسماءِ الممنوعة من الصَّرفِ لعلَّتِ الوصفية والعدل: ألفاظُ العددِ المعدولة عن وزن (فُعَال) و(مَفْعَل) والمسموع من ذلك: أَحَادٌ وَمَوْحَدٌ، وَثُناءٌ وَمُثنًى، وَثَلَاثٌ وَمُثَلَّثٌ، وَرُبَاعٌ وَمُرْبِعٌ، وَخَمَاسٌ وَخَمَّسٌ، وَعُشْرٌ وَمَعَشَرٌ، فهي معدولة عن العدد المكرَّر، فالمراد بـ "مَوْحَدٌ" أي: واحدٌ واحد، و"مُثنًى": اثنين اثنين، وكذلك بقية الأعداد إلى العشرة، المسموعُ منها والمقيسُ، فالعدلُ هنا يوجب التكرير، وفائدةُ هذا العدلِ الاختصارُ مع المبالغة، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَجْنَحَةٌ مِّثْنًى وَثُلَّةٌ وَرُبُعٌ﴾ [فاطر: ١]

والمشهور في سببِ منعها من الصَّرفِ هما علَّتَا الوصفية والعدل، وفي سبب المنعِ مذاهبٌ آخرُ ذكرها بعضُ النحويين (٢).

ولو سُمِّيَ رجلٌ —(مثنًى)، أو (ثُناء)، أو (مُثَلَّث) أو نحوه من هذه الأعداد المعدولة فلا يُمنع من الصرف عند الأخفش، وابن برهان، وابن بابشاذ

(١) المرجع السابق ٤٩٧/٣ - ٤٩٨.

(٢) ينظر: المقتضب ٣/٣٨٠، شرح المفصل ١/١٧٦، شرح الجمل لابن عصفور ٢/٣٤١،

شرح الكافية للرضي ١/١١٤، البحر المحيط ٣/٤٨٩.

وغيرهم من النحاة؛ وذلك لزوال العدل بالعلمية، قال ابن يعيش: "فإن سُئِلَ رجلٌ بـ "مثنى"، و"ثلاث"، و"رباع" ونظائرها، انصرفَ في المعرفة؛ فتقول فيه: "هذا مثنى وثلاثٌ" بالتنوين؛ لأنَّ الصفةَ بالتسمية قد زالت، وزال العدلُ أيضاً، لزوال معنى العددِ بالتسمية، وحدثَ فيه سببٌ آخر غيرهما، وهو التعريفُ، فانصرفَ لبقائه على سببٍ واحد" (١).

وقال الرضي: "كلُّ عدلٍ كان قبلَ العَلَمِيَّةِ ممنوعٌ من الصَّرف، نحو: (مثنى) و(ثلاث) فالأخفش، وأبو علي، وأكثرُ النحاة يصرفونه؛ لزوال الوصفِ بالعلمية، وزوالِ العدلِ ببطْلانِ معنى العدد" (٢).

واعترضَ عليهم ابنُ مالكٍ وغيره بأنَّ الصحيح هو مذهبُ سيبويه، حيث يرى بأنَّ التسمية بهذه الأعدادِ المعدولة لا تُغيِّرُ من حُكمِها شيئاً؛ لأنَّ العدلَ باقي ولا أثر لزوالِ معناه، وإنَّما ذهبَتْ علَّةُ الوصفية وحلَّ محلَّها العلمية، وكلاهما يمنعُ من الصَّرف مع العدل (٣)، وهذا هو الراجح في المسألة، خلافاً لما ذهب إليه ابنُ برهانٍ وغيره.

(١) شرح المفصل ١/١٧٨.

(٢) شرح الكافية ١/١٦٨.

(٣) ينظر: المرجل ص ٨٢، الارتشاف ص ٨٧٤، توضيح المقاصد ٣/٢٢٣، التصريح

٣٢٩/٢.

المبحث الثالث: تحليل موقف ابن مالك من آراء ابن برهان:
- المطلب الأول: مقارنة بين استدلال ابن مالك وابن برهان
لآرائهما.

أولاً: الاستدلال بالسمع:

من خلال هذه الدراسة نلاحظ أنَّ لهذين العالمين عنايةً واسعةً واحتفاءً كبيراً بأحد أهم أصول الاستدلال النحوي، وهو السماع، فكثيراً ما يعولان عليه في إثبات صحة آرائهما، سواء كان المسموع آية قرآنية أو شعراً أو من منشور العرب، إلا أنهما في بعض المواضع يختلفان في قبول ذلك المسموع، أو تأويله، ففي موافقات ابن مالك لابن برهان يُلاحظ أنهما اعتضدا على السماع في أغلب المسائل، وهي:

مسألة: القول بموصلية (أل).

ومسألة: جواز عمل (إنَّ) عند اتصالها بـ (ما) الزائدة، قياساً على (ليت).

ومسألة: جواز تقدُّم الحال على صاحبها المجرور بالحرف.

ومسألة: من معاني الكاف الجارة (التعليل).

ومسألة: مجيء (أو) للإضراب.

ومع استدلال ابن مالك بالشواهد التي أوردها ابن برهان إلا أنَّه لا يقتصر عليها، بل نجده يضيف شواهد أخرى لتدعيم صحة رأيهما، كما في مسألة: (القول بموصلية "أل")^(١).

(١) ينظر: شرح التسهيل ٢٠٣/١.

وقد يعتضد ابنُ مالك برواية ينقلها ابنُ برهان عن العرب، مع توقف الثاني عن التعليق على هذه الرواية، كما في قول العرب: إنما زيدًا قائمٌ، حيث استدل بها ابنُ مالك على الجواز في إعمال (إنَّمَا)، ثم قاس بقية أخواتها عليها، مع أنه في هذه المسألة خالف منهجه في القياس، فهو لا يقيس على السماع القليل بالرغم من قبوله، وقد نصَّ على ذلك في أكثر من موضع^(١).

أمَّا ابنُ برهان فلم يكن له رأيٌ صريحٌ في هذه المسألة، إلا أنه قد يُفهم من إirاده لهذه الرواية جوازُ الإعمال، وقد يُفهم منه كذلك أنه أكثر تحوُّطاً في قبول هذه الرواية، والقياس عليها، وإن كان لم يحكم عليها بالشذوذ.

وفي الاعتراضات كما في مسألة: (جواز تقدُّم خبر "ليس" عليها)، ظهر لنا مدى عناية ابن برهان بالرواية حيث شَفَّعها بالدراية، فجمع بين السماع والقياس، حيث قال: "ولنا في جوازه روايةٌ ودرايةٌ: فأما الروايةُ، فقولُه تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ وتقدُّم معمول الخبر كتقدُّم عامله... إلى آخر كلامه^(٢).

إلا أنَّ ابنَ مالك لم يرَ في هذا الشاهد دليلاً كافياً لجواز التقدُّم؛ لكونه ليس سماعاً صريحاً في هذه المسألة، وإمكانية تأويله من عدَّة أوجه، تقدَّم ذكرها في مناقشة المسألة، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

(١) ينظر: شرح الكافية الشافية ٥٧٣/٢ و ١٠١٥/٢.

(٢) شرح اللمع ص ٥٨-٥٩.

وفي مسألة: (اعتبار "أي" لنداء المتوسط)، جعل ابن مالك السماع هو الفصيل في مرتبة المنادي بـ(أي)، وهو المعوّل عليه في الاستدلال على صحة رأيه في هذه المسألة، حيث قال: "وكونُ الهمزة للقريب، وما سواها للبعيد هو الصحيح؛ لأنّ سيبويه أخبر بذلك روايةً عن العرب، ومن زعم أنّ (أي) كالهمزة في الاختصاص بالقرب لم يعتمد في ذلك إلا على رأيه، والرواية لا تُعارض بالرأي"^(١).

ثانيًا: الاستدلال بالقياس:

أما فيما يخص القياس وهو الأصل الثاني من أصول الاستدلال النحوي، يُلاحظ اهتمام ابن برهان بذلك الأصل، فإنّ حضرت الرواية واستوفت شروط قبولها اعتضد بها، وقاس عليها، وأنّ لم يكن ثمة رواية في المسألة احتكم إلى عقله وقال برأيه خصوصًا وأنّ له حظًا من علم الكلام. وليس ابنُ مالك بأقلّ حظًا من ابنِ برهان في الاستدلال بهذا الأصل، فقد اتّخذ ابن مالك القياس إلى جانب السماع دليلًا يدعم بها العديد من آرائه، وبناء أحكامه، أمّا إذا لم يجد سماعًا صريحًا في المسألة احتكم للقياس، فالتماس القياس والاستدلال به مقبول ما لم يخالف بسماعٍ صريح.

فمِمَّا قاسه ابنُ برهان ووافقه عليه ابنُ مالك: الحكم بفعلية (نعم وبئس)، حيث قاس كلّ منهما هذين الفعلين على الفعل الماضي من حيث رفعهما للظاهر؛ لأنّته فاعلٌ، وكذلك تحمّلهما الضمير؛ لأنّ الإضمار لا يكون إلا في الفعل، وأيضًا دخول لام القسم عليهما، وعطفُهما على الفعل الماضي.

(١) ينظر: شرح التسهيل ٢٨٦/٣.

واعترض ابن مالك على ابن برهان بالقياس في مسألة: (تقدم خبر "ليس" عليها)، وذلك لكونه افتقد للسماع الصريح، فالتمس القياس فيها. ثالثاً: الاستدلال باستصحاب الحال:

وهو من أصول الاستدلال النحوي، وقد مضى تعريفه، واستدل به كلٌّ من ابن برهان وابن مالك بهذا الأصل في مسألة: (فعلية حَبْدًا)، قال ابن مالك: "والذي اخترته من كون (حبّ) باقياً على فعليّته، وكون (ذا) باقياً على فاعليّته"^(١).

وغالباً ما يعمد ابن مالك إلى الإكثار من الأدلة الجدلية لترجيح رأيه في المسألة، فيستدل بأدلة متنوعة، كالاستصحاب، والأصل، وعدم النظر، والفرق، وغيرها من الأدلة، كما في مسألة: (دلالة (كان) الناقصة على الزمان دون الحدث)، حيث استدل على بطلان قول ابن برهان بعشرة أوجه^(٢). وكذلك مسألة: (جواز تقدّم الحال على صاحبها المجرور بالحرف) حيث استدل ابن مالك بعدة أدلة في الرد على قولي الزجاج، والزمخشري^(٣). ومن ذلك أيضاً مسألة: (جواز تقدّم خبر "ليس" عليها)، ساق ابن مالك عدة أدلة للرد على من أجاز تقدّم الخبر^(٤).

(١) شرح التسهيل ٢٢/٣.

(٢) ينظر: المرجع السابق ٣٣٨/١-٣٤١.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٣٣٧/٢.

(٤) ينظر: المرجع السابق ٣٤٥/١.

وكذلك مسألة: (اعتبار إضافة المصدر من الإضافات اللفظية)، استدل ابن مالك على ضعف قول ابن برهان بأربعة أدلة، قد تقدم ذكرها^(١).

– المطلب الثاني: أثر التقليد والاجتهاد في آرائهما.

أولاً: ابنُ برهان:

لئن كان ابن برهان من علماء بغداد، ومن أبرز نخاة القرن الخامس الهجري إلا أنه يُعدُّ في جملة البصريين، وقد صرَّح بذلك في غير موضع في كتابه، وذلك بقوله: "أصحابنا" ويعني بذلك البصريين، ووصفه ابن الأنباري بأنه من كبار أئمة البصريين، ويتجلى مذهبه البصري في تبني أغلب آرائهم وأقوالهم.

إلا أنه لم يكتبل نفسه بآراء البصريين، ولم يتقيّد بمذهبهم، بل نجده يخالفهم في مسائل عدة، ويختار ما يترجح له، إذا استبان له الدليل وظهرت الحجة، فأحياناً يوافق الكوفيين، وأحياناً الأخفش، وتارة ابن كيسان، ويلاحظ كثرة موافقته لأبي علي الفارسي، فمن موافقاته له: جوازُ تقدُّم الحال على صاحبها المجرور بالحرف، وفعليةُ (حَبَدَا)، ومجيءُ (أَوْ) للإضراب، وجوازُ صَرْفِ العددِ المعدول إذا جاء علماً، وقد تقدم ذلك في دراسة تلك المسائل. ومن الآراء التي تميز بها وظهر اجتهاده جلياً فيها: إلغاء عمل (لا) النافية للجنس إذا نُعت اسمها بمرفوع، وتعدي الفعل (اتَّخَذَ) إلى مفعولين مطلقاً، واعتبارُ إضافة المصدر من الإضافات اللفظية، واعتبارُ (أَيُّ) لنداء المتوسِّط.

(١) ينظر: المرجع السابق ٢٢٨/٣.

ثانيًا: ابن مالك:

من الملاحظ أنَّ شخصية ابن مالك النحوية لا تبعد كثيرًا عن شخصية ابن برهان، من الميل للمذهب البصري، مع حرية الفكر، والقدرة على الترجيح والاختيار، يسعفه في ذلك غزارة علمه، وسعة اطلاعه.

وبالنظر إلى موافقاته لابن برهان يتجلى أثر ابن برهان في فكر ابن مالك النحوي، حيث وافقه في العديد من المسائل، في الحكم وفي العلة كذلك، وكان ينصُّ على تلك الموافقات، كما في قوله: "واستدلَّ ابنُ برهانٍ على موصوليَّة الألف واللام بدخولها على الفعل، واستدلَّ له قويٌّ؛ لأنَّ حرف التعريف في اختصاصه بالاسم كحرف التنفيس في اختصاصه بالفعل" (١).

وكذلك أجاز تقدّم الحال على صاحبها المجرور بالحرف، متابعةً لابن برهان، وأكد على ذلك بقوله: "وهذا موافقٌ لقول ابن برهان"، وقال أيضًا: "وما استعملت العرب (كافّة) قطّ إلا حاليًّا، كذا قال ابن برهان، وكذلك أقول" (٢).

وقال في موضع آخر: "كونُ الكافِ الجارّة حرفَ تشبيهٍ هو المشهور، ودلّلتها على التعليل كثيرةٌ كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾، وكقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَكَاَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: أعجب؛ لأنّه لا يُفْلِحُ الكافرون، كذا قدّره ابنُ برهان" (٣).

(١) المرجع السابق ٢٠٢/١.

(٢) المرجع السابق ٣٣٧/٢.

(٣) المرجع السابق ١٧٣/٣.

كلُّ هذه النصوص تظهر مدى تأثير آراء ابن برهان في توجيه ابن مالك النحوي، وتبرز مدى عناية ابن مالك بآراء ابن برهان، والنظر إليها باهتمام. ومع هذا نجد أنَّ ابن مالك عارض ابن برهان في مسائل عدة، رأى أنَّ الصواب خلاف ما ذهب إليه، وبالنظر إلى مسائل الاعتراضات يُلاحظ حرص ابن مالك على الإكثار من الأدلة المتنوعة في تضعيف رأي ابن برهان، كما في قوله: "زعم جماعة منهم ابن جني، وابن برهان، والجرجاني أنَّ (كان) وأخواتها تدلُّ على زمن وقوع الحدث، ولا تدلُّ على حدث، ودعواهم باطلة من عشرة أوجه"^(١).

وقوله: "وزعم ابن برهان أنَّ صفة اسم (لا) لا ترفع إلا إذا كان الموصوف مركباً مع (لا)، وأنَّ رفعها دليلٌ على إلغاء (لا)... إلى أن قال: " وما ذهب إليه غير صحيح؛ لأنَّ إعمال (لا) المشار إليها عند استكمال شروطها جائز بإجماع العرب، والحكم عليها بالإلغاء دون نقصان الشروط حكمٌ بما لا نظير له، وقوله: لا عملٌ للابتداء في الاسم المنصوب غير مسلم، بل له عملٌ في موضعه، كما له بإجماع عملٌ في موضع المجرور بـ(من) في نحو: هل من رجلٍ في الدار؟ فصحَّ ما قلنا، وبطل ما ادَّعاه، ولا قوَّة إلا بالله"^(٢).
وقوله في الرد على ابن برهان الذي يرى بأنَّ إضافة المصدر غير محضة: "قلت: والذي ذهب إليه ابن برهان ضعيفٌ في أربعة أوجه..."^(٣).

(١) المرجع السابق ١/٣٣٨-٣٤١.

(٢) المرجع السابق ٢/٦٩.

(٣) المرجع السابق ٣/٢٢٨.

ولا يقتصر الأمر على معارضته لابن برهان، بل تشمل معارضته للأئمة المتقدمين، إذا ظهر له البرهان بضعف قولهم، كما في قوله بدلالة كان على الحدث والزمان، وكذلك منعه تقدم خبر (ليس) عليها.

وقد يتفرد ابن مالك ببعض الآراء النحوية، كما في قوله بجواز دخول (أل) على الفعل المضارع في اختيار الكلام، وعدم اختصاص ذلك بالضرورة الشعرية، حيث قال: "وعندي أنَّ مثلَ هذا غيرُ مخصوصٍ بالضرورة، لِتَمَكُّنِ قائلِ الأولِ أنْ يقولَ: ما أنتَ بالحَكَمِ المرضِيِّ حكومته، وَلِتَمَكُّنِ قائلِ الثاني مِن أنْ يقولَ: إلى رَبِّنا صوتُ الحمارِ يُجَدِّعُ، فإذا لم يفعلوا ذلك مع استطاعتِهِ ففي ذلك إشعارٌ بالاختيارِ وعدمِ الاضطرار" (١).

وهذا التفرد يؤكده أبو حيان بقوله: "لا خلافَ نعلمُهُ أنْ وَضَلَ (أل) بالمضارع يختصُّ بالشَّعر" (٢).

ومما يُلاحظُ مظاهر التجديد عن ابن مالك هو الجمع بين الأدلة المتنوعة لترجيح رأيه في كثير من المسائل النحوية، فيسوق في المسألة الواحدة مجموعة من الأدلة الجدلية يكون الغرض منها تقوية رأيه، وتضعيف حجة خصمه، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا.

(١) المرجع السابق ٢٠٢/١.

(٢) التذييل ٦٥/٣-٦٦.

– المطب الثالث: أثر موقف ابن مالك من آراء ابن برهان في من جاء بعد ابن مالك.

المتتبع لمصنفات جمع من النحاة ممن جاء بعد ابن مالك من شراح الألفية والتسهيل وغيرهم، يلحظ أنَّ لابن مالك أثرًا واضحًا من حيث العناية بآراء ابن برهان في كتب هؤلاء المتأخرين، إذ تابعوه في ذلك الاهتمام، في عرض آرائه وترجيحاته، والحكم عليها مع الحكم كذلك على موقف ابن مالك منها، وأبرز هؤلاء: ابن النازم، وأبو حيان، والمرادي، وابن عقيل، والشاطبي، والأشعري، وخالد الأزهرى، والسيوطي.

وظهر لي أن أغلب هؤلاء الشراح قابلوا موقف ابن مالك من تلك الآراء بالقبول والتأييد، وعدم الاعتراض عليها، إلا ما ندر.

إلا أنَّ أبرز مَنْ ناقش ابن مالك وتعقَّب موقفه من تلك الآراء هما: أبو حيان، والشاطبي، ففي التذييل والتكميل وافقه أبو حيان في نحو ستة آراء^(١)، وخالفه في جواز دخول (أل) على المضارع في اختيار الكلام، وعدم اختصاصها بالضرورة الشعرية، حيث ذكر أبو حيان أنَّ ابن مالك تفرَّد بهذا القول.

(١) وهي: تعدي الفعل (اتخذ) إلى فعل أو فعلين بحسب معناه.

وجواز إعمال (لا) النافية للجنس والغائها إذا نُعت اسمها بمرفوع.

والقول في فعلية (حبذا).

ومنع تقدم خبر (ليس) عليها.

ومن معاني الكاف: التعليل.

ودلالة (كان) على الحدث والزمن.

وخالفه كذلك في القول بجواز تقدم الحال على صاحبها المجرور بالحرف، إذ رأى أنَّ الجواز ليس على إطلاقه، بل في المسألة تفصيل، على النحو الذي تقدّم ذكره في المسألة، وكذلك خالفه في إعمال (إنما) وقياس بقيّة أخواتها عليها.

أما الشاطبي في شرحه _المقاصد الشافية_ وإنّ بدا موافقاً لابن مالك في أغلب آرائه، إلا أنّ تلك الموافقة من قبيل إيجاد وجهٍ لقبولها، لا من قبيل التحقيق؛ لأنّه كما ذكر ملتزمٌ بمنصرة مذهبه، حتى وإن تحفّظ على بعض آرائه، ويتجلّى ذلك في قوله بعد أن ذكر الأوجه العشرة التي استدلّ بها ابن مالك على دلالة (كان) على الحدث والزمن: "واعلم أنّ هذه الأدلّة كلّها قابلةٌ للنظر، ومحمّلة للبحث، وغالبها أو جميعها لا تثبت عند التحقيق الذي حقّقه الجمهور، وقد بيّنتُ ذلك في غير هذا، ولولا أنّ القصدَ توجيهُ ما ذهب إليه في هذا النظم المتّعرض لشرح مقاصده دون النظر في تحقيق المسائل على الإطلاق، لبيّنتُ ذلك، ولكني التزمت الانتصار لمذاهبه والترجيح لها على غيرها ما قدرْتُ على ذلك، فإذا لم أجد في انتحاله للإصابة مذهباً صرحْتُ بما هو الحقُّ عندي وعند أئمة هذا الشأن، فهذا هو القصد هنا، والله المستعان" (١).

وقد تقدّم تعقيبُ الشاطبي على ابن مالك في اختياره القول بجواز تقديم الحال على صاحبها المجرور بالحرف، حيث قال: "ومن عادة ابن مالك التعويلُ على اللفظة الواحدة تأتي في القرآن ظاهرها جوازٌ ما يمنعه النحويون،

(١) المقاصد الشافية ١٨٤/٢.

فيعوّل عليها في الجواز، ومخالفة الأئمة، وربما رشّح ذلك بأبيات مشهورة أو غير مشهورة، ومثّل ذلك ليس بإنصاف، فإنّ القرآن الكريم قد يأتي بما لا يُقاسُ مثله، وإن كان فصيحًا، وموجّهًا في القياس لقلته^(١).

(١) المرجع السابق ٤٥٦/٣.

الختامة:

وبعد هذا العرض لموقف ابن مالك في شرحي (التسهيل) و(الكافية الشافية) من آراء ابن برهان النحوية، ودراسته دراسة نحوية تحليلية، فقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

أولاً: ذكر ابن مالك في شرحي التسهيل والكافية الشافية آراء ابن برهان النحوية في مواضع متعددة، وافقه في سبع مسائل، وخالفه في مثلها. ثانياً: نقل ابن مالك أغلب آراء ابن برهان النحوية في شرح التسهيل، وعددها فيه تسعة آراء، وتفرّد شرح الكافية برأين، في حين اشترك الشرحان في بقية الآراء.

ثالثاً: يعدّ ابن برهان بصريّ المذهب؛ لموافقتِهِ البصريين في أغلب آرائهم النحوية، إلا أنّه لم يُقيّد نفسه بمذهبهم، أو يتعصّب لأقوالهم، بل وافق الكوفيين في عديد من المسائل، فكان من علماء الدرس البغداديّ القائم منهُجُهُم على الاختيار، وقد ناسب هذا الفكرُ ابنَ مالك، فكان يوافقه في اختياراته في مسائل عدّة.

خامساً: يُعدّ شرح اللّمع لابن برهان من المصادر النحوية المهمة التي اعتمد عليها ابن مالك، وهذا يتجلّى من خلال النقول المتعدّدة التي اقتبسها منه.

سادسًا: ظهر إجلالُ ابن مالك لابن برهان، ومكانته العلمية، وذلك من خلال اختياره للعديد من آرائه، والعناية بها، والترحم عليه في عددٍ من المسائل التي خالفه فيها.

سابعًا: ظهر لي ترجيح أغلب المسائل التي وافق فيها ابن مالك ابن برهان، عدا: تجويزه دخول (أل) على الفعل المضارع في اختيار الكلام، وعدم اختصاص ذلك بالضرورة الشعرية، وكذلك: إعمال (إنما) وقياس بقية أخواتها عليها.

ثامنًا: ظهر لي ترجيح جميع المسائل التي اعترض فيها ابن مالك على ابن برهان.

تاسعًا: جاءت نسبة الأقوال التي نسبها ابن مالك لابن برهان دقيقةً، عدا قولين، ففي نسبتهما إليه نظر؛ حيث إنني لم أجدهما في شرحه، والقولان هما:

- اعتبارُ (أي) لنداءِ المتوسط.

- اعتبارُ إضافة المصدرِ غيرِ محضة.

عاشرًا: تابع كثيرٌ من شراح الألفية والتسهيل ابن مالك في نقل آراء ابن برهان، والعناية بها، كابن الناظم، وأبي حيان، والمرادي، وابن عقيل، والشاطبي، وخالد الأزهري، والأشعوني، والسيوطي.

ثبت المصادر والمراجع:

١. أئتلاف النصره فى أئتلاف نأاة الكوفة والبصرة، لعبد اللطيف الشرحى الزبىدى، أأقق: د. طارق الأناى، ط ١، مكتبة النهضة العربىة- بىروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبى أىان الأندلسى، أأقق: د. رآب عثمان أأمد، ط ١، مكتبة الأناأى بالقاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٣. الأزهىة فى علم الأروف: للهروى، أأقق: عبد المعىن الملوأى، من مطبوعات أجمع اللغة العربىة بدمشق، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٤. أسرار العربىة، لأبى البركات ابن الأنبارى، أأقق: أأمد بأأة البىطار، مطبوعات أجمع العلمى العربى- دمشق، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.
٥. الأصول فى النأو: لأبن السراج، أأقق: د. عبد الأسىن الفتلى، ط ٣، مؤسسه الرسالة- بىروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٦. الأعلام قاموس تراأم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربىن والمستشرقىن: أأىر الأىن الزركلى، ط ١٢، دار العلم للملاىىن- بىروت، ١٩٩٧م.
٧. ألفىة ابن مالك فى النأو والأرف: لأبن مالك، ط ١، مكتبة الآداب- القاهرة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٨. الأأراق فى أصول النأو، لألال الأىن السىوطى، أأقق: عبد الأأىم عطىة، ط ٢، دار البىروأى- دمشق، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٩. الإكمال في رفع الارياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، لابن ماكولا، تصحيح وتعليق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط١، الهند، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
١٠. أمالي ابن الشجري: لابن الشجري، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ط١، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١١. إنباه الرواة عن أنباه النحاة: للقفطي، تحقيق: د. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي - القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٢. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: لأبي البركات ابن الأنباري، ومعه كتاب: (الانتصاف من الإنصاف)، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت - صيدا، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١٣. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: لابن هشام الأنصاري، ومعه (عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
١٤. الإيضاح العضدي: لأبي علي الفارسي، تحقيق: د. حسن شاذلي فرهود، ط٢، دار العلوم، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٥. البسيط في شرح جمل الزجاجي: لابن أبي الربيع، تحقيق: د. عياد الثبتي، ط١، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

١٦. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للسيوطي، تحقيق: د. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٧. تاريخ بغداد، لأبي بكر الخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط ١، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م
١٨. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: لأبي البقاء العكبري، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٩. تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. عباس مصطفى الصالحي، ط ١، دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٠. التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: لأبي حيان، تحقيق: د. حسن هندراوي، ط ١، دار القلم - دمشق، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢١. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: لابن مالك، تحقيق: محمد كامل بركات، ط ١، وزارة الثقافة - القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
٢٢. تفسير البحر المحيط: لأبي حيان، تحقيق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ: علي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٢٣. توجيه اللمع، لابن الخباز، تحقيق: فايز زكي محمد دياب، ط ٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - مصر، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٤. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: للمرادي، تحقيق: د. عبد الرحمن علي سليمان، ط ٢، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، ١٩٧٥م.
٢٥. التوطئة: للشلوبين: تحقيق: د. يوسف أحمد المطوع، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
٢٦. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٢٧. الجمل في النحو: للزجاجي، تحقيق: علي توفيق الحمد، ط ٥، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٨. الجنى الداني في حروف المعاني: للمرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ود. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٢٩. حجة القراءات، لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط ٥، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣٠. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: للبغدادي، (عبد القادر بن عمر- ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٤، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣١. الخصائص: لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط ٣، عالم الكتب- بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣٢. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسَّمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، ط ١، دار القلم، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٣٣. ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٤. ديوان ذي الرمة بشرح أبي نصر الباهلي، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، ط ١، مؤسسة الإيمان - جدة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٣٥. ديوان عروة بن حزام، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، ود. أحمد مطلوب، بغداد، ١٩٦١م.
٣٦. ديوان المخبل السعدي، تحقيق: نبيل الطريفي، ط ١، دار صادر - بيروت، ١٤٢٨هـ.
٣٧. ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعارف.
٣٨. رصف المباني في شرح حروف المعاني: للمالقي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
٣٩. سر صناعة الإعراب: لابن جني، تحقيق: د. حسن هندراوي، ط ٢، دار القلم - دمشق، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٤٠. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: لابن عقيل، ومعه (منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل): محيي الدين عبد الحميد، ط ٢٠، دار التراث - القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٤١. شرح الأشموني بحاشية الصبان، ومعه شرح شواهد العيني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية.
٤٢. شرح جمل الزجاجي، لأبي الحسن ابن خروف، تحقيق: د. سلوى محمد عرب، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ.
٤٣. شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير): لابن عصفور، تحقيق: د. صاحب أبو جناح.

٤٤. شرح الجمل، لابن بابشاذ، تحقيق: د. حسين علي لفته السعدي، جامعة بغداد، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٤٥. شرح التسهيل: لابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، ط ١، هجر للطباعة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٤٦. التصريح بمضمون التوضيح: للشيخ خالد الأزهرى، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٤٧. شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ: لابن مالك، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني - بغداد، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٤٨. شرح كافية ابن الحاجب: للرضي، تصحيح وتذييل: يوسف حسن عمر، ط ٢، من منشورات جامعة بنغازي، ١٩٩٦م.
٤٩. شرح الكافية الشافية: لابن مالك، تحقيق: عبد المنعم هريدي، ط ١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث العلمي - مكة، دار المأمون - دمشق، ١٤٢٠هـ.
٥٠. شرح كتاب سيبويه: لعلي بن عيسى الرماني، دراسة وتحقيق: محمد إبراهيم شيبه، ١٤١٤هـ-١٤١٥هـ.
٥١. شرح كتاب سيبويه: لعلي بن عيسى الرماني، من (باب الندبة) إلى نهاية (باب الأفعال في القسم)، دراسة وتحقيق: سيف بن عبد الرحمن العريفي، ١٤١٨هـ.
٥٢. شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدي - علي سيد علي، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠٠٨م.

٥٣. شرح اللمحة البدرية في علم العربية: لابن هشام الأنصاري، تحقيق: هادي نهر، ط ١، دار اليازوري العلمية- عمان، ٢٠٠٧م.
٥٤. شرح اللمع، لابن برهان العكبري، تحقيق: د. فائز فارس، ط ١، الكويت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٥٥. شرح المفصل: لابن يعيش، عالم الكتب- بيروت، مكتبة المتنبي- القاهرة.
٥٦. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢، دار العلم للملايين- بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٥٧. الفصول الخمسون: لابن معطي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الإيمان، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٥٨. الكامل: للمبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نخضة مصر للنشر والطبع- الفجالة- مصر.
٥٩. الكتاب: لسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٣، مكتبة الخانجي- القاهرة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٦٠. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للزمخشري، تحقيق: خليل مأمون، دار المعرفة- بيروت، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٦١. اللامات، للزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، ط ٢، دار الفكر- دمشق، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٦٢. الباب في علل البناء والإعراب: للعكبري، تحقيق: غازي مختار طليمات، ود. عبد الإله نهان، ط ١، دار الفكر- دمشق، دار الفكر المعاصر-

بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م - من مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
بدي.

٦٣. **لمع الأدلة في أصول النحو**، لأبي البركات ابن الأنباري، تحقيق:
سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٧م .

٦٤. **اللمع في العربية**، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: حامد
المؤمن، ط١، مطبعة العاني - بغداد، ١٩٨٢م.

٦٥. **المختسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: لابن
جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح
إسماعيل شلي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي -
القاهرة، ١٣٨٦هـ.

٦٦. **الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لابن عطية، عبد
السلام الشافعي محمد، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٢هـ.

٦٧. **المرتجل**: لابن الخشاب، تحقيق: علي حيدر، ط١، دمشق،
١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٦٨. **المسائل الحلبيات**، لأبي علي الفارسي، تحقيق: حسن هنداي،
ط١، دار القلم - دمشق، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٩. **المسائل العسكرية في النحو العربي**، لأبي علي الفارسي،
تحقيق: د. علي جابر المنصوري، ط٢، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٢م.

٧٠. **المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات**: لأبي علي الفارسي،
تحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مطبعة العاني - بغداد.

٧١. المساعد على تسهيل الفوائد: لابن عقيل، تحقيق: د. محمد كامل بركات، دار الفكر - دمشق، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٧٢. معاني القرآن للزجاج وإعرابه: للزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلي، ط ١، عالم الكتب - بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٧٣. معاني القرآن: للأخفش، تحقيق: د. هدى محمد قرّاعة، ط ١، مطبعة المدني - القاهرة، نشر مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٧٤. معاني القرآن: للفرّاء، تحقيق: محمد علي النجار - أحمد يوسف نجاتي، ط ٣، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٧٥. مغني اللبيب عن كتب الأعراب: لابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، ط ١، دار الفكر - بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٧٦. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك): للشاطبي، تحقيق: د. عياد الثبتي، مكتبة دار التراث - مكة المكرمة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٧٧. المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: للعيني، بهامش خزانة الأدب للبغداداي، ط ١، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٢٩٩م.
٧٨. المقتصد في شرح الإيضاح: للجرجاني، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م.
٧٩. المقتضب: للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، ط ٣، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٨٠. المقدمة الجزولية في النحو: للجزولي، تحقيق: د. شعبان عبد الوهاب محمد، مطبعة أم القرى.
٨١. المقرب: لابن عصفور، تحقيق: أحمد عبد الستار الجوّاري وعبد الله الجبوري، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٨٢. نزهة الألباء في طبقات الأدباء: لأبي البركات ابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر - الفجّالة - القاهرة.
٨٣. النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، تصحيح: علي محمد الضبّاع، دار الكتب العمومية.
٨٤. النوادر في اللغة: لأبي زيد الأنصاري، تحقيق: د. محمد عبد القادر أحمد، ط١، دار الشروق، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
٨٥. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: لجلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

Bibliography:

1. I'tilāf al-nuṣrah fī ikhtilāf nuḥāt al-Kūfah wa-al-Baṣrah, by Abdul-Latif Al-Sharji Al-Zubaidi, edited by: Dr. Tariq Al-Janabi, 1st edition, Arab Nahda Library - Beirut, 1407 AH - 1987 AD.
2. Irtishāf al-ḍarb min Lisān al-‘Arab: by Abu Hayyan al-Andalusi, edited by: Dr. Rajab Othman Muhammad, 1st edition, Al-Khanji Library in Cairo, 1418 AH - 1998 AD.
3. ala’zhiyyah fī ‘ilm al-ḥurūf: by Al-Harawi, edited by: Abdel Moin Al-Mallouhi, from the publications of the Arabic Language Academy in Damascus, 1413 AH - 1993 AD.
4. Asrār al-‘Arabīyah, by Abu Al-Barakat Ibn Al-Anbari, edited by: Muhammad Bahja Al-Bitar, Publications of the Arab Scientific Academy - Damascus, 1377 AH - 1957 AD.
5. al-uṣūl fī al-naḥw: by Ibn al-Sarraj, edited by: Dr. Abdul Hussein Al-Fatli, 3rd edition, Al-Resala Foundation - Beirut, 1417 AH - 1996 AD.
6. al-A‘lām Qāmūs tarājim li-ashhar al-rijāl wa-al-nisā’ min al-‘Arab wa-al-musta’ribīn wa-al-mustashriqīn: Khair al-Din al-Zirkli, 12th edition, Dar al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 1997 AD.
7. Alfīyat Ibn Mālik fī al-naḥw wa-al-ṣarf: by Ibn Malik, 1st edition, Library of Arts - Cairo, 1422 AH - 2001 AD.
8. al-Iqtirāḥ fī uṣūl al-naḥw, by Jalal al-Din al-Suyuti, edited by: Abdul Hakim Attia, 2nd edition, Dar al-Beirut - Damascus, 1427 AH - 2006 AD.
9. al-Ikmāl fī Raf‘ al-irtiyāb ‘an al-Mu’talif wālmkhtlf fī al-asmā’ wa-al-kunā wa-al-ansāb, by Ibn Makula, corrected and commented by: Abd al-Rahman bin Yahya al-Mu’alami, 1st edition, India, 1381 AH - 1961 AD.
10. Amālī Ibn al-Shajarī: by Ibn al-Shajri, edited by: Dr. Mahmoud Muhammad Al-Tanahi, 1st edition, Al-Khanji Library - Cairo, 1413 AH - 1992 AD.
11. Inbāh al-ruwāh ‘an anbāh al-nuḥāh: by Al-Qifti, edited by: Dr. Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 1st edition, Dar Al-Fikr Al-Arabi - Cairo and the Cultural Books Foundation - Beirut, 1406 AH - 1986 AD.
12. al-Inṣāf fī masā’il al-khilāf bayna al-naḥwīyīn al-

Başrīyīn wa-al-Kūfīyīn: by Abu al-Barakat Ibn al-Anbari, and with it the book: (Al-Intisaaf min Al-Insaaf), by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Al-Maktabah Al-Asriyah - Beirut - Sidon, 1407 AH, 1987 AD.

13. Awdāḥ al-masālik ilā Alfīyat Ibn Mālik: by Ibn Hisham Al-Ansari, and with him (Uddat Al-Saalik Ilā Tahqīq Awdāḥ Al-Masālik) edited by: Muhammad Muhyi al-Din Abdul Hamid, Al-Maktabah Al-Asriyah, Sidon - Beirut.

14. al-Īdāḥ al'ḍdy: by Abu Ali Al-Farsi, edited by: Dr. Hassan Shazly Farhoud, 2nd edition, Dar Al-Ulum, 1408 AH - 1988 AD.

15. al-basīṭ fī sharḥ Jamal al-Zajjājī: by Ibn Abi Al-Rabi', edited by: Dr. Ayad Al-Thubaiti, 1st edition, Dar Al-Gharb Al-Islami - Beirut, 1407 AH - 1986 AD.

16. Bughyat al-wu'āḥ fī Ṭabaqāt al-lughawīyīn wa-al-nuḥḥāḥ: by Al-Suyuti, edited by: Dr. Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 1st edition, Issa Al-Babi Al-Halabi and Partners Press, 1384 AH - 1964 AD.

17. Tārīkh Baghdād, by Abu Bakr al-Khatib al-Baghdadi, edited by: Bashar Awad Marouf, 1st edition, Dar al-Gharb al-Islami - Beirut, 1422 AH - 2002 AD.

18. al-Tabyīn 'an madhāhib al-naḥwīyīn al-Başrīyīn wa-al-Kūfīyīn: by Abu Al-Baqa Al-Akbari, edited by: Dr. Abdul Rahman bin Suleiman Al-Uthaymeen, 1st edition, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, 1406 AH - 1986 AD.

19. talkhīṣ al-shawāhid wa-talkhīṣ al-Fawā'id, by Ibn Hisham Al-Ansari, edited by: Dr. Abbas Mustafa Al-Salhi, 1st edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1406 AH - 1986 AD.

20. al-Tadhyīl wa-al-takmīl fī sharḥ Kitāb al-Tas'hīl: by Abu Hayyan, edited by: Dr. Hassan Hindawi, 1st edition, Dar Al-Qalam - Damascus, 1418 AH - 1997 AD.

21. Tas'hīl al-Fawā'id wa-takmīl al-maqāsid: by Ibn Malik, edited by: Muhammad Kamel Barakat, 1st edition, Ministry of Culture - Cairo, 1387 AH - 1967 AD.

22. tafsīr al-Baḥr al-muḥīt: by Abu Hayyan, edited by: Sheikh: Adel Ahmad Abd al-Mawjoud, Sheikh: Ali Muhammad Moawad, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 1413 AH, 1993 AD.

23. tawjīh al-Luma‘, by Ibn Al-Khabbaz, edited by: Fayez Zaki Muhammad Diab, 2nd edition, Dar Al-Salam for Printing, Publishing, Distribution and Translation - Egypt, 1428 AH - 2007 AD.

24. Tawdīh al-maqāsid wa-al-masālik bi-sharh Alfīyat Ibn Mālik: by Al-Muradi, edited by: Dr. Abdul Rahman Ali Suleiman, 2nd edition, Al-Azhar Colleges Library - Cairo, 1975 AD.

25. altwṭṭ’h: For Al-Shalubin: Investigation: Dr. Yousef Ahmed Al-Mutawa, 1401 AH - 1981 AD.

26. al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān, by Al-Qurtubi, edited by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Tfayesh, 2nd edition, Dar Al-Kutub Al-Misria - Cairo, 1384 AH - 1964 AD.

27. al-Jamal fī al-naḥw: by Al-Zajjaji, edited by: Ali Tawfiq Al-Hamad, 5th edition, Al-Resala Foundation - Beirut, 1417 AH - 1996 AD.

28. al-Janā al-Dānī fī ḥurūf al-ma‘ānī: by Al-Muradi, edited by: Dr. Fakhr al-Din Qabawa, Dr. Muhammad Nadeem Fadel, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1413 AH - 1992 AD.

29. ḥujjat al-qirā’āt, by Abu Zur’ah Abd al-Rahman bin Zanjla, edited by: Saeed al-Afghani, 5th edition, Al-Resala Foundation - Beirut, 1418 AH - 1997 AD.

30. Khizānat al-adab wa-lubb Lubāb Lisān al-‘Arab: by Al-Baghdadi, (Abdul Qadir bin Omar - 1093 AH), edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, 4th edition, Al-Khanji Library in Cairo, Al-Madani Press, 1418 AH - 1997 AD.

31. al-Khaṣā’iṣ: by Ibn Jinni, edited by: Muhammad Ali al-Najjar, 3rd edition, Alam al-Kutub - Beirut, 1403 AH - 1983 AD.

32. al-Durr al-maṣūn fī ‘ulūm al-Kitāb al-maknūn: by Al-Samin Al-Halabi, edited by: Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharrat, 1st edition, Dar Al-Qalam, 1406 AH - 1986 AD.

33. Dīwān Jarīr, Beirut Printing and Publishing House, 1406 AH - 1986 AD.

34. Dīwān Dhī al-Rummah bi-sharh Abī Naṣr al-Bāhilī, edited by: Abdul Quddus Abu Saleh, 1st edition, Al-Iman Foundation - Jeddah, 1402 AH - 1982 AD.

35. Dīwān ‘Urwah ibn Ḥazzām, edited by: Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Dr. Ahmed Matloub, Baghdad, 1961 AD.

36. Dīwān almkhbl al-Sa'dī, edited by: Nabil Al-Tarifi, 1st edition, Dar Sader - Beirut, 1428 AH.
37. Dīwān al-Nābighah al-Dhubyānī, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, 2nd edition, Dar al-Ma'aref.
38. Raṣf al-mabānī fī sharḥ ḥurūf al-ma'ānī: by Al-Malaki, edited by: Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharat, Publications of the Arabic Language Academy in Damascus.
39. Sirr ṣinā'at al-i'rāb: by Ibn Jinni, edited by: Dr. Hassan Hindawi, 2nd edition, Dar Al-Qalam - Damascus, 1413 AH - 1993 AD.
40. sharḥ Ibn 'Aqīl 'alā Alfīyat Ibn Mālik: by Ibn Aqeel, and with him (The Galilee Grant Verified by Ibn Aqeel's Explanation): Muhyi al-Din Abd al-Hamid, 20th edition, Dar al-Turath - Cairo, 1400 AH - 1980 AD.
41. sharḥ al-Ushmūnī bi-ḥāshiyat al-Ṣabbān, along with Sharḥ Shawāhid al-Aini, edited by: Taha Abd al-Raouf Saad, Al-Maktabah al-Tawfiqiyya.
42. sharḥ Jamal al-Zajjājī, by Abu Al-Hasan Ibn Kharouf, edited by: Dr. Salwa Muhammad Arab, Umm Al-Qura University, 1419 AH.
43. sharḥ Jamal al-Zajjājī (al-sharḥ al-kabīr): by Ibn Asfour, edited by: Dr. Sāhib Abu Jinnah.
44. sharḥ al-Jamal, by Ibn Babshadh, edited by: Dr. Hussein Ali Lafta Al-Saadi, University of Baghdad, 1424 AH - 2003 AD.
45. sharḥ al-Tas'hīl: by Ibn Malik, edited by: Dr. Abdul Rahman Al-Sayed and Dr. Muhammad Badawi Al-Makhtoon, 1st edition, Hijr Printing, 1410 AH - 1990 AD.
46. al-Taṣrīḥ bmdmwn al-Tawḍīḥ: by Sheikh Khaled Al-Azhari, edited by: Muhammad Basil Oyoum Al-Aswad, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1421 AH - 2000 AD.
47. sharḥ 'Umdat al-Hāfīz wa-'uddat allāfz: by Ibn Malik, edited by: Adnan Abd al-Rahman al-Duri, Al-Ani Press - Baghdad, 1397 AH - 1977 AD.
48. sharḥ Kāfiyah Ibn al-Hājib: by al-Radi, corrected and appended by: Youssef Hassan Omar, 2nd edition, published by the University of Benghazi, 1996 AD.
49. sharḥ al-Kāfiyah al-shāfiyah: by Ibn Malik, edited

by: Abdel Moneim Haridi, 1st edition, Center for Scientific Research and Revival of Scientific Heritage - Mecca, Dar Al-Ma'moun - Damascus, 1420 AH.

50. sharḥ Kitāb Sībawayh: by Ali bin Issa al-Rummani, study and investigation: Muhammad Ibrahim Shaybah, 1414 AH - 1415 AH.

51. sharḥ Kitāb Sībawayh: by Ali bin Issa al-Rummani, from (Chapter on al-Nadba) to the end of (Chapter of Al-Af'āl fī Al-Qasam), study and investigation: Saif bin Abdul Rahman al-Arifi, 1418 AH.

52. sharḥ Kitāb Sībawayh, by Abu Saeed Al-Sirafi, edited by: Ahmed Hassan Mahdali - Ali Sayyid Ali, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 2008 AD.

53. sharḥ al-Lamḥah al-Badrīyah fī 'ilm al-'Arabīyah: by Ibn Hisham Al-Ansari, edited by: Hadi Nahr, 1st edition, Dar Al-Yazuri Scientific - Amman, 2007 AD.

54. sharḥ al-Luma', by Ibn Burhan Al-Akbari, edited by: Dr. Fayez Fares, 1st edition, Kuwait, 1404 AH - 1984 AD.

55. sharḥ al-Mufaṣṣal: by Ibn Ya'ish, World of Books - Beirut, Al-Mutanabbi Library - Cairo.

56. al-ṣiḥāḥ (Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-'Arabīyah): by Al-Jawhari, edited by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, 2nd edition, Dar Al-Ilm Lil-Malayen - Beirut, 1399 AH - 1979 AD.

57. al-Fuṣūl al-khamsūn: by Ibn Muti, edited by: Dr. Mahmoud Muhammad Al-Tanahi, Al-Iman Library, Issa Al-Babi Al-Halabi and Partners.

58. al-kāmil: For Al-Mubarrad, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Nahdet Misr for Publishing and Printing - Al-Fagala - Egypt.

59. Al-Kitāb: By Sibawayh, edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, 3rd edition, Al-Khanji Library - Cairo 1408 AH - 1988 AD.

60. al-Kashshāf 'an ḥaqā'iq al-tanzīl wa-'uyūn al-aqāwīl fī Wujūh al-ta'wīl: by Al-Zamakhshari, edited by: Khalil Mamoun, Dar Al-Ma'rifa - Beirut, 1430 AH - 2009 AD.

61. allāmāt, by Al-Zajjaji, edited by: Mazen Al-Mubarak, 2nd edition, Dar Al-Fikr - Damascus, 1405 AH - 1985 AD.

62. al-Lubāb fī 'Ilal al-binā' wa-al-i'rāb: by Al-Akbari, edited by: Ghazi Mukhtar Tulaimat, and Dr. Abdul-Ilah Nabhan, 1st

edition, Dar Al-Fikr - Damascus, Dar Al-Fikr Al-Masryam - Beirut, 1416 AH - 1995 AD - from the publications of the Juma Al Majid Center for Culture and Heritage in Dubai.

63. Luma' al-adillah fi usul al-naḥw, by Abu al-Barakat Ibn al-Anbari, edited by: Saeed al-Afghani, Syrian University Press, 1957 AD.

64. al-Luma' fi al-'Arabīyah, by Abu Al-Fath Othman bin Jinni, edited by: Hamid Al-Mu'min, 1st edition, Al-Ani Press - Baghdad, 1982 AD.

65. al-Muḥtasib fi Tabyīn Wujūh shawādh al-qirā'āt wa-al-īdāḥ 'anhā, by Ibn Jinni, edited by: Ali al-Najdi Nassif, and Dr. Abdel Halim Al-Najjar and Dr. Abdel Fattah Ismail Shalabi, Supreme Council for Islamic Affairs, Committee for the Revival of Islamic Heritage - Cairo, 1386 AH.

66. al-muḥarrir al-Wajīz fi tafsīr al-Kitāb al-'Azīz, by Ibn Atiya, Abd al-Salam al-Shafī'i Muhammad, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 1422 AH.

67. Al-Murtajjal, by Ibn al-Khashab, edited by: Ali Haider, 1st edition, Damascus, 1392 AH - 1972 AD.

68. al-masā'il alḥlbyāt, by Abu Ali Al-Farsi, edited by: Hassan Hindawi, 1st edition, Dar Al-Qalam - Damascus, 1407 AH - 1987 AD.

69. al-masā'il al'skryāt fi al-naḥw al-'Arabī, by Abu Ali Al-Farsi, edited by: Dr. Ali Jaber Al-Mansouri, 2nd edition, Baghdad University Press, 1982 AD.

70. al-masā'il al-mushkilah al-ma'rūfah bālbghdādyāt, by Abu Ali Al-Farsi, edited by: Salahuddin Abdullah Al-Sinkawi, Al-Ani Press - Baghdad.

71. al-musā'id 'alā Tas'hīl al-Fawā'id, by Ibn Aqeel, edited by: Dr. Muhammad Kamel Barakat, Dar Al-Fikr - Damascus, 1400 AH - 1980 AD.

72. ma'ānī al-Qur'ān llzjāj wa-i'rābuh by Al-Zajjāj, edited by: Dr. Abd al-Jalil Abdo Shalabi, 1st edition, Alam al-Kutub - Beirut 1408 AH - 1988 AD.

73. ma'ānī al-Qur'ān: by Al-Akhfash, edited by: Dr. Hoda Muhammad Qaraa, 1st edition, Al-Madani Press - Cairo, published by Al-Khanji Library, 1411 AH - 1990 AD.

74. ma'ānī al-Qur'ān: For Al-Farra', edited by: Muhammad

Ali Al-Najjar - Ahmed Youssef Najati, 3rd edition, Alam Al-Kutub - Beirut, 1403 AH - 1983 AD.

75. Mughnī al-labīb ‘an kutub al-a‘ārīb: by Ibn Hisham Al-Ansari, edited by: Dr. Mazen Al-Mubarak and Muhammad Ali Hammad, reviewed by: Saeed Al-Afghani, 1st edition, Dar Al-Fikr - Beirut, 1412 AH - 1992 AD.

76. al-maqāṣid al-shāfiyah fī sharḥ al-Khulāṣah al-Kāfiyah (sharḥ Alfīyat Ibn Mālik): by Al-Shatibi, edited by: Dr. Ayyad Al-Thubaiti, Dar Al-Turath Library - Mecca, 1417 AH - 1996 AD.

77. al-maqāṣid al-naḥwīyah fī sharḥ shawāhid shurūḥ al-alfīyah: by Al-Aini, in the margin of the Treasury of Literature by Al-Baghdadi, 1st edition, Al-Amiriya Press in Bulaq, 1299 AD.

78. al-muqtaṣid fī sharḥ al-Idāḥ: by Al-Jurjani, edited by: Dr. Kazem Bahr Al-Marjan, Publications of the Ministry of Culture and Information - Republic of Iraq, 1982 AD.

79. al-Muqtaḍab: by Al-Mubarrad, edited by: Muhammad Abdel-Khaleq Adima, 3rd edition, Committee for the Revival of Islamic Heritage - Cairo, 1415 AH - 1994 AD.

80. al-muqaddimah al-Juzūliyah fī al-naḥw: by Al-Jazouli, edited by: Dr. Shaaban Abdul Wahab Muhammad, Umm Al-Qura Press.

81. Al-Muqarrab: by Ibn Asfour, edited by: Ahmed Abdel Sattar Al-Jawari and Abdullah Al-Jubouri, first edition 1392 AH - 1972 AD.

82. Nuzhat al-alibbā’ fī Ṭabaqāt al-Udabā’: by Abu al-Barakat Ibn al-Anbari, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar Nahdet Misr - Al-Fagala - Cairo.

83. al-Nashr fī al-qirā’āt al-‘ashr: by Ibn al-Jazari, corrected by: Ali Muhammad al-Dabbaa, Dar al-Kutub al-Ammiyyah.

84. al-Nawādir fī al-lughah: by Abu Zaid Al-Ansari, edited by: Dr. Muhammad Abdul Qadir Ahmed, 1st edition, Dar Al-Shorouk, 1401 AH - 1981 AD.

85. am‘ al-hawāmi‘ fī sharḥ jam‘ al-jawāmi’: by Jalal al-Din al-Suyuti, edited by: Ahmed Shams al-Din, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 1418 AH - 1998 AD.

التعبيرات الاصطلاحية في معجم المكنز الكبير
دراسة في الجمع والوضع والتعريف

د. فاطمة بنت عبد العزيز العثمان
قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية – جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية





التعبيرات الاصطلاحية في معجم المكنز الكبير

دراسة في الجمع والوضع والتعريف

د. فاطمة بنت عبد العزيز العثمان

قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٢٨ / ٨ / ١٤٤٥ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤ / ٢ / ١٤٤٦ هـ

الملخص:

يدرس البحث واقع التعبيرات الاصطلاحية في المعاجم العربية، المكنز الكبير أنموذجاً؛ للإسهام في رسم منهجية جمعه، ووضعه في المعجم ترتيباً وتعريفاً، وقد اتّبع المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستناد إلى الأمثلة والشواهد وصولاً إلى استقراء الحقائق والنتائج. وانتهت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها: جُمعت التعبيرات الاصطلاحية من مصادر مختلفة: دينية، ومعجمية، وأدبية، قديمة وحديثة، مكتوبة، وسمعية، ووُضعت في مداخل فرعية بعد المداخل الرئيسية مرموزةً، وفي نهاية المجال معنونة بـ(التعبيرات السياقية العامة)، وتكرر التعبيرات ذاتها بين المكانين، ويجيء تكرارها في المداخل الفرعية أيضاً. مقابل الكلمات دون إحالة وهو ما يعكس اضطراب الترتيب.

أما التعريف فالتعبيرات تنال حظها من التعريف مقابل الكلمة وتترك أحياناً من دونه، والتعريف مختلف في تفصيلاته الشكلية والدلالية، أما ما جاءت نهاية المجال فيصير المجال دالاً عليها إجمالاً.

الكلمات المفتاحية: التعبيرات الاصطلاحية، المصاحبة، المكنز الكبير، الجمع، الوضع.

Idiomatic Expressions in The Al-Meqnaz Al-Qabeer

A study in collection, arrangement & definition

Dr. Fatima bint Abdul Aziz Al Othman

Department of Arabic Language - College of Arabic Language-
Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

The research studies the reality of idiomatic expressions in Arabic glossaries, including, for example, “Al-Meqnaz Al-Qabeer,” contributing to the development of a methodology for collecting and arranging these expressions in terms of their order and definition in the lexicon. It follows the descriptive approach that’s based on analysis and reliance on examples and evidence to derive facts and conclusions. The study reached several key findings, the most important of which are as follows: Idiomatic expressions were collected from various sources: religious, lexical, literary, ancient & modern, written & audio, and placed in sub-entries following the main entries, symbolized, and at the end of the field entitled (General Contextual Expressions), the same expressions are repeated between both places; their repetition in sub-entries is made opposite the words also without reference, reflecting disorder.

Regarding definition, the idiomatic expressions are sometimes defined alongside the corresponding words and at other times left undefined, and the definition differs in its formal & semantic details, but for expressions coming at the end of the field, the field becomes indicative thereto generally.

Keywords :Idiomatic terms & expressions accompanying them, Al-Meqnaz Al-Qabeer, collection, arrangement.

مقدمة

تشكل التعبيرات الاصطلاحية وحدة معجمية مركبة لها دلالة مكتسبة من اصطلاح الجماعة، سار بها الاستعمال اللغوي إلى ترسيخ لغوي تناقله المجتمع بدلالة منفصلة عن دلالة الوحدات المفردة المكونة لها، وهو ما يتطلب حفظ منزلتها في التأليف المعجمي؛ لقيمتها الدلالية، وحاجة المجتمع اللغوي إلى تخطي إشكالات الفهم الدلالي، والحاجة إلى إنزالها منزلتها في الوضع المعجمي ترتيباً وتعريفاً، وقد حفلت بها المعجمات قديمها وحديثها، ولكنها على اختلاف في عرضها، وتوظيفها، والوفاء بمتطلباتها؛ إذن التعبيرات الاصطلاحية جزء من مادة المعجم، وقد برزت في معالجتها إشكالات أساسية، استدعت دراسة منهج وضعها في المعجم.

ومن هنا جاءت الدراسة المعنونة بـ (التعبيرات الاصطلاحية في معجم المكنز الكبير - دراسة معجمية)، لتجيب عن السؤال الرئيس الآتي:
ما المنهجية المتبعة في إيراد التعبيرات الاصطلاحية في معجم المكنز الكبير؟

ويتفرع منه الأسئلة التالية:

كيف تعامل المعجم مع التعبيرات الاصطلاحية في مقدمته؟
ما مصادر المعجم في إيراد التعبيرات الاصطلاحية؟
ما طريقة المعجم في ترتيب التعبيرات الاصطلاحية؟ وهل جاءت في مداخل رئيسة، أو مداخل فرعية؟
ما دور التعبيرات الاصطلاحية في المعجم؟

كيف عرّف المعجم التعبيرات الاصطلاحية؟

وقد وقع الاختيار على معجم المكنز الكبير، للأسباب الآتية:

- اهتمام المعجم بالتعبيرات الاصطلاحية الذي تجلّى في كثرتها، وتخصيصها بمواضع محددة؛ وهو ما يعطيها أهمية، ويجعل المكنز مصدرًا مهمًا من مصادرها.

- اعتماده على مصادر متخصصة في التعبيرات الاصطلاحية.

- مناسبة نوعه حيث التصنيف وفق المجالات مع الطبيعة الدلالية للتعبيرات الاصطلاحية.

أهداف الدراسة:

- الوقوف على واقع إيراد التعبيرات الاصطلاحية في المعاجم العربية للإسهام في رسم منهجية محددة لوضعه ترتيبًا وتعريفًا.

الدراسات السابقة:

- . نالت التعبيرات الاصطلاحية في المعاجم اللغوية اهتمامًا من اللغويين للتأكيد على أهمية الوقوف على المعالجة المعجمية للتعبيرات الاصطلاحية، والالتفاتة إلى منزلتها في تلك المعاجم، ومن تلك الدراسات:
- منزلة المتلازمات في "المعجم الوسيط"، علي الوديني.
- المتلازمات اللفظية في المعاجم الأحادية والثنائية اللغة، أمينة أدرور.
- شواهد المتلازمات اللفظية في "القاموس الألفبائي" و "المعجم العربي الأساسي"، الحبيب النصراوي.
- منهج الوضع في المتلازمات في "المنجد"، محمد شندول.

○ تعريف المتلازمات اللفظية في القاموس العربي الحديث "المعجم الوسيط" نموذجًا، منية لحمامي.

○ توارد المتلازمات اللفظية في المعاجم اللغوية العربية: "لسان العرب" نموذجًا، عبدالرزاق بن عمر.

نُشرت هذه البحوث في مجلة الدراسات المعجمية، ع ٥، ٢٠٠٦م، الرباط: منشورات الجمعية المغربية للدراسات المعجمية. وقد تناولت في مجملها التعبيرات الاصطلاحية في المعاجم اللغوية، ومنها ما تناول معجمًا قديمًا، مثل: لسان العرب، ومنها ما تناول معاجم حديثة، مثل الوسيط والأساسي، والمنجد، وبعضها قارن بين منهجية تعريفها في معاجم أحادية ومعاجم ثنائية، مثل: السبيل والمفصل، والمورد والمغني الوسيط من المعاجم الثنائية، والمورد والوسيط من المعاجم الأحادية.

وقد تناولت الجمع والوضع: ترتيبًا وتعريفًا فيما حددته من مدونات، وبيّنت منزلة المتصاحبات، وآلية ورودها.

○ التعبيرات الاصطلاحية: نظرة في مفهومها وخصائصها ومحددات معناها في المعجم العربي، محمد بن نافع العنزي، علوم اللغة، مج ١٢، ع ٢، ٢٠٠٩م، جاء فيها الحديث عن التعبيرات الاصطلاحية وطرق تعريفها في عدد من المعجمات، مثل: لسان العرب، وأساس البلاغة.

○ التعبيرات الاصطلاحية ودورها في إعداد المعجم اللغوي المعاصر، بانا بلال شباني، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مج ٣٩، ع ٥، ٢٠١٧. جاء فيها الحديث عن التعبيرات الاصطلاحية في

مدونة معجمية ذات طابع مؤسسي تتمثل في المعجم الوسيط، ومدونة معجمية ذات طابع فردي وهي معجم " المنجد". ووقف فيهما عند مسائل ثلاث، هي: الجمع، والوضع، والتعريف.

ويتضح الفرق بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة في المدونة ومعالجتها للتعبيرات الاصطلاحية كمًّا وكيفًا، فالمعجم محل الدراسة ذو أهمية في واقع التعبيرات الاصطلاحية؛ وذلك أنه . كما أشار مؤلفه في مقدمته . معجم ضم بين دفتيه معجمًا للموضوعات أو المجالات، ومعجمًا للمترادفات والمتضادات، ومعجمًا ثالثًا لمعاني الكلمات، ومعجمًا رابعًا للألفاظ والكلمات، وقد سلك منهجًا خاصًا تفرد به في ترتيب التعبيرات الاصطلاحية؛ إذ جاءت عنده في مكانين؛ أحدهما مقابل الكلمة التي ورد فيها التعبير، والآخر في نهاية المجال حيث تطابق معناها مع معنى المجال، مما يبرز تفرد المعجم في بعض آليات معالجتها. إضافة إلى أن منهجه منهج الحقول الدلالية الذي تعتبره الأدبيات اللسانية المنهج الأنسب لتبويب معاجم التعبيرات الاصطلاحية^(١).

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي والاستناد إلى الأمثلة والشواهد وصولًا إلى استقراء الحقائق والنتائج.

(١) ينظر: المصاحبة في التعبير اللغوي، محمد حسن عبدالعزيز، د.ط(القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت) ص ٤٢؛ و تعريف المتلازمات اللفظية في القاموس العربي الحديث " المعجم الوسيط" نموذجًا، منية لحمامي، مجلة الدراسات المعجمية، ع ٥، ٢٠٠٦م، الرابط: منشورات الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، ص ٢٣٥.

وجاءت الدراسة في مبحثين، مبحث نظري، ومبحث تطبيقي:

المبحث النظري، وفيه:

المطلب الأول: التعبيرات الاصطلاحية، مفهوماً: والمصطلحات المصاحبة لها.

المطلب الثاني: أنماط التعبيرات الاصطلاحية.

المطلب الثالث: مصادر التعبيرات الاصطلاحية.

المطلب الرابع: التعبيرات الاصطلاحية والمعجم.

المطلب الخامس: المكنز الكبير، مؤلفه ومنهجه، وهدفه.

المبحث التطبيقي، ويعرض منهجية المعجم في إيراد التعبيرات الاصطلاحية.

أولاً. المبحث النظري:

المطلب الأول. التعبير الاصطلاحي، مفهومه. والمصطلحات المصاحبة له.

ورد مصطلح (التعبير الاصطلاحي) بأسماء مختلفة قديماً وحديثاً، وقد جاء بها عدد من الباحثين^(١)، ومنها: المثل، والتمثيل، والمماثلة

(١) ينظر مناقشة المصطلح في التعبير الاصطلاحي، دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه، ومجالاته وأنماطه التركيبية، كريم زكي حسام الدين، ط١ (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٨٥م - ١٤٠٥هـ) ١٨ - ٣٤؛ والتعابير الاصطلاحية بين النظرية والتطبيق، عصام الدين أبو زلال، ط١ (الإسكندرية: دار الوفاء، ٢٠٠٥) ص ٢٠ - ٤٨؛ و التعبيرات الاصطلاحية: نظرة في مفهومها، وخصائصها، ومحددات معناها في المعجم العربي، محمد العنزي، علوم اللغة، مج ٢،

عند القدماء، أما عند المحدثين فقد جاءت بأسماء كثيرة هي: العبارة الماثورة، والكلام الماثور، والقول الماثور، والقول السائر، والتعبير الأدبي، والتعبير الخاص، والكليشة، والتركيب المسكوك، والصيغ المسكوكة، والتعبيرات الشائعة، والعبارات الجاهزة، والعبارة الدارجة، والمثل^(١). والظاهر أن التباين في تحديد المصطلح يرجع إلى أن الدراسات الأولية فيما مضى لم تتحدد، وهي البدايات غير الممنهجة؛ حيث لم تتوجه الدراسات إلى حدود مؤطرة للتعبير الاصطلاحي مصطلحاً ومفهوماً، ومع توالي الدراسات في العصر الحديث صار التحديد والتأطير للمصطلح فجاء تكرر (التعبير الاصطلاحي) في الدراسات والأبحاث وتوجهت إليه باسمه ومصطلحه في الدراسات الدلالية والمعجمية.

وفي التحليل المفهومي للتعبير الاصطلاحي يلزمنا تحليله بالنظر إلى مكونات التركيب، فهو تركيب وصفي، مكون من مصدر + مصدر، والموصوف مصدر (عَبَّرَ) من (عَبَرَ) جاء في المقاييس " العين والباء والراء أصلٌ واحدٌ يدل على النفوذ والمضي في الشيء. يُقال عَبَرَت النهر عبوراً... ومن الباب العبْرة، قال الخليل: عَبْرَةُ الدَّمَع: جَرِيئُهُ. قال: والدَّمَعُ أيضاً نفسه

٢٤، ٢٠٠٩، ص ١٠٧-١١٢؛ و التعبير الاصطلاحي في اللغة العربية، هدى عبدالعاطي، د. ط (الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية، د. ت)، ص ٢٣.

(١) ينظر: التعبير الاصطلاحي، دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه، ومجالاته الدلالية وأتماطه التركيبية، ص ١٨-٣٤؛ و التعابير الاصطلاحية بين النظرية والتطبيق، عصام الدين أبو زلال، (الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م) ص ٤٥-٤٧؛ والمعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية، ومعجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية القديم منها والمولد: دراسة تقويمية، محمد عبدالرحمن سلامة، اللسان العربي، ع ٧٧، ٢٠١٦، ص ٧٨.

عَبْرَةٌ... وهذا من القياس؛ لأن الدمع يَعْبُر: أي: ينفذ ويجري... ومن الباب: عَبَّرَ الرَّؤْيَا يَعْبُرُهَا عَبْرًا وَعِبَارَةً وَيُعْبَرُهَا تَعْبِيرًا؛ إِذَا فَسَّرَهَا.... ومما حُجِّلَ على هذه العبارة، قال الخليل: يقول: عَبَّرْتُ عن فلان تعبيرًا؛ إِذَا عَيَّ بِحِجَّتِهِ فَتَكَلَّمْتُ بِهَا عَنْهُ" (١). و" (تعبير) مفرد: ج تعبيرات، وتعايير، والتعبير القول والأسلوب والكلام" (٢). ومن هنا فإن التعبيرَ كلامٌ يَعْبَرُ به عن المعنى المقصود أي: يوصل به إلى المعنى مأخوذ من العبور للوصول إلى المقصد، من النفاذ والمضي في الشيء.

أما الصفة فكلمة (اصطلاحي) ومرجعها إلى الجذر (صلح) و" صلح: الصلاح ضد الفساد. تقول: صلح صلوحًا، مثل دخل دخولًا. قال الفراء: وحكى أصحابنا صَلَحَ أيضًا بالضم. وهذا الشيء يصلح لك، أي هو من بَابِتِكَ. والصلاح بكسر الصاد: المصالحة، والاسم الصُّلْحُ، يَذْكُرُ ويؤْنِثُ. وقد اصْطَلَحَا وتصالحا واصلحا أيضًا مشددة الصاد" (٣)، وفي المصالحة دلالة الاتفاق، وهي تلتقي مع المعنى الاصطلاحي؛ إذ الاصطلاح "اتفاق طائفة على

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، د. ط (عمان: دار الفكر،

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، باب العين والياء وماثلتهما - (ع ب ر) ٤/ ٢٠٩.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ورفاقه، ط ١ (القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ

- ٢٠٠٨م)، (ع ب ر)، ٢/ ١٤٥٠.

(٣) الصحاح، الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط ٤ (بيروت: دار الملايين،

١٤٠٧هـ)، (ص ل ح) ١/ ٣٨٣.

وضع اللفظ إزاء المعنى^(١). وبالكلمتين نصل إلى مرادنا من تعريف التركيب الاصطلاحي؛ إذ الظاهر فيه تعبير بالكلمات، واتفاق على معنى. فهو "تعبير يختلف معناه عن المعنى الكلي لأجزائه"^(٢). وهو: "نمط تعبيرى خاص بلغة ما، يتميز بالثبات، ويتكون من كلمة أو أكثر تحوّلت عن معناها الحرفي إلى معنى مغاير اصطلحت عليه الجماعة اللغوية"^(٣). وفي تفصيل أكثر لحيشاته قيل فيه هو: "وحدة لغوية اسمية أو فعلية مكونة من كلمتين أو أكثر، ينشأ عن ارتباطها معنى جديد يختلف كلياً عما كانت تدل عليه معانيها اللغوية الأصلية منفردة، حيث تنتقل بذلك إلى دلالات اجتماعية وسياسية وثقافية ونفسية واصطلاحية"^(٤)، ويمكن تعيين حدود التعبير الاصطلاحي استناداً إلى ما ورد أعلاه بالتالي:

- نظم تعبيرى، قد يتكون من كلمة أو أكثر غير محدد في عدد كلماته.
- يحمل دلالة تختلف عن دلالة أجزائه.

(١) التعريفات، علي الجرجاني، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، ط١ (بيروت: عالم الكتب، ١٤١٦) ص ٥٠.

(٢) معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٢) ١٢٥.

(٣) التعبير الاصطلاحي، دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه، ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية، كريم زكي حسام الدين، ط١ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٠٥-١٩٨٥م) ص ٣٤.

(٤) مفهوم المتلازمات وإشكالية الاشتغال المعجماتي، عبدالغني أبو العز، ضمن الدراسات المعجمية، (المغرب، منشورات الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، ٢٠٠٦) ع الخامس، ص ٣٤.

- قوم دلالتة على الاتفاق.
- له نصيب من المجاز والكناية.
- يسير عليه ما يسير على المفردات من الترادف، والتضاد، والمشارك
- اللفظي.
- يكون بصورة واحدة لا تتغير كلماته، فلا يمكن حذف كلماته أو
- تبديلها.

○ يرتبط بالمرور الثقافي. والظروف الاجتماعية.

وللحدود أعلاه تصعب ترجمته؛ إذ المجاز فيه، واعتماده على المرور الثقافي، والظروف الاجتماعية تحتم على المترجم الفهم الدقيق للتعبير وللظروف والملاسات، ولا شك أن هذا يعيق فهم المترجم وبالتالي يؤثر في التلقي.

وللتضام الحاصل بين كلمات التركيب فإن التعبير الاصطلاحي يعد جزءاً من المصاحبة اللغوية، ففي المصاحبة تتصاحب الكلمات المتجاورة أو المتباعدة في السياق؛ لأنها تعد موضوعاً للسياق اللغوي^(١). ويُقسّم التصاحب إلى عدد من الأنواع، أهمها: التصاحب الحر، الذي يحصل حين يمكن أن تقع الكلمة في صيغة كلمات غير محددة، كما يمكن أن يستبدل بها غيرها في مواقع كثيرة، مثل: (جيد) قد نقول: كتاب جيد، وقول جيد، وتنظيم جيد.....، والتصاحب المنتظم أو الارتباط الاعتيادي أو التضام، الذي يحصل حين يلاحظ

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨) ص ١٥٩؛ و المظاهر النصية في المصاحبات اللفظية المعاصرة، عماد محمد محمود، مجلة آداب المستنصرية، ٨٨٤ - كانون الأول ٢٠١٩، ص ٩٢.

المعجمي تكرار التصاحب وعدم إمكانية إبدال جزء منه بآخر، أو إضافة شيء آخر إليه، مثل: رمضان كريم، وعيد سعيد، والتعبيرات الاصطلاحية . محل الدراسة الحالية^(١) وأُطلق على التصاحب المنتظم المتصاحبات وقد يطلق عليها، وعلى التعبيرات الاصطلاحية المتلازمات اللفظية^(٢)، إلا أن هناك فرقاً يبرزه اللغويون بين التعبيرات الاصطلاحية والمتلازمات يتجلى في كون التلازم اللفظي يحصل فيه تلازم وحدتين معجميتين منفصلتين بحيث تستدعي إحداها الأخرى، من مثل استشاط غيظاً، والكرة الأرضية، وعرش الملك^(٣)، ويختلف المتلازم عن التعبير الاصطلاحي بأنه يستعمل بمعنى غير اصطلاحي فتفهم دلالته من الدلالات الحرفية لمكوناته، والوحدة المعجمية فيه معبرة عن خصوصية ما في تجربة الجماعة اللغوية^(٤).

(١) ينظر: صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ط١ (القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) ص ١٣٤.

(٢) ينظر المتلازمات اللفظية في اللغة والقواميس العربية، عبدالرزاق بن عمر، د.ط (تونس: مجمع الأطرش، ٢٠٠٧) ص ٣٨؛ وترتيب الوحدات المعجمية المركبة في المعجم العربي المعاصر. معالجة لغوية حاسوبية، أيمن الطيب بن نجي العاتي، د.ط (الرياض، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٤٤٠ - ٢٠١٩ م) ص ٢٧.

(٣) ينظر: التعبيرات الاصطلاحية ودورها في إعداد المعجم اللغوي المعاصر، ص ٦٤٩.

(٤) ينظر: الوحدة المعجمية بين الأفراد والتضام والتلازم، ص ٢٩.

ويُدخل بعض اللغويين المثل^(١) ضمن التعبير الاصطلاحي بالنظر إلى

خاصية

ثبات البنية^(٢). ويقول أحمد مختار عمر في ذلك "يعتبر اللغويون الأمثال من نوع التعبيرات الاصطلاحية، باعتبارها تمثل أعلى درجة من التحديدات التجمعية"^(٣)، وقد أُخرج من نطاقه للاختلاف الحاصل بينهما حيث يعتمد المثل على قصة ويُضرب في المواقف المشابهة، والتعبيرات لا تحتاج إلى قصة تشرحها^(٤). إلا أن هناك بعض الأمثال قد حُصت بالدخول في نطاق التعبيرات الاصطلاحية لانتشار استعمالها وشيوعها، مثل: الحديث ذو شجون، سبق السيف العذل^(٥).

والاختلاف بيّن بين التعبيرات الاصطلاحية والمتصاحبات في الدلالة والتركيب، ففي الدلالة لا يمكن الوقوف على دلالة التعبير من مفرداته، والدلالة حاصلة

(١) ينظر مناقشة أوجه التشابه والاختلاف بين المثل والتعبيرات الاصطلاحية: التعبيرات الاصطلاحية، نظرة في مفهومها، وخصائصها، ومحددات معناها في المعجم العربي، مج ١٢، ٢٤، ٢٠٠٩.

(٢) البنيات التراثية في رواية وليد بن مسعود. سيزا قاسم فصول - مج ١ - ١٤ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - أكتوبر - ١٩٨٠ م ص ١٩٥. (التعابير الاصطلاحية بين النظرية والتطبيق، ص ٣٦٠.

(٣) صناعة المعجم الحديث، ص ١٣٦.

(٤) ينظر المتلازمات اللفظية في اللغة والقواميس العربية، عبدالرزاق بن عمر، د.ط (تونس، مجمع الأطرش لنشر الكتاب المختص، ٢٠٠٧) ص ٢٧.

(٥) التعبير الاصطلاحي، دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه، ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية، ص ١٣٠.

بالاصطلاح، في حين يمكن الوصول إلى دلالة المتصاحبات من مفرداتها، أما التركيب ففي التعبير الاصطلاحي ثابت لا يقبل التبديل أو الحذف في مفرداته، وفي المصاحبات قد تتبدل مفرداته أو تحذف^(١).

وتأسيساً على ما ورد أعلاه فإن البحث يعتمد مصطلح التعبير الاصطلاحي ويدخل في حدوده التراكيب التي يتوافر فيها ثبات البنية، والاصطلاح الدلالي للتركيب بعيداً عن معنى المفردة.

المطلب الثاني: أنماط التعبيرات الاصطلاحية^(٢).

○ المركب الاسمي: وهو الذي يبدأ باسم، مثل: (هو قليل ذات اليد)^(٣) بمعنى فقير.

○ المركب الفعلي: وهو الذي يبدأ بفعل، مثل: (مرّ مرور الكرام)^(٤).

○ للذي يزور ولا يطيل. (يقدم رجلاً ويؤخر أخرى)^(٥) تقال للمتردد.

(١) ينظر : التعبير الاصطلاحي، دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه، ومجالاته الدلالية وأنماطه

التركيبية، ٣٥ - ٤٣؛ و المتلازمات اللفظية في اللغة والقواميس العربية، ص ٣٧ - ٣٨؛ و ترتيب الوحدات المعجمية المركبة في المعجم العربي المعاصر، ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) ينظر : التعبيرات السياقية في معجم الألفاظ لابن السكيت، سلطان طاسجي، د. ط (الشارقة: ملامح للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠)، ص ١٠٠.

(٣) المكنز الكبير، أحمد مختار عمر، وفريق عمل، ط ١ (الرياض: مؤسسة التراث، ٢٠٠٠ م) (٢٣٧. الاتساع X الضيق)، ص ١٢٣.

(٤) المرجع الكبير، (١٠٤٢. الذهاب والمضي)، ص ٤٤٣.

(٥) المرجع الكبير، (١٤٥. الإسراع X الإبطاء والتمهل)، ص ٧٩.

○ المركب العباري، وتسمى الجملة العابرة من كلمتين أو أكثر، ودلالاتها قائمة الذات معبرة عن مضمونها، وتتكون عادة من حرف واسم، أو حرف واسم أو حرف واسم ومضاف ومضاف إليه^(١): (على حبل الذراع)^(٢) تطلق على الحاضر القريب الذي يكون في متناول اليد.

المطلب الثالث: مصادر التعبيرات الاصطلاحية.

تُبين مقدمات المعجمات، والدراسات والأبحاث الوصفية في مجال التعبيرات الاصطلاحية عن تنوع المصادر التي تُستقى منها، فمنها القديم والحديث، ومنها الديني، واللغوي، وكتب الأدباء ومنظوم الشعراء، وقد جاء في أولها وأهمها:

القرآن الكريم^(٣): ومنه، قولهم: (سُقِطَ فِي يَدِهِ) من قوله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤)، ودلالاتها زَلٌّ وأخطأ^(٥). وكذلك قولهم: (قبل أن يرتد إليك طرفك) دلالة على حدوث الشيء في وقت قصير جدًا. وهو من قوله - تعالى

(١) ينظر : مفهوم المتلازمات وإشكالية الاشتغال المعجماتي، عبدالغني أبو العزم، .

(٢) المكنز الكبير، (١٢١١). السهولة والصعوبة)، ص ٥٠٩.

(٣) الأعراف: ٤٠.

(٤) الأعراف: ١٤٩.

(٥) المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية، محمود صيني، ومختار حسين، وسيد الدوس،

ط١ (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٦م) (س ق ط) ص ٦٥.

٤٠: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(١).

ومن المصادر الدينية - أيضًا - الحديث النبوي، ومما جاء منه: (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)^(٢)، و (الحرب خدعة)^(٣).

وتطالعنا المعجمات اللغوية بكم وافر من التعبيرات الاصطلاحية، ومن أشهرها^(٤) (أساس البلاغة)، وقد أشار الزمخشري (٥٣٨) في مقدمته إلى اهتمامه بالتركيب، وما فيها من التأليف والترصيف، وهذا الإيراد متوافق مع منهجه في إيراد المجاز واعتماد التراكيب الاصطلاحية على المجاز في بعضها، ومما ورد فيه: "دَبَّتْ بينهم العقارب: إذا مشت بينهم النائم"^(٥)، ومنه "ركب يافوخ فلان؛ إذا غلبه"^(٦)، وقد عُدَّ من أهم مصنفات التعبيرات الاصطلاحية، مع كتاب (الفاخر في الأمثال) لابن سلمة (٢٩١)، و(ثمار القلوب في المضاف

(١) النمل: ٤٠.

(٢) الجامع الصحيح، للإمام البخاري بحاشية السهارةنفوري، ط ١، تحقيق: تقي الدين الندوي (الهند: مركز الشيخ الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠١١) ٨٣ - باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ٢٠١/١٢.

(٣) المرجع السابق، ١٥٧ - باب الحرب خدعة، ٢٩٧/٦.

(٤) وردت التعبيرات الاصطلاحية في كثير من المعاجم، وقد اكتفى البحث بإيراد واحد منها على سبيل المثال وهو الأشهر في مجالها لعنايته بها خاصة ماجاء منها على سبيل المجاز.

(٥) أساس البلاغة، أبو القاسم محمد الزمخشري، تحقيق: محمد السود، ط ١ (بيروت: دار الكتب، ١٩٩٨)، (أ ف خ)، ١٨/١.

(٦) أساس البلاغة، ٣٠/١.

والمنسوب) للثعالبي (٤٣٠) ^(١)، وكذلك الحال فقد ورد في بعض المعاجم الحديثة كثير منها، ومن تلك المعاجم (الوسيط)، و(المعجم العربي الأساسي)، و(المنجد)، و(معجم اللغة العربية المعاصرة)، و(الرائد)، و(المكنز الكبير) ^(٢). كما ألفت معاجم خاصة، منها: (معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية، القديم منها والمولد) أحمد أبو سعد (١٩٨٧)، و(المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية)، محمود صيني ورفاقه (١٩٩٦م)، و(معجم التعابير)، بشارة قيقانو (٢٠٠٢)، و(معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة) لمحمد داود (٢٠٠٣م)، (معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة) وفاء كامل فايد (٢٠٠٧م)، و(معجم التعبيرات الاصطلاحية في كلام العرب) محيي الدين إبراهيم (٢٠٢١م)، ونجد . أيضًا . كم من التعابير الاصطلاحية في الكتب اللغوية، وقد أورد كريم زكي حسام ^(٣) حديثًا مفصلاً عنها، ومن أشهرها: (الصاحبي في فقه اللغة) لابن فارس (٣٩٥)، و(فقه اللغة) للثعالبي (٤٣٠)، هذا وقد درست التعبيرات الاصطلاحية في دواوين الشعراء لكونها مصدرًا ثرا

(١) ينظر: التعبير الاصطلاحي، دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه، ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية، ص ٧١.

(٢) أوردت بعض الدراسات عددًا من التعبيرات الاصطلاحية في المعاجم اللغوية، مثل: صناعة المعجم العربي الحديث، دراسة تطبيقية، عمرو عطيفي؛ وترتيب الوحدات المعجمية المركبة في المعجم العربي المعاصر، معالجة حاسوبية، أيمن الطيب العاقي؛ والتعبيرات الاصطلاحية: نظرة في مفهومها وخصائصها ومحددات معناها في المعجم العربي؛ و التعبيرات الاصطلاحية ودورها في المعجم العربي الأساسي، سباني بانا بلال .

(٣) ينظر: التعبير الاصطلاحي، ص ٤٦.

يُستقى منه، ومما يُلحظ في المعجمات الخاصة تأكيد مقدماتها على الاستعانة باللغة المعاصرة مما ورد في الإذاعة والصحف، ونشرت الأخبار^(١).

المطلب الرابع: التعبيرات الاصطلاحية والمعجم اللغوي.

تتجرع المعاجم اللغوية التراثية بالتعبيرات الاصطلاحية، وقد كانت في متونها تبياناً لدلالة معينة، وشاهدًا على وجود لفظ محدد، وجاءت بمثابة الأمثلة والشواهد، وهي كثيرة في المعجمات منذ أول معجم في تاريخ التأليف المعجمي، فها هو معجم العين يورد عددًا من التعبيرات الاصطلاحية، مثل: "زلت قدمه"^(٢) و "شق العصا"^(٣)، وفي الصحاح: "فلان رابط الجأش"^(٤)، "وفلان نسيج وحده"^(٥)، وأساس البلاغة للزخشي الذي اشتهر باهتمامه بالتركيب الاصطلاحية خاصة تلك التي ارتبطت بالمجازات، والمجازات النبوية للرضي، والكناية والتعريض للثعالبي^(٦)، واللسان. وقد أشارت الدراسات إلى التعبيرات الاصطلاحية في اللسان واعتماده فيها على مصادره الخمسة، مما يؤكد احتواء المعجمات اللغوية القديمة على كم زاهر منها، مع الإشارة إلى ورودها مشتتة موزعة توزيعًا عشوائيًا^(٧).

(١) ينظر: معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، ص ٩.

(٢) العين، باب الزاي واللام، ٢٤٨/٧.

(٣) العين، باب العين والصاد، ١٩٧/٢.

(٤) الصحاح، (ر ب ط)، ١٢٧/٣.

(٥) الصحاح، (و ح د)، ٥٤٨/٢.

(٦) ينظر: مناقشة ورود التعبيرات ومصادرها في التعبير الاصطلاحي، كريم زكي، ص ٤٤.

(٧) ينظر: توارد المتلازمات اللفظية في المعاجم اللغوية: لسان العرب لابن منظور أنموذجًا.

وسار المحدثون على منوال سابقيهم في آلية الوضع والترتيب والتعريف، ذلك أن ضبط حدود إيرادها غير محدد إذ لم يُرسم منهجها في المقدمات^(١)، ولم يتناوله الدارسون بالوصف والتحليل في دراستهم للصناعة المعجمية، فالنصيب الوافر موجهاً للوحدة المعجمية المفردة، أما المركبة فدراستها متأخرة وما زالت نتائج الدراسات تدعو إلى تسليط الضوء على التعبيرات الاصطلاحية في المعجم للوقوف على منهجية محددة^(٢). ولعل الصفحات التالية تبين وصفاً للتعبير الاصطلاحي في المعجم اللغوي للوصول إلى متطلبات المعالجة المعجمية وفق المقاييس المعجمية التي تحقق الأهداف المرجوة.

إذ اتخذت الدراسة معجم المكنز الكبير الذي أولى التعبيرات الاصطلاحية اهتماماً ظهر واضحاً بداية من المقدمة. كما سيتضح فيما يلي^(٣)، وفي منهجه

(١) ينظر: نتائج الدراسات حول التعبيرات الاصطلاحية في المعجمات اللغوية الحديثة في الدراسات الآتية: منزلة المتلازمات في "المعجم الوسيط" علي الوديني؛ و توارد المتلازمات في المعاجم اللغوية العربية: "لسان العرب" لابن منظور نموذجاً، عبدالرزاق بن عمر؛ وتعريف المتلازمات اللفظية في القاموس العربي الحديث "المعجم الوسيط" نموذجاً منية لحمامي؛ ومنهج الوضع في المتلازمات في المنجد، محمد شندول؛ وشواهد المتلازمات اللفظية في "القاموس الألفبائي" و "المعجم العربي الأساسي"، الحبيب النصراوي؛ والتعبيرات الاصطلاحية ودورها في إعداد المعجم اللغوي المعاصر، بانا بلال شباني؛ والتعبيرات الاصطلاحية: نظرة في مفهومها، وخصائصها، ومحددات معناها في المعجم العربي، محمد العنزي.

(٢) ينظر: التعبيرات الاصطلاحية ودورها في إعداد المعجم اللغوي المعاصر، بانا بلال شبانا، مج ٣٩، ٥٤، ٢٠١٧. ص ٦٥٨؛ وترتيب الوحدات المعجمية المركبة في المعجم العربي المعاصر، أيمن العاني، ص ١٠٢.

(٣) ينظر: ص ١٤ من هذا البحث.

المناسب لإيراد التعبيرات الاصطلاحية، وفي كم إيرادها ومواضعها، حيث وردت في مكانين^(١)؛ مما يسفر عن عنايته بها.

ولا مشاحة في أن هذا الاهتمام لازم في صناعة المعجم؛ ذلك أن التعبيرات الاصطلاحية لها دور بارز في صناعة المعجم، ويمكن إجماله فيما يأتي:

○ تعد التعبيرات الاصطلاحية جزءاً أساسياً من مادة المعجم حالها حال الوحدة المعجمية المفردة، تتطلب مدخلاً رئيساً قد يكون أو مدخلاً فرعياً.

○ تُسهم في تعزيز التعاريف المعجمية؛ إذ تُعد مكوناً مهماً من مكونات التعريف المعجمي، سواءً جاءت على شكل شاهد لساني أم مثال توضيحي^(٢).

المطلب الخامس: المكنز الكبير، مؤلفه ومنهجه وهدفه.

أعدَّ المعجم فريق من المختصين برئاسة أحمد مختار عمر، وقد بينَّ قيمته في المقدمة التي تتلخص في الآتي:

○ جمع عدة أشكال من المعاجم في معجم واحد؛ فقد ضم معجماً للموضوعات أو المعاني أو المجالات، ومعجماً ثانياً للمترادفات والمتضادات، ومعجماً ثالثاً للمعاني الكلمات، ومعجماً رابعاً للألفاظ أو الكلمات.

○ اتبَّع أحدث المواصفات العالمية في صناعة المعاجم وإخراجها.

(١) ينظر: مقدمة البحث الحالي.

(٢) ينظر: التعبيرات الاصطلاحية ودورها في إعداد المعجم اللغوي، ص ٦٥١.

○ ابتعد عن التقليد لسابقه من المعاجم، ولكنه موافقة جديدة حرصت أن تقدم جديدًا للقارئ العربي.

○ جمع بين القديم والحديث من المصادر، ومن أهمها المعاجم وقد جمع فيها بين العامة والخاصة، ومن العامة: الصحاح للجوهري (٣٩٣) المقاييس لابن فارس (٣٩٥هـ)، وأساس البلاغة للزمخشري (٥٣٨)، ولسان العرب لابن منظور (٧١١)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (٨١٧)، وتاج العروس للزبيدي (١٢٠٥)،. والخاصة، مثل:

. معجمات الموضوعات والمجالات: وتهذيب الألفاظ لابن السكيت (٢٤٤)، والألفاظ الكتابية للهمداني (٣٢٧)، وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر (٣٣٧)، وفقه اللغة للثعالبي (٤٢٩)، المخصص لابن سيده (٤٥٨)، ومعجم أسماء الأشياء للبياني (١٣١٨)، والإفصاح في فقه اللغة لعبد الفتاح الصعيدي (١٣٩١)، وحسن يوسف موسى، وغيرها.

. معجمات المترادفات قديمها وحديثها. فالقديمة، مثل: كتاب الفرق لقطرب (٢٠٦)، والألفاظ المترادفة للرمانى (٣٨٤)، والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (٣٩٥)، والكيليات لأبي البقاء الكفوي (١٠٩٤)، والحديثة، مثل: معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض لنجيب إسكندر، وقاموس المترادفات والمتجانسات للأب رفائيل نخلة اليسوعي، ونجعة الرائد في المترادف والمتوارد لإبراهيم اليازجي، ومعجم الجيب للمترادفات لمسعد أبو الرجال، والمكنز العربي المعاصر لمحمود إسماعيل صيني وآخرين، ومعجم المترادفات العربية الأصغر لوجدي رزق غالي.

وأضاف إليها مادة حديثة تلي احتياجات المستعمل المعاصر، مثل: الدواوين الشعرية، والصحف اليومية، ومن أمثلتها: البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٥)، ديوان المتنبي (٣٥٤)، وديوان شوقي (١٩٣٢)، ديوان الجارم (١٩٤٩)، الحب في التراث لمحمد حسن عبدالله، أعمال صلاح عبدالصبور، اللغة واللون لأحمد مختار عمر.... إلخ.

واستعان بمؤلفات المصاحبات اللفظية بأنواعها والتعبيرات الاصطلاحية: مثل: التعبيرات الاصطلاحية في أساس البلاغة للزمخشري، عصام الدين عبد السلام، والتعبير الاصطلاحي، كريم زكي حسام، المصاحبة في التعبير اللغوي، محمد حسن عبدالعزيز، ومعجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية، أحمد أبو سعد، ومعجم التعبيرات الاصطلاحية، مجموعة مؤلفين.

○ أعده فريق علمي جماعي يتكون من أربعين عضوًا.

أما هدفه، فهو صناعة معجم للمترادفات والمتضادات العربية، وأضاف إليه معلومات تتلخص في الآتي:

- بيان نوع الكلمة: اسم، فعل، حرف.
- تحديد المجال الدلالي العام الذي تنتمي إليه الكلمات.
- بيان الجذور لجميع كلمات المدخل.
- وضع شرح موجز أمام كل كلمة، أو مثال توضيحي (أو كليهما)، أو الإحالة إلى كلمة أخرى وردت في المجال نفسه.
- إضافة نماذج من المصاحبات اللفظية، وأخرى من التعبيرات السياقية التي اكتسبت معاني جديدة زائدة على معاني مفرداتها.

○ بيان درجة الكلمة في الاستعمال.

هذا، وقد احتوى المعجم على ٣٤٥٣٠ مدخلاً موزعاً على ١٨٥١ موضوعاً، أو مجاًلاً دلائياً، ويقع في ١٢٣٢ صفحة. ورتبت المجالات الدلالية الواردة في المعجم ألفبائياً حسب مجموعات المترادفات وأُلقِ بحق بمرادفات كل مجموعة ثنائية (لها مرادف ومضاد) ما يقابلها من مجموعة المتضادات^(١).

المبحث الثاني . المبحث التطبيقي:

التعبيرات الاصطلاحية في معجم المكنز الكبير:

المطلب الأول: التعبيرات الاصطلاحية في مقدمة المعجم. لم يرد مصطلح (التعبيرات الاصطلاحية) في مقدمة المعجم، وقد ورد ضمن مصطلح (المصاحبات اللفظية، والتعبيرات السياقية) وعبر عنها في المواضع التالية:

○ إضافة نماذج من المصاحبات اللفظية التي يكثر استخدامها، مثل: "ألقي له الحبل على غاربه: تركه على حريته"^(٢)، وأخرى من التعبيرات السياقية التي اكتسبت معاني جديدة زائدة على معاني مفرداتها، مثل: "تعبيرات سياقية عامة: آخر الدواء الكي"^(٣)، وكأنه يشير بهذا التعريف إلى التعبيرات الاصطلاحية.

^(١) ينظر: المكنز الكبير، المقدمة.

^(٢) المرجع السابق، (٦٦. الأخذ X الترك)، ص ٤٢.

^(٣) المرجع السابق، (٩٤. الأمل والرجاء X اليأس)، ص ٥٤.

○ حدد مكانها، حيث جاءت في مكانين: أحدهما مقابل الكلمة التي ورد فيها التعبير، مثل: "وراء: [أ] وري[ج] إيجاي قرآني معاصر[ت]: خلف" وقف وراء زميله"[م] وراء الستار: غير واضح"^(١). والمكان الآخر في نهاية المجال حين يتطابق معنى التعبير مع معنى المجال دون أن يحتوي على أي كلمة من كلماته، مثل: "التعبيرات السياقية العامة: السواد الأعظم"^(٢)، و"تعبيرات سياقية عامة: أزاح الستار"^(٣).

○ أكدّ مواضعها في إرشادات الاستخدام، فقد قال: "وضعنا التعبيرات السياقية التي تشتمل على إحدى كلمات المجال وضعناها في السطر نفسه مع الكلمة، مثل: ما ورد في كلمة (خفّ)"[م] ما خفّ حملة وغلا ثمنه: قليل الوزن غالي الثمن"^(٤). أما التعبيرات التي تخلو من إحدى كلمات المجال، ولكن يتناسب معناها مع معنى المجال فقد وضعناها مجموعة في آخر البطاقة بعد الانتهاء من جميع كلمات المجال"^(٥)، مثل: ما ورد تحت كلمة(خفّ) وتحت مجال (الأهمية X والتّفاهة): "تعبيرات سياقية عامّة: عاش على الهامش — لا يساوي جناح بعوضة"^(٦).

(١) المكنز الكبير، (٨٨. الأمام X والخلف)، ص ٥١.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٧.

(٤) المرجع السابق، (٩٩. الأهمية X والتّفاهة)، ص ٥٥.

(٥) المرجع السابق، المقدمة، ص ١٣.

(٦) المرجع السابق، (٩٩. الأهمية X والتّفاهة)، ص ٥٥.

- رمز إلى المصاحبات اللفظية بالرمز [م] وقد أبانت الدراسة في متن المعجم أن هذا الرمز يرمز إلى التعبيرات الاصطلاحية.
- أشار المعجم إلى عدد الكلمات الواردة فيه ونسبتها وفق الأنواع، مثل: مولد أو محدث، مصطلح علمي، رسمي..... ولم يشر إلى المصاحبات اللفظية.

- ورد في قائمة المراجع مراجع للتعبيرات الاصطلاحية، منها: التعابير الاصطلاحية في أساس البلاغة للزمخشري: دراسة دلالية، عاصم الدين عبدالسلام، والتعبير الاصطلاحي، كريم زكي حسام، والمصاحبة في التعبير اللغوي، محمد حسن عبدالعزيز، ومعجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية، أحمد أبو سعد، ومعجم التعبيرات الاصطلاحية، مجموعة مؤلفين^(١)؛ وهذا يدل على اهتمامه بالتعبيرات الاصطلاحية.

المطلب الثاني: التعبيرات الاصطلاحية في فهارس المعجم.

خلت الفهارس من قائمة بالتعبيرات الاصطلاحية، وقد وردت الفهارس

التالية:

فهرس المجالات الدلالية

فهرس الكلمات

فهرس الجذور ومشتقاتها.

(١) المرجع السابق، المقدمة، ص ٢٠ - ٢٣.

المطلب الثالث: التعبيرات الاصطلاحية في متن المعجم الجمع والوضع، ويأتي بيانها على النحو التالي:

الجمع:

أشرتُ أعلاه في أثناء الحديث عن المقدمة إلى بعض المصادر الخاصة بالتعبيرات الاصطلاحية التي صرّح بها المؤلف، وقد أشار إلى غيرها وهي عامة لمادة المعجم جمعاء، ولعل الدراسة الحالية تقف بالاستناد إلى الأمثلة الواردة وما ورد في المقدمة عند مصادر اعتمدها المعجم، فمن التعبيرات الاصطلاحية ما كان مصدرها القرآن الكريم، مثل: "وسمه على الخرطوم: أذله"^(١)، من قوله . تعالى -: ﴿سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾^(٢)، وجاء في تفسيرها: "سنشِئُهُ شينًا باقياً... سنسِمْهُ: سنكويه. وقال بعضهم: معنى ذلك سنسِمْهُ رَسْمُهُ أهل النار: أي: سنسود وجهه"^(٣). ومن معنى الآية جاءت دلالة التعبير .

ومما جاء من القرآن على سبيل التمثيل: "أهلك الحرث والنسل: أفنى كل شيء"^(٤) من قوله . تعالى : ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾^(٥) وجاء في الحرث بمعنى نبات الأرض، والنسل من كل دابة

(١) المكنز الكبير، ٩٨١- الأنف، ص ٥٥.

(٢) القلم: آية ١٦.

(٣) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. أبو جعفر محمد الطبري، د. ط (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د. ت)، ٢٣ / ٥٤١.

(٤) المكنز الكبير، ١٩٦- الإنتاج X الاستهلاك، ١٠٩.

(٥) البقرة: آية ٢٠٥.

تمشي من الحيوان من الناس والدواب^(١). ومنه جاءت دلالة التعبير الاصطلاحي وشمولية الإهلاك والإفناء.

ومن المصادر المستقى منها الحديث النبوي، ومما جاء منه: "حمى الوطيس: اشتدت الحرب"^(٢)، وقد جاءت من قوله . صلى الله عليه وسلم . يوم حنين حين اشتدت الحرب وهاجت: تمت الآن حمى الوطيس، والوطيس: النفور"^(٣). وأخذ منه التعبير الاصطلاحي للدلالة على اشتداد الأمور والمواقف وتعسرها. ومما جاء منه: "مات حتف أنفه: ميتة طبيعية"^(٤)، جاء من قوله صلى الله عليه وسلم أنه: "قال لسعد يوم أحد.... فيمن خرج مجاهدًا في سبيل الله: فإن رفته دابة أو أصابته كذا فهو شهيد ومن مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله..."^(٥)، وجاء في تفسيرها: موت أنفه: الموت على الفراش، قيل: لأنه إذا مات كذلك زهقت نفسه من أنفه وفيه.

ويؤكد الرجوع إلى المصادر الدينية، ما ورد في مقدمة المعجم: مثل: غريب الحديث للهروي (٤٨١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٦٠٦)، وبهجة الأريب بما في كتاب الله العزيز من الغريب للمارديني (٧٥٠).

(١) ينظر: تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ٤/ ٢٤٢.

(٢) المكنز الكبير، السخونة X البرودة ، ٤٨٧.

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط ٢ (الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٣) ١/ ٥٣.

(٤) المكنز الكبير، الحياة X الموت ، ٣٨٧.

(٥) الفائق في غريب الحديث، أبو القاسم عمر الزمخشري، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل، ط ٢ (لبنان: دار المعرفة، د.ت) ١/ ٥٩.

كما تُشكل كتب الأمثال معينًا خصبًا للتعبيرات الاصطلاحية، ومنها: مجمع الأمثال للميداني، والمعجمات اللغوية العامة، مثل: الصحاح، والقاموس المحيط، وتاج العروس، وكذلك بيّنت المقدمة اعتماده على كتب المصاحبة، ومنها: التعابير الاصطلاحية، مثل: التعابير الاصطلاحية في أساس البلاغة للزمخشري دراسة دلالية، عصام الدين عبد السلام، والتعبير الاصطلاحي، كريم زكي حسام، المصاحبة في التعبير اللغوي، محمد حسن عبدالعزيز، ومعجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية، أحمد أبو سعد، ومعجم التعبيرات الاصطلاحية، مجموعة مؤلفين. ومعجم المأثورات اللغوية والتعابير الأدبية. بالإضافة إلى الكتب الأدبية والدواوين، مثل ديوان المتنبي ومما جاء منها: " ما كل ما يتمنى المرء يدركه"^(١)، ومن الدواوين - أيضًا - الجارم، والشوقيات، إضافة إلى التعابير المعاصرة والاستعمال العام، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته، ومما جاء منها: " بلّط في الخط: كَسِلَ وخَمَل"^(٢).

الوضع، ويشمل الترتيب، والتعريف:

أولاً - الترتيب: عُدت التعبيرات الاصطلاحية في المعجم وحدة معجمية مركبة، وجاءت في موضعين:

الموضع الأول: في مدخل فرعي بعد الوحدة المعجمية المفردة، ورُمز لها بالرمز [م] ويُلاحظ أن التعبيرات الاصطلاحية قد اشتملت على كلمة من كلمات المدخل الرئيس. وأن الرمز جاء شاملاً لكل أنواع المصاحبة.

(١) المكنز الكبير، الأمل والرجاء X اليأس ، ٥٣.

(٢) المرجع السابق، تمهيد الطريق ، ٨٧٦.

وقد اتخذت أشكالاً مختلفة، منها:

- تُبعت بالتفسير حالها حال المفردة، وذلك على النحو التالي: " ٢٩ -
أمراض الأنف . رَشَح [ف] رَشَح [ج] إِيْجَابِي معاصر [ت]: أصيب
بسيلان في الأنف من البرد. [م] كل إناء يرشح بما فيه: كل شيء يأتي
مشابهاً لأصله" ^(١). و " ١٦٨٣ - الكِتِف [أ] كِتِف [ج] إِيْجَابِي
معاصر [ت]: عظم عريض خلف المنكب [م] يعرف من أين تؤكل
الكتف: له دهاء وتجربة" ^(٢). ومنه: " ٩٣٧ هَبَّ [ف] هَبَب [ج] إِيْجَابِي
معاصر [ت]: ثار و هاج "هبت الريح". [م] من كل ما هب ودب:
من جميع أصناف الناس" ^(٣).

- وردت متوالية من غير ترتيب ممنهج، مثل: " ٢٠. أدوات
الرمي..... قُوس [أ] قُوس [جمع] من لغة المثقفين [ت]: أداة على هيئة
هلال ترمى بها السهام. [م] رموا أعداءهم عن قوس واحدة: كانوا
متحدين . قاب قوسين: قريب . أعط القوس باريها: تعامل مع أهل
الاختصاص" ^(٤)، ومنه أيضاً " ٢١١٤ - سَاق [أ] سُوق [ج] إِيْجَابِي

(١) المرجع السابق، ٢٩ - أمراض الأنف، ص ٣٣.

(٢) المرجع السابق، ١٦٨٣ - الكِتِف، ص ٧١٣.

(٣) المرجع السابق، ٢٣٤٤ - هبوب الريح، ص ٩٣٧.

(٤) المكنز السابق، ٢٠ - أدوات الرمي، ص ٣١.

قرآني معاصر[ت]: جذع.[م] على قدم وساق: دأبة - شمر عن ساقه: استعد - أطلق ساقيه للريح: أسرع"^(١).

أما الموضوع الثاني فجاءت في أسفل المجال بعنوانه (التعبيرات السياقية العامة)، مثل ما ورد في مجال صغر السن X كبر السن، حيث جاء في آخره " تعبيرات سياقية عامة: أكل عليه الدهر وشرب . بلغ ساحل الحياة . أشرف على دار المقام . مشيت رواحله..... " ^(٢)، و " ٩٩. الأهمية X النفاهة.... تعبيرات سياقية عامة: عاش على الهامش - لا يساوي جناح بعوضة " ^(٣)، ومنه: " ١٨١ الإقامة X السفر... هاجر[ف] هجر[ج] إيجابي قرآني معاصر [ت] خرج من بلد إلى بلد آخر ... تعبيرات سياقية عامة: ضرب في الأرض " ^(٤).

ويلاحظ هنا أن التعبيرات الواردة جاءت ضمن التعبيرات السياقية العامة، وقد فُسرَت في المقدمة بـ " إضافة نماذج من المصاحبات اللفظية التي يكثر استخدامها، وأخرى من التعبيرات السياقية التي اكتسبت معاني جديدة زائدة على معاني مفرداتها، وقد وزعنا هذه التعبيرات على مكانين؛ أحدهما مقابل الكلمة التي ورد فيها التعبير، والآخر في نهاية المجال حين يتطابق معنى التعبير مع معنى المجال دون أن يحتوي على أي كلمة من كلماته " ^(٥)، وعلى هذا فقد

(١) المرجع السابق، ٨٧٧ - جذع الشجرة، ص ٨٧٧.

(٢) المكنز الكبير، ٢١٨٢ - صغر السن، X كبر السن، ص ٨٩٨.

(٣) المرجع السابق، ٩٩ - الأهمية X النفاهة، ص ٥٥.

(٤) المرجع السابق، ١٨١ - الإقامة X السفر، ص ١٠٠.

(٥) المرجع السابق، المقدمة، ص ٩.

تكرر التعبير الاصطلاحي فجاء تارة مقابل الكلمة التي ورد فيها التعبير، ومرة في نهاية المجال الذي يتطابق فيه معناه بمعنى المجال، مثل: (مال عليه الدهر) ورد مقابل كلمة (مال) ^(١)، وفي نهاية مجال حلول النعمة X نزول المصيبة ^(٢) ومثل هذا تكرر في (يُقدِّم رجلاً ويؤخر أخرى)، فقد ورد في آخر مجال (التردد والحيرة) ضمن التعبيرات السياقية العامة ^(٣)، وورد مقابل كلمة (أخر) ^(٤)، وورد أيضاً مقابل كلمة (قدِّم) ^(٥) و (رجل) ^(٦)، وغيرها من الأمثلة التي جاءت على هذه الشاكلة، كما يُلاحظ أن المعجم لم يستند على منهجية محددة في وضع التعبيرات الاصطلاحية مع هذا التكرار، فقد وردت مع (أخر) و(قدِّم) و(رجل) بمعنى أنها وردت تحت مفرداتها كلها، وقد وقف اللساني الألماني Schemann على مسألة ترتيب التعبيرات، وجاء بالترتيب التالي: "إذا احتوى المصاحب اللغوي على اسم فيفضل الاسم، وإلا فالفعل، وإن احتوى على الصنفين، فتحت الأشهر. ويُرتب بالنظر إلى الصفة أو الظرف، إن خلا من الاسم أو الفعل. وإن تضمن المصاحب مفردتين تنتميان إلى الصنف القواعدي نفسه، فيُراعى هنا الترتيب الألفبائي، فإن كانت الجملتان تحتويان الكلمة نفسها،

(١) المرجع السابق ، ٢٩٩- الاستواء X الاعوجاج ، ص ١٥٢ ؛ و ٣٥٥- الانحناء X الاعتدال، ص ٣٥٥

(٢) المرجع السابق ، ٢١٣٩- حلول النعمة X نزول المصيبة ، ص ٨٨٨

(٣) المرجع السابق ، ١٦٣٧- القضاء والحكم X التردد والحيرة ، ص ٦٩٥ .

(٤) المرجع السابق ، ١٤٥- الإسراع X الإبطاء والتمهل ، ص ٧٩ .

(٥) المرجع السابق ، ٦٤٥- التقديم X الختام ، ص ٢٧٧ .

(٦) المرجع السابق ، ١٠٥٧- الرِّجل ، ص ٤٤٨ .

فيُنظر هنا إلى العناصر المكوّنة الأخرى، وتُرتَّبُ تبعًا للأسبق في النظام الألفبائي" (١).

جاءت التعبيرات الاصطلاحية بصورة وحدة معجمية مركبة وقد أُتبعَت بالشرح، وجاءت أيضًا في التعبيرات السياقية تأكيدًا لمعنى المجال دون شرح، وكأنّها المرادف للمعنى المجالي.

هذا ولم يبين المعجم قصده من كلمة (عامة) في وصفه للتعبيرات السياقية، كما لم يتضح معناها بحسب الأمثلة الواردة؛ ذلك أن منها ما ورد ضمن التعبيرات الاصطلاحية مقابل الكلمة، ومنها ما جاء وفق تصنيفها الدلالي مع المجال. ومنها ما كان في عصور الاحتجاج، مثل: "هو ابن بجدهّا" (٢)، وما جاء من التعبيرات الحديثة، مثل: "بَلَط [ف] بُلَط [ج] مولد أو محدث [ت]: بَلَط الطريق: مهده باستخدام البلاط. [م] بَلَط في الخط: كَسِل وخمل" (٣). هذا وقد أطلقها. أي: السياقية. في المقدمة دون وصف - بكلمة عامة - بل قيدها بأنّها التعبيرات التي اكتسبت معاني جديدة زائدة على معاني مفرداتها.

ثانيًا. التعريف:

تقوم التعبيرات الاصطلاحية على اقتران مكونين أو أكثر في وحدة جديدة تثبت في المعجم بتواتر استعمالها، وتتميز بكون معناها لا يمثل محصل

(١) نقلًا عن: التعبيرات الاصطلاحية ودورها في إعداد المعجم اللغوي المعاصر، شباني بانّا بلال، ص ٦٥٤.

(٢) المكّن الكبير، ٢٣٠ - الابتكار X التقليد، ص ١١٩.

(٣) المرجع السابق، ٨٧٦ - تمهيد الطريق، ص ٨٧٦.

عملية جمع كمي بين معاني مكوناتها، ذلك بأن بنيتها المركبة تجعلها توازي المحتوى الدلالي لوحدة معجمية واحدة، بحيث إذا فصلنا الكلمة الأساسية عن الكلمة المتلازمة، فإن دلالة هذه البنية تتلاشى، فتخرج بذلك عن نظام المعجم^(١). وهذا يعني أن التعبير الاصطلاحي مكون من مكونات المعجم له التعريف الذي تتطلبه الوحدة المعجمية، ولا يكتفى بإيراده تعريفاً مسانداً للوحدة المفردة، أو استشهاداً على وجودها. وهنا تبرز التساؤلات حول حال التعبيرات الاصطلاحية في المكنز الكبير: هل حظيت بما حظي به تعريف الوحدات المفردة، أو كانت جزءاً من تعريفه. الأمثلة التطبيقية تفصح عن حال تعريف التعبيرات الاصطلاحية وآليته.

تفاوت المعجم في التعريف من عدة جوانب، كان من أهمها أنه . أحياناً . يورد تعريف التعبيرات الاصطلاحية بالنظر إلى كونه وحدة معجمية مركبة لها محتوى دلالي يعبر عنها، وهذا هو الغالب خاصة إذا جاء بعد المدخل الرئيس، ومنه ما جاء في مجال الأنف: "أنف [أ]: أنف [ج] إيجابي قرآني معاصر [ت]: عضو الشم والتنفس. [م] حمي أنفه: اشتد غضبه وغيبه - شمخ أنفه: تكبر - رغم أنفه: دَلَّ"^(٢). وهكذا يُلحظ مجيء التعبيرات الاصطلاحية في مدخل فرعي وقد

(١) ينظر: تعريف المتلازمات اللفظية في القاموس العربي الحديث " المعجم الوسيط أنموذجاً،

منية لحامي، ص ٢٢٧.

(٢) المكنز الكبير، ٩٨- الأنف، ص ٥٥.

اتخذت صفة التعبيرات الاصطلاحية المستقلة بتفسيرها عن الوحدة المعجمية المفردة التي جاءت في المدخل الرئيس^(١).

وفي هذا المكان أيضًا يرد التعبير الاصطلاحي نفسه بلا تعريف تارة وبتعريف تارة أخرى في موضع آخر دون إحالة، ومنه ما جاء في مجال الإحياء X الإمامة "هَلَكَ [ف] [ج] إيجابي قرآني معاصر[ت]: أباد الشيء ولم يترك له أثرًا. [م] أهلك الحرث والحراث والنسل"^(٢). وما جاء في مجال الإنتاج X الاستهلاك " [م] أهلك الحرث والنسل: أفنى كل شيء"^(٣)، ومثاله - أيضًا. ما جاء في مجال مصرف المياه " مجرى [أ] جرى [ج] إيجابي معاصر [ت]: مصرف. [م] عادت المياه إلى مجاريها: إلى أوضاعها الأصلية"^(٤)، ومن دون تعريف في مجال الذهاب والمضي X الرجوع "عاد[ف] عَوْدَ [ج] إيجابي قرآني معاصر[ت]: رجع "عاد إلى وطنه" [م] عاد أدراجه: رجع من حيث أتى. عادت المياه إلى مجاريها"^(٥). وكذلك الحال في إتيانه بالتعبير الاصطلاحي دون تعريف حينما يجيء مع التعبيرات السياقية آخر المجال^(٦).

(١) ويمثل هذا الأمثلة الواردة أعلاه تحت عنوان الترتيب.

(٢) المكنز الكبير، ١٢١-الإحياء X الإمامة، ص ٦٤.

(٣) المرجع السابق، ١٢١-الإحياء X الإمامة، ص ٦٤.

(٤) المرجع السابق، ٢٣٢٥-مصرف المياه، ص ٩٣٢.

(٥) المرجع السابق، ١٠٤١-الذهب و المضي X الرجوع، ص ٤٤٢.

(٦) المرجع السابق، ١٢١-الإحياء X الإمامة، ص ٦٤.

وتأتي دالة على معنى المجال، ومن أمثلته: ما ورد في مجال الأهمية X التفاهة" تعبيرات سياقية عامة: عاش على الهامش - لا يساوي جناح بعوضة"^(١).

كما يجيء التعبير نفسه تارة مقابل الكلمة التي ورد فيها التعبير، وتارة في نهاية المجال، ويرد تعريفه في الموضع الأول ويترك في الموضع الثاني دون إحالة كما جاءت المعالجة بهذه الشاكلة في التعبير الاصطلاحي: (مال عليه الدهر) حيث ورد مقابل كلمة (مال)^(٢) وأُتبع بالتعريف، وفي نهاية مجال حلول النعمة X نزول المصيبة^(٣) مع التعبيرات السياقية بلا تعريف. ومثل هذا تكرر في (يُقَدِّم رجلاً ويؤخر أخرى)، فقد ورد في آخر مجال (التردد والحيرة) ضمن التعبيرات السياقية العامة^(٤) بلا تعريف، وورد مقابل كلمة

(أخر)^(٥) بتعريف، وورد أيضاً مقابل كلمة (قَدِّم)^(٦) - و(رجل)^(٧)، بذات التعريف؛ مما يظهر التكرار: تكرار المادة والتعريف دون إحالة في أكثر من موضع.

(١) المرجع السابق، ١٩٦- الإنتاج X الاستهلاك، ص ١٠٩.

(٢) المرجع السابق، ٢٩٩- الاستواء X الاعوجاج، ص ١٥٢؛ و ٣٥٥- الانحناء X الاعتدال، ص ٣٥٥.

(٣) المرجع السابق، ٢١٣٩- حلول النعمة X نزول المصيبة، ص ٨٨٨.

(٤) المرجع السابق، ١٦٣٧- القضاء والحكم X التردد والحيرة، ص ٦٩٥.

(٥) المرجع السابق، ١٤٥- الإسراع X الإبطاء والتمهل، ص ٧٩.

(٦) المرجع السابق، ٦٤٥- التقديم X الختام، ص ٢٧٧.

(٧) المرجع السابق، ١٠٥٧- الرجل، ص ٤٤٨.

كما جاء التعبير الاصطلاحي لتمام شرح الوحدة المعجمية المفردة، ومنه ما جاء في مجال النعمة X المصيبة "يد [أ] يدي [ج] إيجابي معاصر [ت]: نعمة، وأغلب استعمالها في الجمع "له علينا أيادٍ كثيرة". [م] له عليه يد بيضاء" (١). ففي الأول لم يرمز له، ولم يسند إليه تعريفاً بل جعله بياناً عددياً لاستعمال الوحدة المفردة، أما التعبير الاصطلاحي الآخر الذي يحمل المفهوم ذاته فقد جاء مرموزاً ولكن بلا تعريف.

يُلاحظ في شرح التعبير الاصطلاحي مجيئه بطرق مختلفة، منها:

- الشرح بكلمة واحدة، مثل: "رغم أنفه: ذل" (٢)، و "شمخ بأنفه: تكبر" (٣)، و "قاب قوسين: قريب" (٤)، و "يقدم رجلاً ويؤخر آخر: متردد" (٥).

- الشرح بكلمتين مترادفتين، مثل: "ذئب في جلد حمل: مخادع غشاش" (٦)، و "بَلَطَ في الخط: كَسِلَ وخمل" (٧).

(١) المرجع السابق ، ١٩٩٠ - النعمة X المصيبة، ص ٨٢٦.

(٢) المكنز الكبير ، ١٠٥٧ - الرجل، ص ٤٤٨.

(٣) المرجع السابق ، ٨٩ - الأنف، ص ٥٥.

(٤) المرجع السابق ، ٢٠ - أدوات الرمي ، ص ٣١.

(٥) المرجع السابق ، ١٠٥٧ - الرجل ، ص ٤٤٨.

(٦) المرجع السابق ، ١٠٢٩ - الذئب، ص ٤٣٣.

(٧) المرجع السابق ، ٢١٠٨ - تمهيد الطريق، ص ٨٧٦.

○ الشرح بذكر تعبير اصطلاحى مرادف، مثل: " ماله ثاغية ولا راغية: ماله شاة ولا ناقة" والثاغية النعجة، والراغية الناقة، وكلاهما بمعنى لا يملك شيئاً، وتطلق على الفقير.

○ الشرح بتعريفه تعريفاً يوضحه، مثال: " لا تُوبس الثرى بينى وبينك: لا تقاطعني فتجف صلاة المودة"^(١)، و"من كل ماهب ودب: من جميع أصناف الناس"^(٢)، و" طفح الكيل: بلغ الأمر حدًا لا يحتمل"^(٣).

○ الشرح بذكر السياق، ومنه: " أين الثرى من الثريا: مثل يضرب للفرق الكبير بين أمرين"^(٤) حيث شرح التعبير بذكر الموقف الاجتماعى الذى يُلقى فيه، وغالبًا ما تصير فى الأمثال التى صارت مع الاستعمال تعبيرات اصطلاحية، ومنه . أيضًا . " كالمستجير من الرمضاء بالنار: مثل يُضرب للهارب من شيء فيقع فيما هو شر منه"^(٥).

ومما يلحظ فى التعريف التفاوت فى البنية الدلالية؛ إذ قد يأتي موجزًا، فمرة يكون بكلمة، ومرة أخرى بكلمتين، وأحيانًا يشرح الماهية ويربطها بموقف، إلا أنها خلت من مواقف سياقية توضحه أكثر، نزولًا عند حاجة التعبير ذلك أن القصد بها التمثيل على السياقات الخطابية وقد رُسّخها اصطلاحها واستعمالها

(١) المرجع السابق ، ٢٤٢- التراب، ص ٢٤٢.

(٢) المرجع السابق، ٢٣٤٤- هبوب الريح، ص ٩٣٧.

(٣) المرجع السابق ، ٦٨١- الفيضان X نقصان الماء، ص ٦٨١.

(٤) المرجع السابق ، ٥٤٢- التراب، ص ٢٤٢.

(٥) المرجع السابق ، ١٤٩- الاستغاثة X الإغاثة، ص ١٤٩.

على الألسنة، إضافة إلى أنها خلت من الانتماء المقولي؛ فلم يُذكر نوعها الاسمي، والوصفي، والحرفي، كما لم يحدد الكتابة الصوتية، والمستوى اللغوي وهو جزء أصيل في تعريفها كأن يحدد مصدرها: قرآن، حديث، مثل، قديم، معاصر....

ومما يجدر الإشارة إليه أن التعبيرات الاصطلاحية الواردة في نهاية المجال تُركت من دون تعريف؛ حيث حدد دلالتها المجال ذاته؛ لأنها جاءت دلاليًا متطابقة مع معنى المجال.

الخاتمة:

- لم يصرح المكنز الكبير بمصطلح التعبيرات الاصطلاحية وإنما جاءت ضمن مصطلح المصاحبة، والتعبيرات السياقية.
- وردت التعبيرات الاصطلاحية تارة مرموزًا لها بالرمز [م]، وتارة تحت عنوان التعبيرات السياقية العامة.
- لم يتبع المعجم منهجية محددة وترتيبًا واضحًا في إيراد التعبيرات الاصطلاحية؛ إذ لا طريقة محددة في وروده فقد يأتي وفق مطابقة الكلمة الأولى فيه مع كلمة المدخل، وقد يأتي وفق مطابقة الكلمة الثانية مع كلمة المدخل، وقد يرد مع كل كلمة وردت فيه. مثل: (يؤخر رجلًا ويقدم أخرى) فقد وردت مع (أخر) و(قدم) و(رجل) مما أدى إلى التكرار في المادة والتعريف.
- اختلف المعجم في تعريف التعبيرات الاصطلاحية من وجوه متعددة أهمها:
 - تقديم التعريف للتعبير؛ إذ يعرف أحيانًا ويترك أخرى بلا تعريف.
 - مكونات التعريف وطرق الشرح، فقد يأتي بكلمة، وقد يأتي بكلمتين، وقد يأتي مفسرًا بالسياق وذلك كما جاء مع الأمثال التي صارت بالاستعمال تعبيرات اصطلاحية.
 - خلا التعريف من بعض مكوناته، مثل: الانتماء المقولي والنمط، والمستوى اللغوي، والسياق الخطابي.

○ تعريف التعبيرات الاصطلاحية الواردة في نهاية المجال تمثل في المطابقة الدلالية مع معنى المجال.

وتأسيسًا على ما سبق فإن البحث يوصي بالتالي:

- إجراء دراسات تتناول منهجية ورود التعبيرات الاصطلاحية في المعاجم القديمة والحديثة للخروج بمنهجية محددة مناسبة لطبيعة المعجم اللغوي العام والخاص.
- الاستعانة بتوصيات الميتاليسيكوغرافيا (علم المعجم الوصفي) في مجال تدوين التعبيرات الاصطلاحية.
- الاستعانة بالمجامع والمؤسسات اللغوية في إقرار منهجية التدوين وتوحيدها.

المراجع:

- القرآن الكريم.

- أساس البلاغة. أبو القاسم محمد الزمخشري. تحقيق: محمد السود. ط ١. بيروت: دار الكتب، ١٩٩٨.

- بحوث في العربية المعاصرة. وفاء فايد. ط ١. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٣.

-البنيات التراثية في رواية وليد بن مسعود . سيزا قاسم فصول - مج ١ - ع ١ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - أكتوبر - ١٩٨٠ م ص ١٩٥.

- ترتيب الوحدات المعجمية المركبة في المعجم العربي المعاصر. معالجة لغوية حاسوبية. أمين الطيب بن نجى العاتي . د.ط. الرياض: مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٤٤٠ - ٢٠١٩ م.

-التعابير الاصطلاحية بين النظرية والتطبيق. عصام الدين أبو زلال. ط ١. الإسكندرية: دار الوفاء، ٢٠٠٥.

- التعبير الاصطلاحي في اللغة العربية. هدى عبدالعاطي. د.ط. الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية، د.ت.

- التعبيرات الاصطلاحية: نظرة في مفهومها، وخصائصها، ومحددات معناها في المعجم العربي، محمد العنزي، علوم اللغة. مج ٢، ع ٢٤، ٢٠٠٩.

-التعبير الاصطلاحي، دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه، ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية. كريم زكي حسام الدين. ط ١. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م.

- التعبيرات السياقية في معجم الألفاظ لابن السكيت، سلطان طاسجي، ط ١ (الشارقة) ملامح للنشر والتوزيع، (٢٠٢٠) ص

- تعريف المتلازمات اللفظية في القاموس العربي الحديث " المعجم الوسيط أمودجًا. منية لحمامي، ضمن الدراسات المعجمية.المغرب، منشورات الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، ع ٥٤، ٢٠٠٦.
- التعريفات. علي الجرجاني. تحقيق: عبدالرحمن عميرة. ط ١. بيروت: عالم الكتب، ١٤١٦.
- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. أبو جعفر محمد الطبري. د.ط. مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د.ت.
- شرح صحيح البخاري. ابن بطل أبو الحسن علي. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط ٢. الرياض: مكتبة الرشد. ٢٠٠٣.
- الجامع الصحيح، للإمام البخاري بحاشية السهارنفوري، ط ١، تحقيق: تقي الدين الندوي (الهند: مركز الشيخ الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠١١)
- الصحاح. الجوهري. تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار. ط ٤. بيروت: دار الملايين. ١٤٠٧هـ.
- صحيح مسلم. أبو الحسن مسلم النيسابوري. تحقيق: محمد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ١٩٥٥
- صناعة المعجم الحديث. أحمد مختار عمر. ط ١. القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٨هـ. ١٩٩٨م.
- الفائق في غريب الحديث. أبو القاسم عمر الزمخشري. تحقيق: علي البجاوي. ومحمد أبو الفضل. ط ٢. لبنان: دار المعرفة، د.ت.
- المتلازمات اللفظية في اللغة والقواميس العربية. عبدالرزاق بن عمر، د.ط (تونس، مجمع الأطرش لنشر الكتاب المختص، ٢٠٠٧.
- مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر. ١٩٩٨.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين السيوطي. تحقيق: فؤاد علي منصور. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٨م.
- المظاهر النصية في المصاحبات اللفظية المعاصرة. عماد محمد محمود. مجلة آداب المستنصرية، ع ٨٨ - كانون الأول ٢٠١٩.
- معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، محمد محمد داود، د.ط (القاهرة: ٢٠٠٣).
- المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية، ومعجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية القديم منها والمولد: دراسة تقويمية. محمد عبدالرحمن سلامة. اللسان العربي، ع ٧٧، ٢٠١٦.
- معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار عمر، ورفاقه. ط ١. القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٢.
- مفهوم المتلازمات وإشكالية الاشتغال المعجماتي. عبدالغني أبو العز. ضمن الدراسات المعجمية. المغرب: منشورات الجمعية المغربية للدراسات المعجمية. ٢٠٠٦. ع ٥.
- مقاييس اللغة. أحمد بن فارس. تحقيق: عبدالسلام هارون. د.ط. عمان: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المكنز الكبير، أحمد مختار عمر، وفريق عمل. ط ١. الرياض: مؤسسة التراث، ٢٠٠٠م.

References:

- The Holy Quran.

- "Asas al-Balaghah" by Abu al-Qasim Muhammad al-Zamakhshari. Edited by Muhammad al-Sawad. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub, 1998.
- "Behuth fi al-Arabiyyah al-Mu'asirah" by Wafa Fayed. 1st ed. Cairo: Alam al-Kutub, 2003.
- "Al-Binyat al-Turathiyyah fi Riwayat Walid bin Mas'ud" by Siza Qasim Fusul. Vol. 1, issue 1, Cairo: Egyptian General Book Authority, October 1980, p. 195.
- "Tartib al-Wahdat al-Mu'jamiyyah al-Murakkabah fi al-Mu'jam al-Arabi al-Mu'asir - Mu'ajadah Lughawiyyah Hasubiyyah" by Ayman al-Tayyib bin Naji al-Aati. Riyadh: King Abdullah bin Abdulaziz International Center for Arabic Language Service, 1440-2019.
- "Al-Ta'abir al-Istilahiyah Bayn al-Nazariyyah wa al-Tatbiq" by Essam al-Din Abu Zalal. 1st ed. Alexandria: Dar al-Wafa, 2005.
- "Al-Ta'abir al-Istilahi fi al-Lughah al-Arabiyyah" by Huda Abdul Atti. Alexandria: Horas International Foundation.
- "Al-Ta'abir al-Istilahiyah: Nazrah fi Mafhomiha, wa Khasaisiha, wa Mahdudat Ma'naha fi al-Mu'jam al-Arabi" by Mohammed al-Anzi, Sciences of Language, Vol. 2, Issue 2, 2009.
- "Al-Ta'abir al-Istilahi, Dirasah fi Ta'sil al-Mustalah wa Mafahimha, wa Majalatih al-Dalaliyyah wa Anmat'ih al-Tarkibiyah" by Kareem Zaki Husam al-Din. 1st ed. Cairo: Anglo Egyptian Library, 1405-1985.
- "Al-Ta'abir al-Siyaqiyyah fi Mu'jam al-Alfaz li Ibn al-Sakit" by Sultan Tassji. 1st ed. Sharjah: Malaamih Lil Nashr wa al-Tawzi', 2020.
- "Ta'rif al-Mutalazimat al-Lafziyyah fi al-Qamus al-Arabi al-Hadith" – al-Mujam al-Waseet' Anmouzajan, by Muniyya Luhaimi, within Lexical Studies. Morocco: Publications of the Moroccan Association for Lexical Studies, Issue 5, 2006.
- "Al-Ta'rifat" by Ali al-Jarjani. Edited by Abdul Rahman Omaira. 1st ed. Beirut: Alam al-Kutub, 1416.
- "Tafsir al-Tabari, Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ay al-Quran" by Abu Ja'far Muhammad al-Tabari. Mecca: Dar al-Tarbiyah wa al-Turath.
- "Sharh Sahih al-Bukhari" by Ibn Battal Abu al-Hasan Ali. Edited by Abu Tameem Yasser bin Ibrahim. 2nd ed. Riyadh: Maktabat al-Rushd, 2003.
- "Al-Sahah" by Al-Jawhari. Edited by Ahmad Abdul Ghafur Attar. 4th ed. Beirut: Dar al-Mallayin, 1407 AH.
- "Sahih Muslim" by Abu al-Hasan Muslim al-Naysaburi, edited by Muhammad al-Baqi, Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1955.

- "Sina'at al-Mu'jam al-Hadith" by Ahmed Mukhtar Omar. 1st ed. Cairo: Alam al-Kutub, 1418 AH - 1998.
- "Al-Fa'iq fi Ghareeb al-Hadith" by Abu al-Qasim Omar al-Zamakhshari. Edited by Ali al-Bajawi and Muhammad Abu al-Fadl. 2nd ed. Lebanon: Dar al-Ma'arifa.
- "Al-Mutalazimat al-Lafziyyah fi al-Lughah wa al-Qawamis al-Arabiyyah" by Abdul Razzaq bin Umar. Tunisia: Majma' al-Atrash li Nashr al-Kitab al-Mukhtas, 2007.
- "Madakhal ila 'Ilm al-Lughah" by Mahmoud Fahmi Hijazi. Cairo: Dar Qabaa lil Tab'aah wa al-Nashr, 1998.
- "Al-Muzhir fi 'Ulm al-Lughah wa Anwaihah" by Jalal al-Din al-Suyuti. Edited by Fouad Ali Mansour. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1998.
- "Al-Mazaher al-Nasiyyah fi al-Musahibat al-Lafziyyah al-Mu'asirah" by Imad Muhammad Mahmoud. Adab al-Mustansiriyya Journal, Issue 88, December 2019.
- "Mu'jam al-Ta'abir al-Istilahi fi al-Arabiyyah al-Mu'asirah" by Mohammed Mohammed Dawood. Cairo, 2003.
- "Al-Mu'jam al-Siyaqi li Ta'abirat al-Istilahiyah, wa Mu'jam al-Tarakiib wa al-Ibraat al-Istilahiyah al-Arabiyyah al-Qadim Minha wa al-Mowallad: Dirasah Taqwimiyyah" by Mohammed Abdul Rahman Salama. al-Lisan al-Arabi Journal, Issue 77, 2016.
- "Mu'jam al-Lughah al-Arabiyyah al-Mu'asirah" by Ahmed Mukhtar Omar and colleagues. 1st ed. Cairo: Alam al-Kutub, 1429 AH - 2008.
- "Mu'jam 'Ilm al-Lughah al-Nazari" by Mohammed Ali al-Khawli. Beirut: Maktabat Lubnan, 1982.
- "Mafhum al-Mutalazimat wa Ishkaliyyat al-Istighal al-Mu'jamati" by Abdul Ghani Abu al-Ezz. Within Lexical Studies. Morocco: Publications of the Moroccan Association for Lexical Studies, 2006, Issue 5.
- "Maqayis al-Lughah" by Ahmad bin Fares. Edited by Abdul Salam Haroun. Oman: Dar al-Fikr, 1399 AH - 1979.
- "Al-muknaz al-Kabeer" by Ahmed Mukhtar Omar and the team. 1st ed. Riyadh: Moassasat al-Turath, 2000.

دَارِسَةُ الشَّوَاهِدِ الْبَلَاغِيَّةِ
مَنَاهَجُهَا وَاتِّجَاهَاتُهَا

د. حمد بن عبد الله بن سعد العوفي

أستاذ البلاغة المشارك في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة





دَارَسَةُ الشَّوَاهِدِ الْبَلَاغِيَةِ مَنَاجِهُهَا وَاتِّجَاهَاتُهَا
د. حمد بن عبد الله بن سعد العوفي
أستاذ البلاغة المشارك في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

تاريخ تقديم البحث: ١٢/٣/١٤٤٥ هـ تاريخ قبول البحث: ٤/٧/١٤٤٥ هـ

ملخص الدراسة:

انطلق البحث من سؤال مركزي فحواه: كيف سارت دراسة الشواهد البلاغية؟ وما مناهج التأليف فيها؟ ومن هذا السؤال المعرفي تحددت أهداف الدراسة فكان أبرزها: رصد حركة التأليف حول الشواهد البلاغية وتحليل مناهج التأليف فيها، ومعرفة بداية التأليف في دراسة الشواهد البلاغية، وبيان المؤثرات التي أدت إلى نشوء حركة تأليف حول دراسة الشاهد البلاغي، وتوضيح ما تميّز به دراسة الشاهد البلاغي عن غيره من العلوم.

ولتحقيق أهداف البحث اتخذت المنهج التاريخي التحليلي لقراءة مسيرة التأليف في الشواهد البلاغية، حيث قمت بالاستقراء التام للمؤلفات حول دراسة الشاهد البلاغي -حسب الاستطاعة- وجمعتها وصنفتها ثم حللت مناهج المؤلفين في أبرز تلك المؤلفات .

وانطلاقاً من أهداف البحث ومنهجه قسمت البحث إلى مقدمة كان الحديث فيها عن أهمية البحث وسؤاله ومنهجه، وتمهيد في تعريف الشاهد البلاغي، ومكانته في البلاغة العربية، وتبع ذلك ثلاثة مباحث هي: المبحث الأول: دراسة الشواهد البلاغية القرآنية، والمبحث الثاني: دراسة الشواهد البلاغية الشعرية، والمبحث الثالث: شرح الشواهد البلاغية بلغات غير عربية.

وقد توصّل البحث إلى نتائج متعددة كان أبرزها: انقسم العلماء في دراسة الشواهد البلاغية القرآنية إلى قسمين: قسم درس شواهد مفردة، وآخر درس شواهد كتب بلاغية، وفي القسم الأخير أنتجت لنا البلاغة العربية كتاباً واحداً، أما التأليف في دراسة الشاهد البلاغي الشعري سار في ثلاثة اتجاهات، هي: الاتجاه البلاغي، وهو أقلها حضوراً، ثم الاتجاه الأدبي، وهو أكثرها حضوراً، ثم الاتجاه اللغوي، وقد تأخرت دراسة الشواهد البلاغية الشعرية إلى القرن الثامن الهجري، والكتب التي دُرِسَتْ شواهداها ستة كتب بلاغية، هي: مفتاح العلوم، والتلخيص والإيضاح، والمطول والمختصر، وحاشية السيد الشريف على المطول، ولم تُدرَس الشواهد البلاغية النثرية.

الكلمات المفتاحية: الشواهد البلاغية، الشواهد القرآنية، الشواهد الشعرية، الشواهد النثرية

A Study of the Rhetorical Evidence Its Methodology and Trends

Dr. Hamad bin Abdullah Sa'd Aloufi

Associate Professor at the Faculty of Arts and Humanities in Taibah University.

Abstract:

The research was launched from a central question: What is the extent of the study of rhetorical evidence? What are the methods of authorship in it? From this cognitive question, the objectives of the research were determined, most notably: monitoring the development of authorship in rhetorical examples, analyzing the methods of authorship, identifying the origins of such authorship, examining the influences that led to its emergence, and clarifying how the study of rhetorical examples differs from other sciences.

To achieve the objectives of the research, I adopted the historical analytical approach to read the process of authorship in rhetorical evidence, where I fully extrapolated the literature on the study of the rhetorical evidence -as much as possible- and collected and classified them and then analyzed the authors' approaches in the most prominent of those works.

Based on the objectives of the research and its methodology, the research was divided into an introduction, which includes the discussion about the importance of the research, its question and methodology, and a preface on the definition of the rhetorical evidence and its place in Arabic rhetoric. And this was followed by three topics: the first topic: the study of rhetorical Qur'anic evidence; the second topic: the study of rhetorical poetic evidence, and the third topic: the explanation of rhetorical evidence in non-Arabic languages.

The research reached several findings, the most prominent of which include: The scholars were of two categories regarding the study of Qur'anic rhetorical evidence: a category that studied individual evidence and another that studied evidence of rhetorical books, and the second category produced one Arabic rhetorical book for us, while authorship in the study of the poetic rhetorical evidence resulted in three trends, namely: the rhetorical trend, which is the least present, then the literary trend, which is the most present, then the linguistic trend. The study of poetic rhetorical evidence only surfaced later in the eighth hijri century, and the books whose evidences were studied are six rhetorical books, namely: Miftāḥ al-ʿUlūm, Al-Talkhīṣ wa Al-Eedooh, Al-Mutawwal wa Al-Mukhtasar, and Ḥāshiyah Al-Seyyid Al-Sharīf ʿalā Al-Mutawwal, and it did not study the prosodic rhetorical evidence. .

Keywords: Rhetorical Evidence, Rhetorical Qur'anic, Rhetorical poetic Rhetorical evidence.

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا وتفضل، أنعم علينا بأن جعلنا من أمةٍ دستورها القرآن، وتفضل علينا بأن أكرمنا بالبيان، ثم الصلاة والسلام على خير الأنام، نبي الهدى والإحسان، وعلى آله وصحبه الطيبين الأطهار وبعد:

فإنَّ طرائق دراسة العلوم تختلف وفقًا لمناهجها وأهدافها، فمنها ما يتَّجه إلى دراسة أصول العلم نفسه، فتُعنى تلك الدراسات بالحفر المعرفي في الفن المدروس؛ لتصل إلى نتائج جديدة، أو مختلفة. ومنها ما يتَّجه إلى دراسة تاريخ العلم نفسه؛ وذلك لرصد أبرز الملامح التي أثَّرت في طرق التفكير العلمي في الفن المدروس، والذي أدى إلى التأثير في مسار التَّأليف للعلم ذاته، ولكل طريقة منهجها الذي يناسبها، وأهميتها في تطور العلم. وأغلب الدراسات سارت في الطريق الأولى -دراسة أصول العلم- وقلَّت الدراسات التي تكتب في الطريق الثانية -دراسة تاريخ العلم-؛ وذلك لغفلة الباحثين عن أهميتها، من هنا جاء هذا البحث بعنوان: **دِرَاسَةُ الشَّوَاهِدِ الْبَلَاغِيَّةِ، مَنَاهِجُهَا وَاتِّجَاهَاتُهَا**، ليرصد حركة التَّأليف حول الشَّاهد البلاغي، ويحلل تلك الحركة، وأبرز المؤثرات فيها، فجاء سؤال البحث فيما يلي: كيف سارت دراسة الشَّواهد البلاغية، وما مناهج التَّأليف فيها؟ ومن هذا السؤال المركزي في البحث انسلت سؤالات عدَّة، تساهم في الإجابة عن سؤال البحث، وهي: متى بدأ التَّأليف في دراسة الشَّواهد البلاغية؟ وما هي

- الظروف المعرفية التي أدت إلى نشوء تلك الدراسات؟ وأيُّ المؤلفات توجَّهت إليها تلك الدراسات؟ وما الذي امتازت به دراسة الشواهد البلاغية؟ وانطلاقاً من هذه الأسئلة المعرفية تجلَّت أهداف الدراسة في النقاط الآتية:
- رصد حركة التَّأليف حول الشَّواهد البلاغية، وتحليل مناهج التَّأليف فيها.
 - الوقوف على بدايات التَّأليف لدراسة الشَّاهد البلاغي، وتحليل ذلك زمنياً ومعرفياً.
 - بيان المؤثرات المعرفية التي أدت إلى نشوء حركة تأليف حول دراسة الشواهد البلاغية.
 - الوقوف على المؤلفات التي دُرِسَتْ شواهدُها، وبيان أسباب اتجاه تلك الدراسات إلى شواهد تلك المؤلفات دون غيرها.
 - توضيح ما تميَّز به دراسة الشواهد البلاغية عن غيره من العلوم الأخرى.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج التاريخي، مستخدماً الوصف والتحليل، حيث قمت بالاستقراء التَّام للمؤلفات حول الشَّاهد البلاغي -حسب الاستطاعة- وجمعها وتصنيفها، ثم تحليل أبرز وأشهر تلك المؤلفات، بذكر أبرز ملامح مناهج مؤلفيها وأهدافهم.

حدود البحث:

ينحصر البحث في دراسة مناهج العلماء الذين أفردوا دراسة الشواهد البلاغية بجميع أنواعها (الشعرية والنثرية) بالتأليف، ويتوقف البحث زمنياً إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري (١٣٥٠هـ)، حيث توجه التأليف العلمي بعد هذا التاريخ إلى الدرس الأكاديمي، فلم أتناول الرسائل العلمية المقدمة لنيل درجات علمية، أو الأبحاث العلمية المحكمة، فهي لا تدخل ضمن الإطار الزمني الذي حددته للبحث، وسبب التوقف زمنياً عند منتصف القرن الرابع عشر (١٣٥٠هـ) ذلك أن الدراسات بعد ذلك كثُرت وتَنَوَّعت، واختلفت مناهجها، فأصبحت بحاجة إلى دراسة مستقلة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي لم أجد من درس حركة التأليف في الشاهد البلاغي، وأغلب الدراسات الحديثة اتجهت إلى دراسة الشواهد البلاغية نفسها في المؤلفات البلاغية، أو دراسة مناهج العلماء في عملية الاستشهاد، ومن أبرز تلك الدراسات ما يلي:

أولاً: الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز، توثيق وتحليل ونقد، للدكتورة نجاح الظهار، والكتاب في أصله رسالة دكتوراه، في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وطُبع في ١٩٩٦م، تناولت فيه الباحثة شواهد عبدالقاهر الجرجاني الشعرية في كتابه دلائل الإعجاز، فنسبت الشواهد إلى قائلها، وحللت تلك الشواهد ودرستها دراسة بلاغية نقدية، بحيث تذكر أقوال

العلماء في الشاهد، سواء الموافق منها لرأي عبدالقاهر الجرجاني أو المخالف له، وتحلل كل ذلك تحليلًا علميًا.

ثانيًا: الشواهد الشعرية في كتاب أسرار البلاغة للشيخ عبدالقاهر

الجرجاني، توثيق وتحليل بلاغي ونقد، لعائد بن سليم الحسيني، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (١٤١٥هـ)، وقد سار فيه الباحث على خُطى نجاح الظهار، مفندا الحديث حول الشاهد الشعري في كتاب أسرار البلاغة من خلال توثيق نسبته إلى قائله، وشرحه شرحًا موجزًا، ثم تحليل ذلك الشاهد بلاغيًا مستندًا على أقوال علماء البلاغة في ذلك.

ثالثًا: مدونة الشواهد في التراث البلاغي العربي من الجاحظ إلى الجرجاني:

أسسها مقاييسها مناهجها وظائفها: للدكتور مراد بن عياد، وهو كتاب مطبوع عن أصل رسالة عملية لنيل درجة الدكتوراه، في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفافس، ٢٠١١م، وقد قام بدراسة وصفية تحليلية للشواهد الشعرية البلاغية قبل عبدالقاهر الجرجاني، فبدأ من البيان والتبيين للجاحظ مرورًا برسائل الرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني في إعجاز القرآن، والصناعتين للعسكري وإعجاز القرآن للباقلاني، وسر الفصاحة للخفاجي مختتمًا بكتابي عبدالقاهر أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز.

رابعًا: الشواهد البلاغية وتوظيفها واكتشاف درجات النظم في كتاب

دلائل الإعجاز للشيخ عبدالقاهر الجرجاني، لفوزية الطاهر الشين، القاهرة:

دار البشير، ٢٠١٤م، والكتاب في أصله رسالة لنيل درجة الماجستير، في

كلية الآداب، بجامعة طرابلس، وقد تناولت الباحثة منهج الشيخ عبدالقاهر الجرجاني في عملية الاستشهاد، وقسمت مباحث الكتاب وفقاً لذلك، فجعلت هنالك شواهد التتويج، والشواهد الأساسية والشواهد الجانبية، وتحت كل نوع من هذه الأنواع أقسام متعددة، تحدثت الباحثة عن كل قسم منها، وحللت طريقة عبدالقاهر الجرجاني في عملية الاستشهاد. وبهذا يتضح الفرق جلياً بين هذه الدراسات ودراستي فهذه الدراسات تدرس الشواهد في كتب البلاغة، أو مناهج المؤلفين في عملية الاستشهاد، ودراستي تدرس مناهج العلماء الذين درسوا الشواهد البلاغية، وأفردوها بالدراسة، حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري (١٣٥٠هـ) لا دراسة الشواهد البلاغية نفسها، أو مناهج علماء البلاغة في عملية الاستشهاد. وبعد جمع المادة العلمية، وتحليلها، وتبعاً للأهداف المذكورة، قسّمت البحث بحسب نوع الشّاهد المدروس، ولغته، فجاءت المباحث على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها الحديث عن أهمية البحث، وسؤاله، والمنهج المتبع فيه، وخطته.

التمهيد: وفيه تعريف للشّاهد البلاغي، ومكانته في البلاغة العربية.

المبحث الأول: دراسة الشّواهد البلاغية القرآنية.

المبحث الثاني: دراسة الشّواهد البلاغية الشعرية.

المبحث الثالث: شرح الشّواهد البلاغية بلغات غير العربية.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

التمهيد

أولاً: تعريف الشاهد

الشَّاهد في اللغة من المصدر شَهِدَ، يقول ابن فارس في تعريفه: "والشَّين والهاء والدَّال أصل يدل على حضور وعِلْم وإِعْلَام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه"^(١)، أما في الاصطلاح فعرفه التهانوي بـ: "الجزئي الذي يُسْتَشْهَدُ به في إثبات القاعدة لكون ذلك الجزئي مِنَ التَّنْزِيلِ، أو مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ الموثوق بعريتهم، وهو أخصُّ من المثال"^(٢)، ولا يخفى أنَّ الحدود التي وضعها التهانوي صارمة قد يتجاوزها الحقل البلاغي، فيمكن الاستشهاد في البلاغة بكلام متأخري العرب، إن كان كلامهم سائراً على طريقة العرب في القول، أما كون الشَّاهد أخصَّ من المثال؛ فلأنَّ القاعدة تُبْنَى على الشَّاهد، والمثال يأتي بعد القاعدة لتوضيحها، والشَّاهد أيضاً أقل في مَوْرَدِهِ، بخلاف المثال فالجمال فيه واسع، وحاجة العلوم إليهما جميعاً.

ثانياً: مكانة الشَّاهد في البلاغة العربية.

للشَّاهد في العلوم العربية مكانة كبيرة، فعليه وبه تُحَدُّ الحدود، وتُبْنَى القواعد التي تكون مطردة في العلم، ومنذ بدايات التَّأْلِيف في العلوم العربية كانت أهمية الشَّاهد حاضرة في أذهان العلماء، وقد أشار الجاحظ إلى أهمية الشَّاهد في تأصيل العلوم فقال: "ومدار العلم على الشَّاهد والمثل"^(٣)، وكانت أولى

(١) أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م، ٢٢١/٣.

(٢) محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م، ١/١٠٠٢.

(٣) عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت: دار الجيل، ٢٧١/١.

المؤلفات اللغوية قائمة على الشواهد في منهج تأليفها، فكتاب سيبويه اشتمل على ألف وخمسين بيتاً من الشواهد الشعرية، "قال الجرمي: نظرت في كتاب سيبويه؛ فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً، فأما ألف فعرفتُ أسماء قائلها، وأما خمسون فلم أعرف أسماء قائلها"^(١) إضافة إلى الشواهد القرآنية التي اعتمد عليها سيبويه في كتابه، وتجاوز ما استشهد به من الآيات القرآنية ثلاثمئة آية، وقد يجعل الآية أصلاً في الباب، إذا قال: "وهذا باب ما لا يكون إلا على معنى ولكن، فمن ذلك قوله تعالى ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: ٤٣] وقوله عز وجل ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا﴾ [يونس: ٩٨]: أي ولكن قوم يونس لما آمنوا، وقوله عز وجل: ﴿لَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنَّهُوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]"^(٢).

وإذا نظرنا في تاريخ التأليف البلاغي العربي نجد أولى المؤلفات المنهجية البلاغية اعتمدت اعتماداً كلياً على الشاهد، فابن المعتز (ت: ٢٩٦) في كتابه البديع - وهو صاحب أول تأليف منهجي في البلاغة العربية - اعتمد على الشاهد في اختطاط منهجه، يدلنا على ذلك كثرة الشواهد التي استشهد بها، حيث تجاوزت شواهد ستمئة شاهد، تنوعت ما بين الشواهد

(١) محمد بن حسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل، مصر: دار المعارف، ٧٥.

(٢) سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة: عالم الكتب، ط ٣، ١٩٨٣ م، ٢/ ٣٢٥.

القرآنية والنثرية والشعرية، وهذا عدد كبير إذا ما قيس بعدد الأبواب البلاغية التي تناولها في كتابه، فعَدَّ منها خمسة أنواع من البديع، ثم زاد عليها ثلاثة عشر نوعًا أطلق عليها محاسن الكلام، وكان مجموع ما تحدث عنه في أبواب علم البلاغة ثمانية عشر بابًا^(١)، وبمنهجية ابن المعتز سارت كتب البلاغة من بعده، فأصبح الشَّاهد هو الأسَّ الذي تقوم عليه الدراسة البلاغية. من هنا اكتسب الشاهد البلاغي أهميته في البلاغة العربية، وتميز عن غيره من بلاغات الأمم الأخرى "فالشاهد في الخطاب البلاغي العربي هو موضوع الدراسة البلاغية، وهو موضوع للوصف، وكذلك للحكم والمعيار أكثر منه للإقناع بالمفهوم اليوناني، والشاهد في التراث البلاغي يختلف عنه في الخطاب الأدبي، فالشاهد الشعري قد استعمل في الخطب، واستعمل في الرسائل الأدبية، وفي المقامات، لكن المقامين مختلفان، فهو في نصوص الأدب القديمة خطاب إبداعي، أو جزء من خطاب إبداعي، يقحم في نص إبداعي آخر، بيد أنه في نصوص التراث البلاغي، يكون موضوعًا للدراسة والتصنيف، ومحلًا للحكم والمعيار، وهو بهذا المعنى ينزل في سياق المباحث الجمالية"^(٢).

(١) انظر: عبدالله بن المعتز، البديع، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٧م، ٧٣ وما بعدها، وانظر تفصيل الحديث عن الشواهد عند ابن المعتز: حمد بن عبدالله العوفي، الشاهد البلاغي عند ابن المعتز في كتابه البديع دراسة في المنهج، مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية، المجلد الثامن، العدد (٣١)، سبتمبر ٢٠٢٢.

(٢) مراد بن عياد، مدونة الشواهد في التراث البلاغي، من الجاحظ إلى الجرجاني، أسسها، مقاييسها، مناهجها، وظائفها، صفاقس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠١م، ١ / ١٥.

ولا تقتصر أهمية الشاهد على ضبط قواعد اللغة، أو بيان استطرادها، فالشاهد لها اعتبارات متعددة، فهو "العصب [للغة] في مرحلة التنظير، وهو المادة في مرحلة التطبيق، والشواهد لا يقف تأثيرها عند هذا الحد، بل إنها لتكوّن في مجموعها تراثاً حضارياً للأمة لا يمكن التفريط فيه فضلاً عن تجاهله؛ لأنّه مرتبط بثقافة هذه الأمة"^(١).

ومما امتازت به الشواهد البلاغية سعة الزمان الذي يُستشهدُ بأشعاره وأقواله، فقد نقل البغدادي قول أبو جعفر الأندلسي قوله: "علوم الأدب ستة: اللغة والصرف والنحو، والمعاني والبيان والبديع، والثلاثة الأولى لا يُستشهدُ عليها إلا بكلام العرب، دون الثلاثة الأخيرة فإنّه يُستشهدُ فيها بكلام غيرهم من المولدين؛ لأنّها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم، إذ هو أمر راجع إلى العقل، ولذلك قيل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحري وأبي تمام وأبي الطيب وهلمّ جرّاً"^(٢).

ولا بُدّ من ضبط الاستشهاد في البلاغة العربية، فلا يفتح المجال فيها، حتى ندخل كلام غير العرب فيها، فنجيز الاستشهاد به في البلاغة العربية، فكما هو معلوم أنّ لكل أمة طريقة في تناول معانيها، ولكل لغة خصائصها في استعمال المجازات اللغوية، أو حتى الطرق البيانية، تتشكل من ثقافتها عموماً،

(١) عويض بن حمود العطوي، منهج التعامل مع الشاهد البلاغي بين عبدالقاهر الجرجاني وكل من السكاكي والخطيب القزويني، جامعة أم القرى: مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد: ٣٠، المجلد: ١٦، (٢٠٠٤)، ٤٩٧.

(٢) عبدالقادر البغدادي، خزانة الأدب ولب أبواب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٥/١.

فَعُرِفَ عن العرب طرائق محددة في طُرُقِ المعاني، فتشبيه المرأة بالشمس مثلاً سائغ ووارد في لغة العرب، لكنه غير سائغ عند الأمم الأخرى، وهكذا^(١). نعم لا بُدَّ للغة أن تتطور في أساليبها، وتواكب عصرها، ولكن هذا التطور لا بُدَّ أن يكون من العرب أنفسهم، ومبني على كلام أسلافهم العرب، وليس تَقْمُصاً لما في اللغات الأخرى، فالبلاغة قائمة على الذوق، وأذواق الأمم تختلف؛ لذا لا بُدَّ من التعويل على الذوق العربي، وليس أي ذوق، وإنما الذوق الذي غُذِيَ بكلام العرب من الشعر والنثر. والمسائل البلاغية تختلف في غموضها ودقتها، فمنها الغامض الذي يحتاج إلى شواهد تجليها، وهذه الشواهد ينبغي مراعاة وضوحها، ودقتها، وحسن انتقائها، يقول مراد بن عياد عن علاقة الشاهد بالبلاغة: "وعلاقة الشاهد بالبلاغة علاقة تناص من نوع واحد خاص، تخضع فيه الأقوال المستحضرة لوظائف محددة، تملئها أهداف الدرس البلاغي عند العرب، فإذا أُخِذَ من أثر ما جزء من نصه وُزِعَ في سياق مغاير من سياقات الدراسة البلاغية، فإنه يتحول من مقام إنشادي في الشعر... إلى مقام تمثيلي عند البلاغيين، وعندئذ توضع الظاهرة الأدبية في النص المستحضر في مواجهة الظاهرة البلاغية فيه"^(٢).

(١) هناك العديد من الأبحاث التي تحدثت عن دور الثقافة في تشكيل الصور البيانية، وإبراز الفروق بين اللغات في استخدامها، انظر مثلاً: عماد عبد الباقي، التشبيهات ورودها في استخدام اللغات، اللغة العربية والتركية أنموذجاً، مجلة Driga PARK، المجلد ٢١، العدد: ٥٢، ٢٦٩.

(٢) مراد بن عياد، مدونة الشواهد في التراث البلاغي، من الجاحظ إلى الجرجاني، أسسها، مقاييسها، مناهجها، وظائفها، ١ / ٣٤٩.

المبحث الأول: دراسة الشواهد البلاغية القرآنية

مما لا شك فيه أنَّ القرآن الكريم قد بلغ الغاية القصوى من البلاغة، فلا يدانيه ولا يُقَرَّب منه في البلاغة نصُّ بشري، فاق قدرة البشر في البيان، حتى عجزوا على الإتيان بقريب من بلاغته، وهذه الشهادة لبلاغة القرآن لم تكن حديثة عهد، بل كانت مع بدايات نزوله، فقد شَهِدَ بذلك صناديد قريش وهم معادون له، حريصون على إبطال حجته، يدلنا على ذلك شهادة الوليد بن المغيرة حين سمع النبي ﷺ يتلو شيئاً من القرآن، فقال: "إنَّ لقوله الذي يقول حلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ لمينر أعلاه يَعْدِقُ أسفله، وإنَّه لَيَعْلُو وما يُعْلَى عليه، وإنَّه لَيَحْطِمُ ما تحته"^(١)، فهذه المقولة لم يكن دافعها ديني، يرى قدسية النصِّ القرآني، ولكنها شهادة حق، قِيلَتْ في منزلة القرآن الكريم من البلاغة.

وعند النَّظر إلى دراسة الشواهد البلاغية القرآنية، نرى أنَّها سارت في مسارين مختلفين، الأول: دراسة سور أو آيات منفردة من الشواهد البلاغية، وإفرادها بالتأليف، والثاني: دراسة شواهد قرآنية لكتب بلاغية معينة، والمسار الأول هو أسبق مسارات التَّأليف في الشَّاهد البلاغي عمومًا، سواء الشواهد القرآنية أو الشعرية أو النثرية، أما المسار الثاني في الشواهد القرآنية تأخر كثيرًا عن المسار الأول زمنيًا، وتفصيل ذلك فيما يلي:

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه" الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، دار التأصيل، مركز البحوث وتقنية المعلومات، ٢٠١٤م، رقم: ٣٩١٨، ٤/ ٤٩٢.

الأول: دراسة سور أو آيات منفردة^(١): بدأت هذه المرحلة مبكراً قبل تشكُّل ملامح البلاغة العربية، وكانت منطلقة من قضية إعجاز القرآن الكريم، وقد تركزت هذه الدراسات على شواهد محددة، تخدم قضية الإعجاز، في بادئ الأمر، وهنا أشير إلى أنَّ المقصود هنا الكتب التي أُلِّفت وكان الهدف من تأليفها إبراز الأوجه البلاغية للشواهد القرآنية، وليست الكتب التي أُلِّفت في تفسير آية أو بيان أحكامها، وجاء الحديث عن بلاغتها تبعاً للهدف الرئيس؛ لذا لا يدخل في إطار الدراسة كتب التفسير البلاغية ككشاف الزمخشري، وما سار على نهجه من كتب التفسير، إذ ليس المقصود من تفسيره الاستشهاد البلاغي، ولا الكتب المتأخرة التي سارت على منهج المفسرين، ككتاب قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي، فقد سار على منهج المفسرين، بأن بدأ من بداية القرآن، وتحدث عن علوم القرآن المختلفة فيه، وإن كان هدفه الكشف عن الأسرار البلاغية في القرآن إلا أنَّ منهجه الذي اتبعه لا يدخل ضمن إطار دراستي، فهو لم يخص الشواهد البلاغية القرآنية بالدراسة.

(١) هنا لم أذكر الكتب أو الرسائل التي أُلِّفت في آية من آيات الذكر الحكيم، ولم تكن من شواهد البلاغيين، وإنما كان الدافع إلى تأليفها التأمل البلاغي، وهي قليلة، من مثل: رسالة فتح الجليل للعبد الذليل، لجلال الدين السيوطي، والتي خصَّها للحديث عن قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يَخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

ومن أوائل الكتب التي أُفردت في ذلك كتاب إعجاز سورة الكوثر لجار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨) فقد تحدث الزمخشري عن بلاغة سورة الكوثر بصفة مجملة، والهدف من الكتاب لم يكن تبيان بلاغة سورة الكوثر، وإنما ضرب سورة الكوثر مثلاً على علو بلاغة القرآن، ودليلاً على إعجازه، فقال: "وأنا أضرب لك سورة الكوثر -وهي أقصر السور- مثلاً أنصبه بين يديك، وأجعله نصب عينيك، فأنت أكيس الأكياس، ومعك نُهيّة كشعلة المقباس، تكفيك الرزمة وإن كانت خفية، والتنبيهة وإن كانت غير جليلة، فكيف إذا ذلت بأنور من وضح الفلق، وأشهر من شية الأبلق"^(١).

وقد كانت روح التأليف البلاغي في ذلك العصر حاضرة في مؤلف الزمخشري، حيث تحدث عن السورة أولاً بذكر سياقها ثم الحديث عن مزايا النظم فيها، من تقديم وتأخير، وذكر وحذف، وأنواع البديع من جناس والتفات، فجاء التحليل البلاغي للسورة متكاملًا على اختصاره، فالتحليل البلاغي للزمخشري قريب من ما فعله عبدالقاهر الجرجاني، مع الشواهد البلاغية.

ودراسة الزمخشري هذه ألفت قبل أن تُسلك آيات من السورة في الشواهد البلاغية، فلم يستشهد أحد من البلاغيين قبل الزمخشري بآية من سورة الكوثر، ولكن دراسة الزمخشري هي التي مهّدت لأن تكون بعض آيات هذه السورة ضمن الشواهد البلاغية فيما بعد، فقد أشار الرازي إلى دراسة

(١) محمود بن عمر الزمخشري، إعجاز سورة الكوثر، تحقيق: حامد الخفاف، بيروت: دار البلاغة، ١٩٩١م، ٥٤.

الزمخشري، ولخصها في كتابة في إحدى وعشرين فائدة^(١)، ثم جاء الخطيب القزويني واستشهد بآيتين من السورة في باب الالتفات من التكلم إلى الغيبة^(٢)، ثم سار التأليف البلاغي من بعد التلخيص يدور في فلكه، وينهل من مادته.

ثم جاءت دراسات بعد ذلك سارت على منهج الزمخشري في تحليل سورة الكوثر بلاغيًا، بعد أن أصبحت شاهدًا بلاغيًا، وقد أضافت تلك الدراسات إلى دراسة الزمخشري ما استجد من قضايا بلاغية من بعده، فتحدثت عن مناسبة السورة لما قبلها، وهذا باب واسع لطيف في البلاغة، لم يُتَوَسَّعْ الحديث فيه إلا في عصور البلاغة المتأخرة عن الزمخشري، وما كان في زمن الزمخشري وما قبله إشارات دقيقة لطيفة إلى تلك المناسبات بين السور، فنجد أحمد النقاسي (ت: ٧٤٧) يُفَصِّلُ القول في مناسبة سورة الكوثر لسورة الماعون قبلها^(٣)، وكذا ذكر ابن نجيم (ت: ١٠٠٥) مناسبة السورة لما

(١) محمد بن عمر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: نصر الله حاجي، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤م، ٢٣٦.

(٢) انظر: محمد بن عبد الرحمن القزويني، تلخيص المفتاح، تحقيق: محمد بن علي الزعابي، المدينة المنورة: دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع، ٢٠٢٣م، ١٠١.

(٣) أحمد النقاسي، الروض الأزهر فيما تضمنته سورة الكوثر، من وجوه البلاغة وفنون الفصاحة والبراعة، تحقيق: عبدالله بن سليمان السعيد، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية بنين بمرجا، العدد: ٢٤، الجزء: ١٠، ٢٠٢٠م، ٩٨٧٩.

قبلها^(١)، وإن كانت الدراستان الأخيرتان قد أصابهما ما أصاب البلاغة العربية من التقسيم والتعديد، فنجد الحديث فيهما مقسم إلى فوائد متفرقة، فالنقاوسي "أورد في الآية الأولى سبعة وعشرين فائدة، وفي الثانية اثنين وثلاثين فائدة، وفي الثالثة إحدى وعشرين فائدة، فتمت له ثمانون فائدة، ثم ختم هذا المصنّف بذكر هدفه من تأليفه، وهو التنبيه على بعض ما في هذه السورة من الإعجاز، وبيان كيفية التدرب في علم البلاغة والفصاحة"^(٢). أما ابن نجيم (ت: ١٠٠٥) فقد تحدث عن السورة بدءًا من الخلاف في مكان نزولها، ثم أخذ في الحديث عنها آية آية يذكر عند كل آية ما يتعلق بها من القضايا النحوية واللغوية والبلاغية، وإن كان تركيزه على البلاغة بشكل أكبر، فقد نقل كلام أئمة علماء البلاغة كعبدالقاهر الجرجاني والزمخشري والرازي والسعد التفتازاني.

وقد كان متأثرًا بالزمخشري في تفسيره، فقد اعتمد على أسلوب الفنلقة -وهو الأسلوب الذي يعتمد على: فإن قُلْتُ... قُلْتُ، أي أنه يقوم على افتراض سؤال ثم الإجابة عليه- كما كان الزمخشري معتمدًا عليه في تفسيره، وإن كان أطال في بعض المواضع التي ليس للبلاغة دخل فيها، كالاختلاف في معنى

(١) عمر بن إبراهيم بن نجيم، عقد جوهر الكلام على سورة الكوثر، تحقيق: عادل بن محمد الرفاعي، الجامعة الإسلامية، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، العدد: ٦، الجزء: ١، ٢٠٢٣م، ١٢١.

(٢) أحمد النقاوسي، الروض الأزهر فيما تضمنته سورة الكوثر، من وجوه البلاغة وفنون الفصاحة والبراعة، ٩٨٦٩.

الكوثر، فذكر فيه خمسة عشر قولاً، والرسالة في عمومها لم تخرج عما ذكره الزمخشري، أو كان في كتب البلاغة من قبله.

وبهذا يمكن القول بأن الدراسات التي أُفردت للحديث عن سورة الكوثر كانت مختصرة موجزة، وكانت الغاية منها إثبات إعجاز القرآن، وإعجاز القرآن إنما كان في بلاغته وفصاحته على أكثر أقوال أهل العلم، ثم إن الدراسات المفردة انصرفت إلى سورة الكوثر دون غيرها من السور ذلك أنها أقصر سورة في القرآن، وأقل مراحل التحدي إنما كان في الإتيان بسورة من مثله قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] ؛ لذا انبرى العلماء في دراسة بلاغة هذه السورة؛ ليبينوا مدى العجز الذي أصاب الكافرين عن الإتيان بمثلا.

ثم إن الدراسات في هذا المسار -دراسة سور أو آيات مفردة- لم تسلك نهج الزمخشري، وهي -على قلتها- أصابها ما أصاب البلاغة العربية من التقسيم والتفصيل، والتوسع في الدراسة بإدخال علوم أخرى غير بلاغية في التحليل، فمن الآيات التي أُفردت بالدراسة آية هود، وهي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَفْلَحِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] وهي أشهر أنموذج بلاغي فمنذ أن طبّق عبد القاهر الجرجاني عليها نظرية النظم^(١)، تداول علماء البلاغة هذا الأنموذج بالدرس والتحليل البلاغي، وهذا الأنموذج يختلف عن سورة الكوثر

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، جدة: دار المدني، ط٣، ١٩٩٢م،

بأنَّ الهدف الأساس هنا ليس إثبات إعجاز القرآن، وإنما إظهار بلاغة القرآن المعجزة، ثم هذا النموذج لم يكن شاهداً على باب من أبواب البلاغة، وإنما كان أنموذجاً لبيان البلاغة والبيان عموماً، فيصح أن نقول: الآية شاهد تطبيقي لأبواب البلاغة المختلفة.

ثم جاء السكاكي (ت: ٦٢٦) وتحدث عن هذا النموذج ضمن كتابه مفتاح العلوم، بعد أن فرغ من الحديث عن البلاغة والفصاحة وعلمي المعاني والبيان، حيث قال: "وإذا وقفت على البلاغة، وعثرت على الفصاحة المعنوية واللفظية، فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آية أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين، ما عسى يسترها عنك، ثم إن ساعدك الذوق أدركت منها ما قد أدرك من تُحُدُّوا بها"^(١).

ثم أُفِرِدَ هذا الشاهد البلاغي القرآني بالدراسة عند ابن الجزري (ت: ٨٣٣) في كتابه كفاية الأملعي في آية يا أرض ابلعي، وسبب تأليفه لهذه الدراسة هو ردُّ على من قال "إنَّ الإمام السكاكي بلغ فيها الغاية"^(٢).

وقد توسَّع ابن الجزري في شرح الآية - بعد أن نقل نص كلام السكاكي على طوله - فتحدث عنها من جميع النواحي اللغوية: الصرفية والنحوية والبلاغية، وكذلك استطرد في ذكر ما يتعلق بالآية من أحداث، كحديثه عن الطوفان الذي أصاب قوم نوح من حيث مدته وقوته وغير ذلك، وما يهمننا هنا هو

(١) يوسف بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠١١م، ٥٢٧.

(٢) محمد بن محمد الجزري، كفاية الأملعي في آية يا أرض ابلعي، تحقيق: نشيد حميد آل محمود، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ٢٠٠٣م، ٧٢.

حديثه عن الجانب البلاغي، فنجد أنه وازان بين كلام العلماء قبله فيها، وناقشه ورجح، فهو ألف كتابه هذا مستنداً على كلام صاحب المفتاح فيها، فأخذ يناقشه في تحليله البياني، جامعاً إليه أقوال علماء البلاغة من قبله، كالزحشري والرازي وغيرهما، وقد لخص منهجه في كتابه بقوله: "الكلام في هذه الآية ينحصر في أربعة أوجه:

الأول: على تفسيرها من حيث الجملة وما يتعلق به وينضم إليه، والتنبيه على ما ذكره الأئمة الثلاثة المتقدمون [الزحشري والرازي والسكاكي] فيها وغيرهم، وبيان الصحيح من ذلك.

الثاني: في معاني كلماتها كلمة كلمة من حيث التفصيل في اللغة والإعراب. الثالث: فيما ظهر لنا ولهم من الأسئلة الواردة عليها والأجوبة عن واحد منها.

الرابع: فيما ظهر لنا فيها من المعاني والبيان وأنواع البديع سوى ما ذكره هؤلاء فيه.

وختمت ذلك بفصل في وجوه إعجاز القرآن العظيم^(١).

وبهذا يظهر لنا أنّ ابن الجزري قد درس هذه الآية من جميع النواحي البلاغية، سواء ما يتعلق بعلم المعاني من تقدم وتأخير وذكر وحذف وغيرها، أو ما

(١) محمد بن محمد الجزري، كفاية الأملعي في آية يا أرض ابلعي، ٨٩.

يتعلق بعلمي البيان والبدیع، وقد فصل القول في ذلك، عارضاً ومناقشاً آراء العلماء من قبله في الآية^(١).

الثاني: دراسة شواهد قرآنية لكتب معينة: وهذا المسار في التأليف - وهو الاختصار على دراسة الشواهد القرآنية في مؤلف واحد - مما انفردت به البلاغة عن سائر علوم اللغة العربية، فلا نجد مؤلفاً في دراسة الشواهد القرآنية في النحو، أو غيره من علوم العربية، وكذلك انفردت به البلاغة العربية عن سائر بلاغات اللغات الأخرى، وأنتجت لنا البلاغة العربية مؤلفاً واحداً في هذا المجال، وهو مراقي المجد لآيات السعد لأحمد بن علي المنجور (ت: ٩٩٥هـ).

وبعد تأمل سبب هذا التفرد نجد أنه كان للعلاقة القوية بين القرآن الكريم والبلاغة، بخلاف علوم اللغة الأخرى، وإيضاح ذلك أن معجزة القرآن ارتكزت على بلاغته في المقام الأول، ثم إن معرفة البلاغة وأحكامها هو الطريق إلى معرفة إعجاز القرآن، وطريق البلاغة هي الطريق الأمثل للتدبر في معنى القرآن، والله عز وجل أمر بالتدبر في القرآن، وذم من أعرض عن تدبره، قال تعالى: ﴿فَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

(١) هناك بعض الدراسات التي درست البسملة على اعتبار أنها آية من سورة الفاتحة، وقد كانت من شواهد الخطيب القزويني، ولكني لم أجعلها ضمن دراستي؛ لأن تلك الدراسات لم يكن هدفها دراسة الشاهد البلاغي، أو دراستها على أنها شاهد بلاغي، كدراسة الدسوقي لها في مطلع حاشيته على المختصر، فقد درسها على أنها أول ما افتتح بها التفتازاني مختصره، وهو وإن سار على نهج السكاكي في دراسة آية ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَفْلَحِي﴾ إلا أنه لم يفردا بالدراسة.

أَخْتَلَفَا كَثِيرًا ﴿ [النساء: ٨٢] ، لذا كانت هذه المحاولة الفريدة الوحيدة في هذا المجال، وقد خرجت بنتائج أثَّرتُ الشاهد البلاغي القرآني.

وأول ما يلفت النَّظْرَ في هذا المُؤَلَّف اختياره للكتاب الذي يدرس شواهد القرآنية، فقد اختار كتابًا يُعَدُّ من أكثر كتب البلاغة المتأخرة رواجًا، "وأعظم شرح لتلخيص المفتاح، وهو شرح ممزوج يعتني صاحبه باستقصاء شرح ما في التلخيص وتحقيق ما يتصل به من القضايا والآراء، فلا يترك منه شاذَّة ولا فاذَّة إلا تعرَّض لها بطرائق شتى من الإيجاز والإطناب والتفصيل والاستطراد والمناقشة والتعليل"^(١)، فيمكن القول: إنَّ المنجور كان موفقًا في اختياره للكتاب، لما ذكرت آنفًا، ولأنَّ الكتاب امتاز بالضبط المنهجي -تبعًا للكتاب الذي يشرحه وهو التلخيص- مما سهَّل عملية دراسة الشواهد القرآنية فيه ومناقشتها.

ثم إنَّ هذا الكتاب حاز على ميزة أخرى وهو أنَّه من مؤلفات المغرب العربي، ويدرس كتابًا من كتب المشرق العربي، ومعلوم أنَّ الدرس البلاغي في المشرق العربي اختلف عنه في المغرب العربي، من حيث المنهج وطرق التأليف، والتأثر بالمناهج الأخرى^(٢)، بل إنَّ عُمَدَ كتب البلاغة تختلف ما بين المشرق العربي

(١) سعد الدين التفتازاني، شرح تلخيص المفتاح المطول، تحقيق: ضياء الدين عبدالغني القالشي،

اسطنبول: دار الباب، ٢٠٢٢م، مقدمة التحقيق: ٥٢.

(٢) لست هنا بصدد الحديث عن هذه المقارنة، ولكن ذكرتها لتبيين مزايا الكتاب، ولإيضاح الفكرة

بشكل أفضل انظر في منهجي كتاب القرطاجني مناهج البلغاء، ومفتاح السكاكي، سيظهر الفرق

جليًا. بين منهجي التأليف.

والمغرب العربي^(١)، فيمكن القول: إنَّ هذا الكتاب هو محاولة الجمع بين مدرستين من مدارس البلاغة العربية، ثم هو شرح الشواهد البلاغية القرآنية، وقد كانت كتب البلاغة في المشرق العربي أكثر اعتمادًا على الشاهد القرآني من كتب المغرب العربي، وذلك تبعا لطبيعة التأليف ومنهجيته والمؤثرات الأخرى في حركة التأليف ودوافعه.

وقد ذكر المنجور سبب تأليفه للكتاب في مقدمته، ذلك أنه لما رأى ما حواه المطول من آيات متعددة كشف التفتازاني عن أسرارها البلاغية، لكنَّها كانت متفرقة غير منتظمة، وكذلك الحديث فيها متناثرا في الكتاب، عمد إلى جمع ذلك كله، وربَّبه على ترتيب آيات المصحف؛ لَيْسُهُلَّ عَلَى الْمُطَّلَعِ عَلَيْهِ الإِفَادَةُ الْقَصْوَى مِنَ النَّظَرِ فِي الْآيَةِ، فقد تُذَكَّرُ الْآيَةُ فِي غَيْرِ مَظَاهِهَا^(٢).

وبهذا يكون المنجور قد مزج بين منهجين من مناهج التَّأْلِيفِ فِي الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ والإسلامية، منهج أهل التفسير ومنهج أهل البلاغة، فاتخذ من منهج أهل التفسير الترتيب المنهجي لكتابه، فبدأ بالفاتحة وانتهى بسورة الناس، وهذا ما سارت عليه أغلب التفاسير القرآنية، واتخذ من منهج أهل البلاغة الالتزام

(١) برز في المشرق العربي من كتب البلاغة المتأخرة مفتاح العلوم للسكاكي (ت: ٦٢٦)، ودارت الدراسات من بعده عليه، ولم تخرج عن وشاحه، أما في المغرب العربي فبرزت ثلاثة كتب بلاغية، هي: منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني (ت: ٦٨٤)، والروض المربع في صناعة البديع لابن البناء المراكشي (ت: ٧٢١)، والمتنوع البديع في تجنيس أساليب البديع لأبي محمد القاسم السجلماسي (من نقاد القرن الثامن).

(٢) انظر: أحمد بن علي المنجور، مراقي المجد لآيات السعد، تحقيق: مبارك شتيوي الحبشي، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٩م، ١/ ١٤١ وما بعدها.

بشرح الأنواع البلاغية في الآية، دون الاستطراد إلى ذكر علوم اللغة الأخرى أو ما يتعلق بالآية من علوم القرآن المختلفة، وهو بصنيعه هذا قدّم منهجاً جديداً في تناول الآيات القرآنية، يتسم بالسهولة في البحث عن الكلام البلاغي في الآية القرآنية، كما يتسم بالجمع، بأنّ تحدث عن كل ما حوته الآية القرآنية من نكات بلاغية في موضع واحد، معتمداً في ذلك على كتب أصول العلم البلاغي المتأخرة، وهي تلخيص المفتاح للخطيب والمطول للتفتازاني، وحاشية السيد الشريف الجرجاني على المطول.

أما منهجه في شرح الشواهد البلاغية القرآنية فيمكن تلخيصه بأنّه عني "بجمع تلك الآيات وترتيبها، والإشارة إلى ما فيها من ألوان البلاغة، وإيراد كل ما يتعلق بالآية من كلام الخطيب في التلخيص والسعد في المطول، والاقتباس للمقارنة - أحياناً - من كلامهما في الإيضاح والمختصر، والتعليق على ذلك مفيداً - في كثير من المواضع - من حاشية السيد الشريف الجرجاني على المطول، وحاشية ابن البناء على الكشاف فيما يتعلق بالآية، مع الحرص على ربط أجزاء الكتاب بعضها ببعض، والاستغناء عن التكرار بالإحالة على الآيات السابقة واللاحقة"^(١).

ومما ميّز منهجه في تناول الآية الاستطراد في التحليل البلاغي أو تكثير الأمثلة فلم يقتصر "على ما في المطول من آيات وتحليل، وذكر جملة من نظائر الآيات، وكثير من آراء أساطين البلاغة، كالزمخشري والرازي والخطيب القزويني

(١) أحمد بن علي المنجور، مراقي المجد لآيات السعد، المقدمة: ٨ / ١.

والشريف الجرجاني وغيرهم^(١)، وهو بهذا يكون قد خدم الشاهد القرآني البلاغي.

وقد درس أغلب الآيات التي استشهاد بها التفتازاني في مطوله، وقد بلغت ٤٤٨ آية، أما الشواهد القرآنية التي لم يستوعبها بالدراسة في كتابه فهي بعض الشواهد القرآنية في المجاز المرسل، والإرصاد، وآيات متفرقة من أبواب مختلفة، من غير ما سبب واضح إلا السهو والنسيان، وما قد يكون من نقص فيما اعتمد عليه من نسخ المطول^(٢)، وكذا لم يستقص بعض الشواهد التي تطرق لها، فلم يذكر جميع المواضع التي استشهد بالآية فيها -وهي مواضع قليلة- فمثلاً مطلع سورة الكوثر ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] لم يذكر وجه الاستشهاد فيها إلا ما ذكره الخطيب في تلخيصه وتبعه التفتازاني من الاستشهاد بها في الالتفات من التكلم إلى الغيبة، مع أن التفتازاني استشهاد بهاتين الآيتين في موضع آخر، وهو السجع المتوازي حيث قال: "أو لا يكون لكل كلمة من إحدى القرينتين مقابل من الأخرى، نحو ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾^(٣)."

وكذلك تحدّث عن بعض الآيات التي لم تكن من شواهد المطول من مثل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] وأطال

(١) المرجع السابق، المقدمة: ٨٢ / ١.

(٢) انظر: المرجع السابق، المقدمة: ١١٠ / ١.

(٣) سعد الدين التفتازاني، شرح تلخيص المفتاح المطول، ٨٢١.

الحديث حولها^(١)، وقد يكون ما دعاه إلى ذلك شهرة هذا الشاهد القرآني في كتب البلاغة منذ حديث عبدالقاهر الجرجاني عنه.

والمنجور في كتابه هذا أبرز الجانب التطبيقي في البلاغة من خلال تحليل الشواهد القرآنية، تحليلًا بلاغيًا، فهو انطلق من الشاهد القرآني لدراسة المسائل البلاغية، ولم يكتف باستعراض أقوال العلماء، وإنما ناقش وحل، وراجع أقوال العلماء في الشاهد، ورجَّح فيما بينها، وهو بصنيعة ذلك أثرى الشاهد البلاغي.

وخلاصة القول في عمل المنجور أنَّه خدم الشاهد البلاغي القرآني من ناحيتين:

الأولى: الجمع والترتيب: حيث جمع كلام البلاغيين في الآية في موضع واحد، وهذا يعطي القارئ تصورًا عن كلام علماء البلاغة في وجه الاستشهاد من الآية في موضع واحد، ثم أردف ذلك بإعادة ترتيب الشواهد القرآنية فرتَّبها على وفق ترتيب المصحف، وهذا يُسهِّل على المتلقي الرجوع إلى الآيات القرآنية، فيكون المطلع على كتابه قد حاز على الأمرين: الشمول والسهولة. الثانية: التحليل والاستنباط: لم يكتف المنجور بذكر ما أورده التفتازاني، وإنما قارن وناقش وحل، حتى يمكننا القول: إنَّه يمثل الجانب التطبيقي لآيات المطول، وهذا أقوى درجات التَّعامل مع الشاهد البلاغي، فليس المقصد استعراض موطن الشاهد، وإنما المقصد بيان خدمة النكتة البلاغية للنص متمثلة في سياق الشاهد منها، وهذا قد يظهر جليًّا في الشاهد القرآني

(١) انظر: أحمد بن علي المنجور، مراقي المجد لآيات السعد، ١/ ٥٢٧.

بخلاف الشاهد الشعري، حيث يصعب تطبيق هذا الأمر؛ لتشعب الشاهد الشعري وتفرُّقه، من حيث القائلين والعصور والأغراض.

وأخيراً لم نجد في هذا المسار مؤلفات درست الشواهد القرآنية للمفتاح أو التلخيص منفرداً، مع أنَّ السكاكي كانت لها عناية فائقة بالشاهد القرآني في مفتاحه، حيث أورد ما يزيد عن خمسمئة شاهد قرآني، وهو أكثر كتاب بلاغي استشهد بالقرآن الكريم، وقد فاق في عدد شواهد القرآنية شواهد الشعرية إذا ما قورن بنفسه، فلم تتجاوز شواهد الشعرية مئتين وخمسين شاهداً، أما إذا ما قورن بغيره فقد تجاوزت شواهد القرآنية شواهد عبدالقاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، فعبدالقاهر لم تتجاوز شواهد القرآنية مئتين وخمسين شاهداً، "وهذا الفرق بين السكاكي ومن تقدمه من البلاغيين في كثرة الشواهد القرآنية التي ربما زادت عن الضعف، تعطيك مؤشراً على الجدة التي يمتاز بها السكاكي في شواهد القرآنية، وهذا يجعلك تدرك أنَّ السكاكي لم يجعل بينه وبين كتاب الله وسيطاً يأخذ من خلاله تلك الشواهد"^(١)، وإثماً يتأمل ويستعرض الآيات القرآنية، ويستخرج منها الأغراض البلاغية، فعملية التأمل والاستخراج هي ما تمثل الإنتاج المعرفي في البلاغة، بخلاف تكرار الشواهد وعدم إعمال الفكر في تكثير الشواهد والذي يؤدي إلى استهلاك المعرفة فقط.

(١) سعد بن عبدالعزيز الدريهم، موقف السكاكي من الشاهد القرآني، مجلة جامعة دنقلا للبحوث العملية، مج: ٧، العدد ١٤، (٢٠١٨)، ١٠٤.

المبحث الثاني: دراسة الشواهد البلاغية الشعرية

يُعَدُّ الشعر من أهم المصادر اللغوية التي اعتمد عليها العلماء في دراسة اللغة؛ لذا اهتموا بجمعه وتدوينه من خلال الرواية، حفظاً لتراث الأمة اللغوي، فالشعر من أكثر المصادر التي اسْتُشْهِدَ بها في تقعيد قواعد اللغة العربية؛ ذلك لوفرتة في أيدي الناس، وكثرة الشعراء، وكذلك لسهولة نقله، فقد امتدت عصور الاستشهاد به في البلاغة العربية، ولم تصل إلى حد محدد، وإنما قد يستشهد المؤلف بشعر له، أو بشعر شاعر معاصر له، يقول محمد مشبال: "إننا نقرُّ بأنَّ الشعر هو الجنس الأدبي الذي صدرت عنه معظم أصول البلاغة وسماؤها"^(١).

وقد لقيت الشواهد الشعرية البلاغية اهتماماً لم تلقه الأنواع الأخرى، من القرآن الكريم أو الشواهد النثرية، وعند رصد تلك الحركة التي صاحبت الشاهد البلاغي الشعري نلاحظ أن الشواهد الشعرية لم تلق اهتماماً من حيث دراستها إلا بعد استقرار التأليف في البلاغة العربية، فلم نجد مؤلفات درست الشواهد الشعرية البلاغية للكتب المتقدمة، من مثل البديع لابن المعتز (ت: ٢٩٦)، على وضوح المنهج البلاغي فيه، أو أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني (ت: ٤٧١) وأول كتاب بلاغي دُرِسَتْ شواهدُه الشعرية مفتاح العلوم للسكاكي (ت: ٦٢٦) وهو الكتاب الذي استقرَّ عنده التأليف في البلاغة العربية.

(١) محمد مشبال، البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغة العربي، المغرب: أفريقيا

وقد تركزت دراسة الشواهد الشعرية البلاغية على ثلاثة كتب أصول وهي
المفتاح وتلخيص المفتاح والمطول، وتبعهما الإيضاح والمختصر وحاشية
الشريف الجرجاني على المطول:

أولاً: مفتاح العلوم للسكاكي (ت: ٦٢٦)

كتاب المفتاح أقل الكتب من حيث عدد المؤلفات التي درست شواهدا،
حيث لم يدرس شواهد الشعرية إلا ثلاثة هم:

١- شرح شواهد المفتاح لكمال الدين الفارسي الفسوي (ت: ١١٤٣)^(١).

٢- شرح بيت مفتاح العلوم لجمال الدين علي بن أبي القاسم محمد
يوسف بن يوسف^(٢).

٣- الإفصاح في شرح شواهد المفتاح لإبراهيم بن عبدالرحمن اللارندوي
(ت: بعد: ١٠٠٠)^(٣).

أما سبب بداية دراسة الشواهد البلاغية من كتاب المفتاح -على تأخره-
فالذي يظهر لي أنَّ اكتمال ووضوح قواعد البلاغة العربية كانت في هذا
الكتاب، يقول ابن خلدون: "ثم لم تنزل مسائل الفن تَكْمُلُ شيئاً فشيئاً إلى أن

(١) هكذا ذكر بروكلمان، وزاد بأنه فرغ من تأليفه سنة ١٠٣٦، وتوجد منه نسخة محفوظة في
طهران (٣٢٦/٢) انظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبدالحليم النجار، ط ٥،
القاهرة: دار المعارف، ٢٥٩/٥

(٢) لم أعتز على سنة وفاته، وذكر بروكلمان مكان وجود نسخ من المخطوط في باتنة، ١/ ١٧٩
رقم (١٦٥٢)، انظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٥/ ٢٥٢.

(٣) انظر هذه الكتب في: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٥/ ٢٠٢ وما بعدها.

مَحْضَ السَّكَاكِيِّ زَيْدَتِهِ، وَهَدَّبَ مَسَائِلَهُ، وَرَتَّبَ أَبْوَابَهُ... وَأَلَفَ كِتَابَهُ الْمُسَمَّى بِ (الْمِفْتَاح) فِي النُّحُوِّ وَالتَّصْرِيفِ وَالْبَيَانِ، فَجَعَلَ هَذَا الْفَنَ مِنْ بَعْضِ أَجْزَائِهِ، وَأَخَذَهُ الْمُتَأَخَّرُونَ مِنْ كِتَابِهِ، وَلَخَّصُوا مِنْهُ أَمَّهَاتُ هِيَ الْمُتَدَاوِلَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ^(١)، ثُمَّ إِنَّ الْإِسْتِقْرَارَ الْمَعْرِفِيَّ مَدْعَاةً لِلدِّرَاسَاتِ حَوْلَ الْكِتَابِ، "فَالْعُلُومُ إِذَا تَمَّ تَكْوِينُهَا، وَوُضِعَتْ قَوَاعِدُهَا، تَمَرَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِتْرَةٌ بَعْدَ ذَلِكَ طَوِيلَةٌ أَوْ قَصِيرَةٌ لِيُشْرَحَ هَذِهِ الْقَوَاعِدُ أَوْ نَقْدُهَا، وَيَكْثُرُونَ التَّأْلِيفَ حَوْلَ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ، دُونَ أَنْ يَحَاوِلُوا وَضْعَ قَوَاعِدٍ جَدِيدَةٍ"^(٢)، وَدِرَاسَةَ الشُّوَاهِدِ دِرَاسَةً حَوْلَ الْقَاعِدَةِ. وَالتَّرْتِيبَ وَالْوُضُوحَ فِي كِتَابِ السَّكَاكِيِّ يَشْبَهُ مَا قَامَ بِهِ سَيَبُويه فِي كِتَابِهِ لِلنُّحُوِّ الْعَرَبِيِّ، فَدُرِّسَتْ شُوَاهِدُ كِتَابِ سَيَبُويه مُبَكَّرًا - بَعْدَ قَرْنٍ وَاحِدٍ مِنْ تَأْلِيفِهِ كِتَابَهُ - وَعِنْدَمَا رَأَى الْبَلَاغِيُّونَ أَنَّ عِلْمَهُمْ قَدْ اسْتَقَرَّ، وَضَمَّهُ كِتَابَ مَرْتَبٍ، وَاضْحَ الْأَبْوَابِ وَالْأَقْسَامِ، رَاحُوا يَدْرُسُونَ شُوَاهِدَهُ مُتَلَمِّسِينَ خَطَا النُّحَوِيِّينَ، وَالسَّكَاكِيِّ مَنَزَلَتَهُ بَيْنَ الْبَلَاغِيِّينَ كَمَنَزَلَةِ سَيَبُويه بَيْنَ النُّحَاةِ. أَمَّا أَنَّهُ كَانَ أَقْلَ الْكُتُبِ الَّتِي دُرِّسَتْ شُوَاهِدُهَا مِنْ حَيْثُ الْعَدَدُ، فَهَذَا يَعُودُ - بَعْدَ التَّأَمُّلِ وَالْمُقَارَنَةِ - إِلَى نَوْعِيَةِ الشُّوَاهِدِ الَّتِي ضَمَّهَا الْكِتَابُ، فَالسَّكَاكِيُّ أَكْثَرَ مِنَ الشُّوَاهِدِ الْقُرْآنِيَّةِ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ قِضِيَّةَ تَقْعِيدِ الْبَلَاغَةِ الَّتِي أُصِغَتْ بِالسَّكَاكِيِّ جَعَلَتْ الْعُلَمَاءَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الْمَنْظُورِ، حَتَّى فِي دِرَاسَتِهِ، ثُمَّ

(١) عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ خَلْدُونٍ، الْمَقْدَمَةُ، تَحْقِيقُ: عَبْدِ السَّلَامِ الشَّدَادِي، الدَّارُ الْبَيْضَاءُ: خَزَانَةُ ابْنِ

خَلْدُونٍ: بَيْتُ الْفُنُونِ وَالْعُلُومِ وَالْآدَابِ، (٢٠٠٥م)، ٣ / ٢٤٦.

(٢) مُحَمَّدٌ كَامِلٌ حَسِينٌ، فِي أَدَبِ مِصْرٍ الْفَاطِمِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ: دَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، ١٩٥٠م، ٩٣.

إنَّ حركت التّأليف والدرس من بعده اتجهت إلى التخليص والإيضاح، وهي وإن كانت مبنية عليه إلا أنّها حازت على المشهد العلمي.

ثانيًا: تلخيص المفتاح، والإيضاح لتلخيص المفتاح، للخطيب القزويني (ت: ٧٣٩).

وهما أشهر كتب البلاغة، خاصة التخليص، حيث انصبَّ التّأليف في البلاغة العربية من بعده عليه، ولم تتجاوزه، فكل مَنْ جاء بعده إما شرحه أو حشّاه عليه، أو نظمه، أو شرح شواهد، وكتاب التخليص أكثر الكتب التي اعتنى العلماء بدراسة شواهد الشعرية من حيث العدد، فمن المؤلفات التي درست شواهد ما يلي:

- ١- شرح أبيات الإيضاح لفخر الدين الخوارزمي (ت: ٧٩٢).
- ٢- معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص للشيخ عبدالرحيم بن أحمد العباسي (ت: ٩٦٣).
- ٣- التخصيص في شرح شواهد التلخيص، لبدر الدين محمد رضي الدين العزي (ت: ٩٨٤).
- ٤- التنصيص في شرح شواهد التلخيص، لوحدي الرومي (ت: ١١٢٦).
- ٥- مواهب التخصيص وفرائد التلخيص، في شرح ما انبهم من شواهد التلخيص، لمحمد بن الطيب القادري (ت: ١١٧٨).
- ٦- تحفة الأحباب، لأبي راشد إبراهيم عاطف الأناري، فرغ من تأليفه (١١٧٩هـ).

٧- حل العويص في شواهد التلخيص لمحمد بن حسن الحنفي الطرابلسي
(ت: ١٢١٨).

ثالثًا: المختصر والمطول لسعد الدين التفتازاني (ت: ٧٩٢)، وحاشية
الشريف الجرجاني على المطول (ت: ٨١٦).

يُعَدُّ كتابا العلامة سعد الدين التفتازاني (المختصر والمطول) من أشهر وأدق
الشروح التي جاءت على كتاب التلخيص، وقد أخذ مكانة عَليَّة عند علماء
البلاغة، فأخذوا يدرسون، ويضعون عليه الحواشي والتقارير، ويناقشون
مسائله، أو يشرحون شواهد، ومن الدراسات التي انصَبَّت على دراسة
شواهدهما:

١- عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر لحسين بن شهاب الدين
العاملي (ت: ١٠٧٦) ^(١).

٢- المعول في شرح شواهد المطول، لعبد علي بن ناصر الدين الحويزي
(ت: ١٠٤٦) ^(٢).

٣- شرح شواهد المطول للتفتازاني، لمعين الدين الفارسي الفسوي (ت:
١١٣٤).

٤- المعول في شرح أبيات المطول، لوحدي الرومي، (ت: ١١٢٦).

٥- العقد المكلل بشرح أبيات التلخيص والمطول، لعبدالله بن أحمد

(١) هذا الكتاب الوحيد الذي درس شواهد حاشية الشريف الجرجاني على المطول.

(٢) هذا كتاب آخر يختلف عن كتاب وحدي الرومي، ويتقارب معه في الاسم، انظر: خيرالدين

الزركلي، الأعلام، بيروت: دار الملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ٤ / ٣١.

الزبيدي (ت: ١٢١١).

وعند النظر إلى تلك المؤلفات ومناهجها نرى أنها سارت في ثلاثة اتجاهات، هي: الاتجاه البلاغي، والاتجاه الأدبي، والاتجاه اللغوي، وسنعرض لتلك الاتجاهات، وأبرز ما كُتِبَ فيها، وما ميزها:

الأول: الاتجاه البلاغي: والأصل في هذا الاتجاه أن تنصب الدراسة على الشاهد البلاغي، من حيث دراسة القضايا البلاغية التي أثارها الشاهد البلاغي، وتقويم ملاءمته للاستشهاد في المسألة المذكورة، وكذا دراسة تاريخ الشاهد في البلاغة، أو تكثيف الاستشهاد على المسألة البلاغية، ولم أجد مؤلفاً من مؤلفات دراسة الشواهد البلاغية ركّزت على تلك الجوانب، وما وجدته بعض الكتب التي درست بعض تلك القضايا، دراسة جزئية في بعض الشواهد، ومن تلك الجزئيات:

أولاً: الإشارة إلى تاريخ الشاهد: وكيفية انتظامه في سلسلة الشواهد البلاغية، وهنا نجد إشارات إلى ذلك قليلة ومتفرقة في كتب دراسة الشواهد البلاغية، فمن ذلك ما أشار إليه الطرابسي، عند قول أبي تمام:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ مَعِيَ وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَخَدِي

قال: "وأول من عاب هذا البيت على أبي تمام الأستاذ ابن العميد، فقد حكى: أنَّ الصاحب بن عباد أنشد هذه القصيدة بحضرته، فقال ابن العميد لابن عباد -عند قراءته البيت-: ما ترى فيه من العيوب؟ فقال: مقابلته المدح باللوم، وإمّا يقابل بالهجاء أو الذم، فقال: أريد غير هذا، فقال: لا أدري، فقال ابن العميد: تكرر أَمْدَحُهُ مع الجمع بين الحاء والهاء، وهما من

حروف الحلق، خارج عن حد الاعتدال، نافر كل التنافر"^(١). وإن كان هذا النقل عن مختصر السعد^(٢) إلا أنَّ في إيراده ما يوضح مسيرة الشاهد البلاغي، كما ينم عن ذوق من أسلكه في شواهد البلاغة، ولو أنَّ المؤلف حاول مثل هذا في أغلب الشواهد البلاغية التي درسها لخرج بمادة علمية أصيلة مبتكرة. ومنه -أي الإشارة إلى تاريخ الشاهد- تتبع أصل انتظام الشواهد البلاغية الشعرية في عملية الاستشهاد لدى علماء البلاغة، وإن كانت مؤلفات دراسة الشواهد البلاغية لم تتعمق في ذلك، ولو جعلت هذا هدفها الأول والأكبر من التأليف في الشواهد البلاغية الشعرية لكان أنفع وأجدي من التبحر في علوم لا تغني ولا تفيد الشاهد البلاغي، فمن ذلك حديث اللارندوي على قول بشار بن برد:

بَكْرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبَكِيرِ

قال: "وأنشد المنصف هذا البيت كما أنشده عبدالقاهر في دلائل الإعجاز للاستشهاد به على تنزيل غير السائل منزلة السائل إذا قُدِّمَ إلى غير السائل ما يُلوِّح له بالخبر، فيستشرف غير السائل للخبر استشراف المتردد الطالب؛ لأنَّ قوله: بَكْرًا صَاحِبِي... إلخ يلوِّح تلويحًا ما بالخبر، ويشعر أنَّ الفوز بالمقصود

(١) محمد بن حسن الطرابلسي، حل العويص في شواهد التلخيص، تحقيق: محمد الأمين، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٢٢هـ)، ٢٦.

(٢) انظر: سعد الدين التفتازاني، المختصر، تحقيق: عجاج عودة برغش، دمشق: دار التقوى،

هل صار محكوما عليه بالتبكير أم لا؟ فقل: إنَّ ذاك النجاح في التبكير مؤكداً، ومحكوما على الفوز بالتبكير^(١).

فهنا أشار اللاروندي إلى أنَّ عبدالقاهر هو صاحب الفضل في الاستشهاد ببيت بشار، وأنَّه أسهب القول في تبيان وجه البلاغة فيه، وأنَّ السكاكي اقتصر على وجه واحد مما ذكر عبدالقاهر، فعبداقاهر تناول البيت في ثلاثة مواضع، وشرح فيه وفصَّل أوجه بلاغية عدة، بينما السكاكي انتقى منها ما يصلح لوجه الاستشهاد عند في سياق ورود البيت^(٢)، والارنندي لم يبين اختلاف أوجه الاستشهاد بينهما، ولو فعل ذلك وفصَّل فيه لخدم الشاهد بشكل أفضل، ولكن تحسب له إشارته.

ثانياً: توضيح سياق البيت في القصيدة: وليس المقصود هنا أن يذكر القصيدة أو مطلعها، ولكن يوضح الأبيات التي قبل الشاهد؛ لما لذلك تأثير في فهم معنى البيت، وتوضيح الشاهد للمتلقى أكثر، خاصة إذا كان مفهوم البيت متعلقاً بما قبله من مثل صنيع القادري في بيت لأبي تمام مستشهداً به على الملحق بحسن التعليل، وهو التعليل المبني على الشك، وهو قوله:

كَأَنَّ السَّحَابَ الْعُرَّ عَيْبَنَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرَفًّا هُنَّ مَدَامُعُ

فذكر البيتين السابقين لهذا البيت، وهما وقوله:

(١) إبراهيم بن عبدالرحمن اللارندوي، الإفصاح في شرح شواهد المفتاح، تحقيق: محمد بن

عبدالوهاب، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٣٣هـ)، ٢٠.

(٢) أورد الجرجاني البيت في ثلاثة مواضع، انظر: عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الأعجاز، ٢٧٢،

٣١٦، ٣٢٣.

أَلَا إِنَّ صَدْرِي مِنْ عَرَامِي بَلَقُعُ عَشِيَّةَ شَافَتْنِي الدِّيَارُ الْبَلَاقُعُ
رُبِّي شَعَعْتُ رِيحُ الصَّبَا إِلَى الْغَيْثِ حَتَّى جَاءَهَا وَهُوَ
والمعنى مرتبط بهما، فالضمير في قوله: تَحْتَهَا في البيت الشاهد، إما أَنْ يعود
على: رُبِّي في مطلع البيت الثالث (رُبِّي شَعَعْتُ رِيحُ الصَّبَا بِرِيَاضِهَا) أو يعود
على: الدِّيَارُ في البيت الثاني (عَشِيَّةَ شَافَتْنِي الدِّيَارُ الْبَلَاقُعُ) وإلى كلا المعنيين
أشار السعد في مطوله، وذهب العباسي إلى المعنى الثاني^(١).

ثالثاً: تكثير الاستشهاد على النوع البلاغي: وذلك أن يدعم المؤلف
الشاهد الذي درسه بشواهد أخرى تحمل نفس النوع البلاغي في الشاهد
الأصل، وهذا الشاهد لم تذكره كتب البلاغة من قبل، وهذا الصنيع كان
ظاهراً عند العباسي أشهر من شرح شواهد التلخيص، فهو يذكر في الغالب
شواهد متعددة للشاهد الذي يشرحه، فمن ذلك قول رؤية بن العجاج
والذي استشهد به البلاغيون على القلب:

وَمَهْمَةً مُغْبَرَةً أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَؤُهُ
قال: ومن القلب قول الشاعر:
كَانَتْ فَرِيضَةً مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّيْنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

(١) انظر: محمد بن الطيب القادري، مواهب التخصيص وفرائد التلخيص، في شرح ما انبهم من
شواهد التلخيص، تحقيق: لطيفة السني، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والتعليم والثقافة -
إيسيسكو-، ٢٠١١م، ٢٣١، وانظر: سعد الدين التفتازاني، شرح تلخيص المفتاح المطول، ٨٧٨،
وانظر: عبد الرحيم العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: عبد الحميد آل عبد الله،
بيروت: عالم الكتب، ٢٠١١م، ٦٠ / ٢.

ومنه قول أبي تمام يصف قلم الممدوح:

لُعَابُ الْأَفْعَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرِي الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ

وقول الآخر:

فَدَيْتَ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمَالِي

وقول الآخر:

يَمْشِي فَيَقْعِسُ أَوْ يُكِبُّ فَيَعْتُرُ^(١)

على أنه لا يشرح الشاهد أو يوضح موطن الشاهد فيه، وعلى خطاه سار المغربي حيث لا يكاد يذكر شاهداً إلا ويدعمه بشواهد عديدة في بابه خاصة عند شرحه لشواهد علم البديع، فمثلاً يقول عند شرح بيت رشيد الدين الوطواط في الجمع مع التفريق وهو قوله:

فَوَجَّهْكَ كَالنَّارِ فِي ضَوْئِهَا وَقُلِّي كَالنَّارِ فِي حَرِّهَا
قال: "ومنه قول البحري:

وَلَمَّا التَّقِينَا وَالتَّقَا مَوْعِدُ لَنَا تَعَجَّبَ رَأْيِي الدُّرِّ مِنَّا وَلَا قِطْعُهُ
فَمِنْ جَوْهَرٍ تَجَلَّوْهُ عِنْدَ وَمِنْ لَوْلُؤٍ عِنْدَ الْحَدِيثِ
ومن ذلك ما فعله الطرابلسي عند قول قيس بن الخطيم:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُحْتَلِفٌ

(١) عبد الرحيم العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ١/ ١٥٤.

(٢) محمد بن الطيب القادري، مواهب التخصيص وفرائد التلخيص، في شرح ما انبهم من شواهد التلخيص، ١٤٤.

قال: "والشاهد فيه: ترك المسند أيضا وهو راضون... ومثله قول الشاعر:
خَلِيلِي هَلْ طَبُّ؟ فَإِنِّي وَأَنْتُمَا إِذَا لَمْ تَبُوحَا بِالْهَوَى دَنْقَانِ
بدليل أنه لا يُخْبَر عن الواحد بالمتن" (١).

وقد يقع اختلاف في رواية الشاهد، فيُروى على رواية أخرى يسقط معها
وجه الاستشهاد، فيذكرها الشارح، ويدعم النوع البلاغي بشواهد أخرى من
الشعر العربي، فمن ذلك ما صنعه وحدي الرومي عند قول الشاهد:
جَزَى رَبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بَنَ حَاتِمٍ جَزَاءَ الْكِلاِبِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلَن
قال: "وقد أنشد ذلك في القسطاس:

جَزَى اللَّهُ عَبَسًا عَبَسَ آلَ بَغِيضٍ

ولا يخفى لطفه، لكنه لا يكون شاهداً لما نحن فيه، لكن من الشاهد فيه
قول حسان بن ثابت - رضي الله تعالى عنه -:

فَلَوْ كَانَ مَجْدٌ يُحْلِلُ الدَّهْرَ وَاحِدًا مِّنَ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الْيَوْمَ

وهذا الصنيع - وهو تكثير الاستشهاد على النوع البلاغي - عُرِفَ عند علماء
النقد قبل ظهور دراسة الشواهد البلاغية، يقول ابن رشيق عن هدف تكثير
الشاهد: "وكلما كَثُرَتْ من الشواهد في باب فإِذَا أُريد بذلك تأنيس المتعلم،
وتجسيره على الأشياء الرائعة، ولأُريه كيف تصرَّف الناس في ذلك الفن، وقَبَّلوا

(١) محمد بن حسن الطرابلسي، حل العويص في شواهد التلخيص، ١١٧.

(٢) وحدي إبراهيم الرومي، المعول شرح أبيات المطول، تحقيق: عبدالقادر حسين طحلو، رسالة

دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٣٣ هـ)، ٤٠.

تلك المعاني والألفاظ" ^(١)، وهو أيضا يحتاج إلى جهد علمي كبير، خاصة إذا كان التكثيف على جودة عالية، بأنَّ وضَّح ميزة الغرض البلاغي، وهذا صنيع الإمام عبدالقاهر الجرجاني، إذ يقول: "ثم إنك تحتاج أن تستقري عدة قصائد، بل أن تُقْلِي ديوانا من الشعر، حتى تجمع منه عدة أبيات" ^(٢). وهناك نوع من التكثيف يطلق عليه تكثيف المتداول للشاهد البلاغي، بمعنى تكرار الشاهد البلاغي دونما إضافة بلاغية حوله، وأقصى ما يفعل هو الدراسة حول الشاهد، وليس دراسة الشاهد نفسه، يقول مراد عياد عن سلبية هذا الصنيع: "ومن سوء حظ البلاغة العربية أنَّها عرفت تراكما في هذا المعنى؛ وهو أن تقع اختيارات البلاغيين على بعضها البعض، فيعيد اللاحق عرض المادة المقررة بعد بتعليقاتها، فتَنَسَّدُ إمكانات الثراء، وتتوقف الاجتهادات" ^(٣).

رابعاً: الاختصار على ذكر البيت وموطن الشاهد: وهذا الصنيع من العلماء كان الهدف منه الاختصار، وأن يكون لدى القارئ فكرة عامة عن شواهد البلاغة العربية، وتحديد مواضع الاستشهاد، دون الدخول في تفاصيل القضايا البلاغية، وذكر الخلافات في ذلك، وهذا النوع مفيد للمتلقي الذي ينشد الاختصار، وحفظ متن في البلاغة متعلق بشواهد، ومن ذلك ما فعله:

(١) ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: النبوي شعلان، القاهرة: درة الغواص، ٢٠٠٠م، ٢/ ٦٧١.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الأعجاز، تحقيق: محمود شاكر، جدة: دار المدني، ط٣، ١٩٩٢م، ٨٩.

(٣) مراد بن عياد، مدونة الشواهد في التراث البلاغي، من الجاحظ إلى الجرجاني، ٢/ ٤٤٣.

إبراهيم بن عاطف الأناري في كتابه تحفة الأحباب، حيث اقتصر على ذكر الشواهد وتوضح موطن الاستشهاد، حيث يقول في مقدمة كتابه موضحاً منهجه الذي سار عليه: "أردت أن أجمع أبيات تلخيص المفتاح، وما ذكره التفتازاني في المختصر، وبعض ما في المطول، مع الاهتمام والسعي والتحري بوجودان أوائلها وأواخرها بقدر الطاقة، والبيان بمحل الاستشهاد في كل بيت بأنّ هذا مثال لهذا مثلاً؛ لتكون سهلاً على الطالبين"^(١).

ومثال ذلك ما ذكره عند شاهد مخالفة القياس اللغوي، حيث قال: "والثالث قول الراجز:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ الْوَاحِدِ الْفَرْدِ الْقَدِيمِ الْأَوَّلِ

هذا مثال للمخالفة، وهي أن تكون الكلمة على خلاف قانون مفردات الألفاظ الموضوعية، أعني على خلاف ما ثبت من الواضع نحو: الأجل، بفك الإدغام، والقياس الأجل، وهذا محلٌّ بالفصاحة في المفرد"^(٢).

خامساً: التوسع في ذكر شواهد للغرض البلاغي من شعر الشاعر: وهذا الصنيع كان قليلاً منهم، وهو جيد في بابه، حتى يُعَلِّم مسالك الشعراء في البيان، وطريقة العرب في الكلام، فإذا كثُرَ طروق أسلوب بلاغي في غرض من أغراض الشعر عند الشاعر؛ كان ذلك دليلاً على التصاق هذا النوع البلاغي بالغرض الشعري، وتوضيح ذلك ما جاء في بيت الأعشى الذي قاله يمدح قيس بن معديكرب الكندي:

(١) إبراهيم الأناري، تحفة الأحباب، مكتبة عارف حكمت، رقم الحفظ: ١٦ / ٤١٦، ١.

(٢) إبراهيم الأناري، تحفة الأحباب، مكتبة عارف حكمت، رقم الحفظ: ١٦ / ٤١٦، ٣.

هُوَ الْوَاهِبُ الْمِئَّةَ الْمُصْطَفَا ةَ إِمَّا مَخَاضَا وَإِمَّا عِشَارَا

استشهد السعد التفتازاني بالبيت قائلاً: "ثم الجنس المقصور قد يكون مطلقاً... وقد يكون جنساً مخصوصاً باعتبار تقييده بوصف أو حال أو ظرف أو مفعول أو نحو ذلك"^(١)، فوجه الاستشهاد أَنَّ تعريف المسند بلام الجنس قد يفيد القصر باعتبار معين، كما في البيت الشاهد، وعندما أورده وحدي الرومي قال عن الأعشى: "وقد أكثر من هذا النمط، ومنه:

هُوَ الْوَاهِبُ الْمِئَّةَ الْمُصْطَفَا ةَ كَالنَّخْلِ زَيْنَهَا بِالرَّجْنِ

ومنه:

الْوَاهِبُ الْمِئَّةَ الْهَجَانَ وَعَبْدَهَا عُوْذَا تُزَجِّي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا

ومنه:

الْوَاهِبُ الْمِئَّةَ الْهَجَانَ وَعَبْدَهَا قَطْنَا يُشَبِّهُهَا التَّخِيلَ الْمُكَرَّعَا

ومنه:

هُوَ الْوَاهِبُ الْمِئَّةَ الْمُصْطَفَا ةَ لَاطَ الْعُلُوقَ بِهِنَّ أَحْمَرَا

ومنه:

هُوَ الْوَاهِبُ الْمُسْمِعَاتِ الشُّرُو بَ بَيْنَ الْحَرِيرِ وَبَيْنَ الْكَثْرِ

وإلى غير ما ذكر، ثم إنَّه قد سبقه إليه بشر بن أبي حازم وأوس بن حجر^(٢).

(١) سعد الدين التفتازاني، شرح تلخيص المفتاح المطول، تحقيق: ضياء الدين عبدالغني الفالاش،

إسطنبول: دار اللباب، ٢٠٢٢م، ٣٣٢.

(٢) انظر: وحدي إبراهيم الرومي، المعول شرح أبيات المطول، ٢٦٩ وما بعدها.

الثاني: الاتجاه الأدبي: وهذا الاتجاه هو الذي طغى على دراسة الشواهد الشعرية البلاغية، ويكمن أن نَعُدَّ هذه الدراسات التي سارت في هذا الاتجاه بأنها توجَّهت إلى دراسة تاريخ الشاهد، أو ما يدور حول الشاهد، لا دراسة وجه الاستشهاد أو قضية الاستشهاد، والأخيرة هي الأولى بالدراسة، على أهمية الأولى -دراسة تاريخ الشاهد- لكن يُقدَّر قدره، فلا يُسَهَّب فيه، أو يكون هو الهدف الأول من التأليف في الشاهد البلاغي، وإن كان هو الهدف فله مواطنه من كتب الأدب وشروح الدواوين الشعرية، لا دراسة الشواهد البلاغية، وهذا الاتجاه -الاتجاه الأدبي- ظاهر في أشهر كتب دراسة الشواهد البلاغية الشعرية، وهو معاهد التنصيص في شرح شواهد التخليص، حيث ذكره مؤلفه منهجه في الكتاب؛ إذ يقول: "وفيه [أي في تلخيص المفتاح للخطيب القزويني] من الشواهد الشعرية ما يُعزى للأقدمين، وما يُنسب للمولدين، إلا أن أكثرها مجهول الأنساب، مغفول الأحساب، وربما عزاه بعض شارحي الكتاب لغير قائله، ونسبه إلى غير أبيه، إما لاشتباه في الأوزان، أو تماثل في المعاني، ولم أرَ من عمل على تلك الشواهد شرحًا يشفي الغليل أو يروي الغليل... وسلكت فيه منهج الاختصار، ومدرج الاقتصار، ونصبت على أبحر تلك الشواهد العروضية، ووضعت في كل شاهد منها ما يناسبه من نظائره الأدبية، وذكرت ترجمت قائله إلا ما لم أطلع عليه بعد التفتيش في كتب الأدب، والتَّحري والاستقصاء في الطلب"^(١).

(١) عبد الرحيم العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ١/ ١٦.

فهنا يتضح جلياً تأثير العباسي بالكتب التي درست الشواهد النحوية، فكان هدفه الأول هو عزو تلك الأبيات إلى قائلها، وهذا له أهمية في علم النحو، لأنّه على الشاهد أُسِّست قواعده، أما في البلاغة فأهميته تقل، خاصة إذا وردت تلك الشواهد في كتب متقدمي علماء الفن بل نرى أنّ أول مؤلف منهجي بلاغي - وهو كتاب البديع لابن المعتز - يستشهد بأبيات شعرية من شعره، ولا نجد من علماء الفن من انتقده فعله، وفي ادعاء العباسي أنّ الشواهد البلاغية في التلخيص أكثرها مجهول الأنساب مبالغة ظاهرة، فالشواهد في كتاب التلخيص لم تخرج - في غالبها - عن أشعار كبار الشعراء، موجودة في دواوينهم، فضلاً عن أنّها سائرة في الكتب اللغوية عموماً قبله. لذا فإنّ الإسهاب والتطويل كان مرافقاً لهذا الاتجاه، وهو ما شعر به العباسي نفسه، واضطره ذلك إلى اختصار كتابه السابق في كتاب لاحق قال في مقدمته: "فإنّ الفقير عبدالرحيم العباسي - لطف الله به في أولاه وأخراه - لما يَسَّرَ الله تعالى له إتمام تأليف الكتاب المسمى بمعاهد التنصيص على شواهد التلخيص وهَبَّتْ عليه ريح القبول في الأئمة الأعلام، وأعجبوا بما فيه في حسن الانتظام، وكتَبْتُ منه نسخ متعددة في كثيرة في الأمصار، ولم ينجحوا فيه إلى الاقتصاد والاختصار، أحب الفقير أن يختصر منه نبذة لطيفة تشتمل على زُبْد ما فيه من المحاسن، وأنّ يكون ما عُدَّ من نَمير عجائبه بالإشهاب غير آسن"^(١).

(١) عبدالرحيم العباسي، نظم الوشاح على شواهد تلخيص المفتاح، مكتبة عارف حكمت، رقم الحفظ: ٢٨٠٨، ٣.

ثم قال بعد ذلك كلمة ربما نستقي منها مناهج التأليف في الشاهد البلاغي، وقد امتدت من عصره إلى العصور التالية له، حيث يقول: "فجاء بحمد الله كتاباً مفرداً في فن الأدب، كفيلاً لمن تأمله بالعجب، وهو وإن كان من جنس الفضول، الذي ربما يستعمل، أو هو بقول الحسود داخل في قصد المهمل، فهو أمنية كان الخاطر يتمناها، وحاجة في نفس يعقوب فكرة قضائها، على أنه لا نجي من فائنة فريدة، ونكتة عن مواطنها شريدة"^(١)، فمن خلال نصه السابق نرى أنه جعل الكتاب بفن الأدب ألصق، وأنه توقع النقد المعرفي الذي سيوجه إلى الكتاب؛ لذا اعتذر في مقدمته، وقبل الشروع فيه. وفي هذا الاتجاه سار كتاب الإفصاح في شرح شواهد المفتاح للارندوي، فذكر في مقدمته هدفه من تأليف الكتاب ومنهجه الذي سار عليه، حيث قال عن سبب تأليفه الكتاب: "لأنني اطلعت على كثير من الإخوان، وجم غفير من أهل الإمعان في هذا الزمان، لا يميزون المصراع عن مصراع في البيت المصروع، حتى يظنون البيتين بيتاً واحداً في بعض القطع، ولا يصلون إلى كل ما قصده الشعراء من الصنائع الغراء، والعجائب الزهراء، فهجس في خلدي الرقيق، وورد على بالي الشفيق أن أكتب لها شرحاً وافياً على قدر القدرة ووسع الطاقة؛ ليزيل صعباتها ويكشف حجابها ومعضلاتها، ويوضح عويصاتها وعُسرتها، ويحلل عُقدها وشبهتها التي هي المودعة في ألفاظها ومعانيها وفي أوزانها ومبانيها"^(٢).

(١) عبدالرحيم العباسي، نظم الوشاح على شواهد تلخيص المفتاح، ٣.

(٢) إبراهيم بن عبدالرحمن الارندوي، الإفصاح في شرح شواهد المفتاح، ٢.

ويمكن أن نتلمس إجراءات هذا الاتجاه فيما يلي:
أولاً: الانصراف إلى ذكر القصص والأحداث الأدبية: وهذا غالب على شروح الشواهد البلاغية الشعرية، فلا نكاد نجد شرحاً إلا وقد أخذ نصبه من هذا، فمقل ومكثر، فمن ذلك ما فعله وحدي الرومي عند إيراد قوله الأعشى:

وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرُّكْبَ مُرْتَجِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

ثم قال: وكان أعشى يكثر في أشعاره من ذكر هريرة^(١)، ثم استطرد بذكر أشعار للأعشى وأخبارها الأدبية مما يتعلق بذكره لهريرة. ومن المكثرين في ذلك العباسي في معاهد التنصيص، فلا يكاد يذكر شاعراً إلا وأردفه ببعض أخباره، فمن ذلك حديث عن البحترى في أول أمره، وكيف دخل على أبي تمام^(٢)، وكاستطرد القادري عند في الحديث عن دعبل الخزاعي، فقد ذكر طرفاً من أخباره وأشعاره، فقال: "ودعبل هو ابن علي بن رزين الخزاعي، شاعر خبيث اللسان، قلّ من سلم منه من الرؤساء، سواء من أحسن إليه ومن أساء"^(٣)، ثم استطرد في ذكر أخبار له. ثانياً: ترجمة للشاعر، وذكر أهم أشعاره وقصصه، وفي هذا الباب نجد كُتُبا اهتمت بذكر ترجمة وافية للشاعر، فمن ذلك ما صنعه العباسي، فقد ترجمة

(١) وحدي إبراهيم الرومي، المعول شرح أبيات المطول، ٥٣٧.

(٢) عبدالرحيم العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ١ / ١٩٥.

(٣) محمد بن الطيب القادري، مواهب التخصيص وفرائد التلخيص، في شرح ما انبهم من شواهد التلخيص، ٥٢.

لأغلب الشعراء الذين ذكرهم، كما أنه قد يستطرد في ذكر الأخبار المتعلقة بهم، من مثل حديثه عن اختلاف الناس في عقيدة أبي العلاء المعري^(١)، وكتريجة اللارندوي لأصحاب المعلقات، فمثلاً ذكر نسب الحارث بن حلزة إلى أن وصل إلى آدم عليه السلام^(٢).

ثالثاً: شرح جميع الأشعار الواردة في الكتاب المدروس، حتى وإن لم تكن من الشواهد البلاغية، ومن هذا الصنيع ما نجده عند وحدي الرومي، حيث شرح جميع أشعار المطول، حتى الأشعار التي أوردها التفتازاني لغير الغرض البلاغي، من مدح شخصية أو الاستطراد في قضية تاريخية، كشرحه أبيات مقدمة المطول^(٣).

رابعاً: الانصراف عن موطن الاستشهاد في البيت إلى معنى البيت: فيذكر الشارح الأبيات التي جاءت على معنى الشاهد، فمثلاً بعد أن ذكر العباسي بيت الخرمي في ذكر مفعول المشيئة إذا كان غريباً وهو قوله:

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

(١) انظر: عبدالرحيم العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ١/ ١٢٤.

(٢) انظر: إبراهيم بن عبدالرحمن اللارندوي، الإفصاح في شرح شواهد المفتاح، ٣٨١.

(٣) انظر: وحدي إبراهيم الرومي، المعول شرح أبيات المطول، ٧ وما بعدها.

ثم عقد بابًا في أشعار بكاء الدم وأسهب في ذكر الأبيات، فذكر ما يزيد عن عشرين شاهدًا في هذا المعنى^(١)، وكذا عقد بابًا في وصف القلم^(٢)، وآخر في وصف المصلوب^(٣)، عند ذكر شواهد لها تعلق بهذه المعاني.

ويمتزج في هذا الاتجاه -الاتجاه الأدبي- بالاتجاه النقدي، وهو نقد بسيط، جار على نقد العلماء الأوائل، يتمثل في نقد بيت لشاعر بأنه مسبوق إلى ذلك المعنى، كصنيع العباسي عند ذكره بعض أبيات ابن الرومي، فقد ذكر لها بيتا ثم أردفه بقوله: "وقد سبق على هذا المعنى أبو تمام"^(٤) وذكر بيتين لها، إلى غير ذلك من النقد الانطباعي، بعبارات موجزة.

وهذه الاتجاه -وهو المزج بين الأدب والبلاغة انطلاقًا من دراسة الشواهد الشعرية- هي محاولة متعثرة -فيما يبدو لي- للخروج من مسألة التقعيد الذي لازم التأليف البلاغي بعد السكاكي، والحقيقة ليس العيب فيما ألفه السكاكي، ولكن العيب في التعامل مع ما ألفه السكاكي، والاتجاه العلمي الذي سار بعده، وكان مقتصرًا على التلخيص أو الشرح، وهنا جاءت هذه المحاولات التي حاولت مزج علوم اللغة العربية انطلاقًا من الشاهد البلاغي، وهي على تعثرها كانت لها لمحات جيدة لو أن التأليف ركز على بعض تلك الجزئيات، خاصة في الاتجاه البلاغي.

(١) عبد الرحيم العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ١/ ٢٠٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١/ ٣٤٩.

(٣) انظر: المرجع السابق، ١/ ٥١٤٩.

(٤) عبد الرحيم العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ١/ ١٠٣.

الثالث: الاتجاه اللغوي: وهذا الاتجاه اهتم بشرح غريب ألفاظ الأبيات، وكذا شرح المعنى العام للبيت إجمالاً، اعتماداً على المعنى المعجمي لألفاظه، وقد أخذ بطرف من الاتجاهين السابقين (الاتجاه البلاغي، والاتجاه الأدبي)، من مثل ذكر موطن الشاهد في البيت، وذكر بحر البيت أو قائله، ولكن لا يلتزم بذلك، وليس هذا هدفه من التأليف، وسار في هذا الاتجاه كتاب شرح أبيات الإيضاح لأبي بكر الخوارزمي (ت: ٧٩٢) في القرن الثامن، وقد امتاز هذا الكتاب بثلاثة أمور - إلى جانب كونه يمثل الاتجاه اللغوي -:

١- أنه أول مؤلف في دراسة الشواهد البلاغية الشعرية -فيما اطلعت عليه-.

٢- أنه جمع شواهد كتابين من كتب البلاغة، هما: مفتاح العلوم للسكاكي، والإيضاح للخطيب القزويني، قال في مقدمة كتابه: "فشرعت في كتبة تلك الحواشي... وأتبع أبيات كل باب منه ما لم يورد، ومن أبيات المفتاح؛ ليكون جامعة لفضيلتين، كافية لمؤنتين"^(١).

٣- أنه الكتاب الوحيد -فيما اطلعت عليه- دَرَسَ شواهد الإيضاح الشعرية^(٢).

(١) فخر الدين الخوارزمي، شرح أبيات الإيضاح، مكتبة جامعة أم القرى، رقم الحفظ: ١٥٨٦٧، ١.

(٢) هذه النتيجة توصلت إليه بعد بحث في كتب تراجم المؤلفين، وأُيدَ هذه النتيجة ما ذكره ضياء الدين القالشي في مقدمة تحقيقه لكتاب الإيضاح حيث قال: "ولم أقف في شرح شواهده إلا على كتاب واحد، وهو: شرح أبيات الإيضاح لفخر الدين الخوارزمي (من علماء القرن الثامن الهجري)". الإيضاح، الخطيب القزويني، تحقيق: ضياء الدين القالشي، دمشق: دار اللباب، ٢٠٢٣م، ٣٣.

وقد بيّن هدفه من تأليف الكتاب في مقدمته حين قال: "وكان قد استشهد [أي الخطيب في إيضاحه] في كل باب من أبوابه بما استشهد به عبد القاهر في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز من أبيات البلغاء من المتقدمين والمتأخرين، فَيُشَكِّل على الدخيل في العربية بُنْدٌ من ألفاظها، وَيَسْتَبْهِم على آخر من شكله شيء من معانيها، فهيء القلب أن أكتب لأبياتها على قدر القوة حواشٍ تكشف عن ألفاظها ومعانيها"^(١).

وإذا أخذنا مثالا لذلك من صنيع الخوارزمي، عند قوله المتنبي:

سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ

قال: "أوله:

وَتُسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ

البيت لأبي الطيب، أراد بالسَّبُوح فرسًا حسن الجري، في أساس البلاغة: فرس سابح وسبوح، وخيل سوايح، وارتفع سبوح على أنه فاعل تسعدني، قال الواحدي: وتعيني على تورّد غمرات الحرب فرس سبوح تشهد بكرمها خصال لها منها، أدِلَّةٌ على كرمها"^(٢).

ومن الكتب التي سارت في هذا الاتجاه وكان واضحًا فيها عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر للعالملي ذكر في مقدمة كتابه منهجه الذي سار عليه فقال: "اعلم أي التزمت في كثير من الأبيات أن أذكر الشاهد أولاً وأذكر

(١) فخر الدين الخوارزمي، شرح أبيات الإيضاح، ١.

(٢) فخر الدين الخوارزمي، شرح أبيات الإيضاح، ١.

بعده اسم ناظمه وعروضه وما قبله وما بعده إن توقف عليه، ثم أذكر اللغة والإعراب والمعنى ومحل الشاهد، ثم أشير إلى بعض ما فيه من البلاغة؛ ليكون تحريجاً للمبتدئ، وتذكرة للمنتهي، ولم ألتزم ذلك في كل الأبيات خوفاً من الإكثار والتكلف، حتى لا أكون كحاطب ليل، وطالب رحل دخيل، وربما خالفت الشراح في بعض الأماكن مصرحاً بالخلاف تارة، ومقتصرًا على ما اخترته أخرى، إذ ليس شأني شين أحد بل بيان الصواب، فتأمل الكلامين؛ يظهر لك الحق بلا مين^(١). فمن خلال استعراض خطوات منهجه يتضح لنا جلياً سيطرة الاتجاه اللغوي على مؤلفه، وعند النظر إلى تطبيقه نرى أنه جنح إلى الاختصار في شرح الشواهد.

وهذا الكتاب هو الكتاب الوحيد الذي درس شواهد حاشية الشريف الجرجاني على المطول، ومن هنا اكتسبت أهميته لتفرده، ولما هو معلوم من أن الشريف الجرجاني قد ناقش وعارض في حاشيته المطول، واعتمد في مناقشته على إيراد الشواهد في ذلك، يقول عن سبب تأليفه الكتاب: "لم أظفر لها بشرح يزيل عنها الارتباب، بل بقيت مستورة المعاني كالبدر في خلال السحاب، فحركتني الدواعي إلى حل مشكلاتها طلباً للثواب ورغبة في نفع أهل الحق من الطلاب، فكتبت ما يسر الله - سبحانه - في ذلك معرضاً عن

(١) حسين بن شهاب العاملي، عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر، جامعة هارفارد:

مكتبة هوتون، رقم الحفظ (١٧٠٣)، ١١.

الإطناب المحل، والإيجاز المحل... وأدرجت فيه ما تضمنه المختصر والحاشية الشريفة من الشواهد؛ ليكون أخرى بنظم الفوائد^(١).

ويمكن إبراز ملامح هذا الاتجاه فيما يلي:

أولاً: إعراب البيت إعراباً تفصيلياً: ومن ذلك ما صنعه اللارندوي في أغلب دراسته لشواهد المفتاح، حيث قال عند دراسة قول القطامي:

كَمَا طَيَّنْتُ بِالْفَدَنِ السَّيَاعَا

قال: "قوله: كما طينت بالفدن، الكاف حرف جر، وما مصدرية، وطينت فعل فاعل، أما الفعل فهو طين بالتشديد من طينت السطح... وأما الفاعل فهو تاء الخطاب والباء للاستعانة، متعلق بقول: طينت... قوله السيعا مفعول به لـ (طينت)"^(٢).

فالكتاب قد أسهب في المسائل النحوية، حيث يعرب البيت كلمة كلمة، ويذكر نوع الفعل إن كان لازماً أو متعدياً، وقد ذكر خطواته في التأليف في آخر كتابه حيث قال: "وأوردت أولاً البيت المستشهد به، ثم أتبعته بتسمية قائله وسببه الذي قيل لأجله، وذكر نسبه وقبيلته وعصره، وهل هو جاهلي أو مخضرمي أو إسلامي؟ بحسب استطاعتي الوقوف على ذلك على سبيل الاقتصاد لا الاقتصار، ولا الإطناب والإكثار، وكتبت قبله وبعده ومطلعه؛ لمعاونة المعنى ولا استعذابه بوصف بليغ، وباشتمال الحكم ونحوه، إن كان من القصيدة، وإلا فاكنتيت بذكر قبله وبعده، ولم أكتب القصيدة تحاشياً عن

(١) حسين بن شهاب العاملي، عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر، ١١.

(٢) إبراهيم بن عبدالرحمن اللارندوي، الإفصاح في شرح شواهد المفتاح، ٢١.

التطويل خارجاً عن التعديل، ثم أتبعها بالشرح الوافي، والكشف الكافي، لاشتماله على الفنون العربية، والعلوم الأدبية، من الصرف والنحو واللغة الوفية، والبيان والبديع والعروض والقافية"^(١).

من هذا نستنتج أنَّ أكبر هم وباعث على التأليف في الشاهد البلاغي هو: إعراب البيت إعراباً تفصيلياً، وشرح معنى البيت تفصيلياً وإجمالياً، وهذا ما صرَّح به بوضوح، الطرابلسي في مقدمة كتابه حيث قال: "ولما لم أر لشواهد [أي تلخيص المفتاح] شرحاً متكفلاً بجل ما أشكل من إعرابها، ولا وافية بكشف غرائب لغتها، وإبراز عرائس معانيها من حجابها، كان يلوح في خلدي شرح شواهد، وتقييد شوارده، وتذليل صعابه وتقريبه على طلابه"^(٢)، إضافة إلى نسبة الأبيات إلى قائلها، وذكر بحر البيت وعروضه، وهذه كلها بعيدة عن البلاغة.

ثانياً: التفصيل في المعنى اللغوي لمفردات البيت، من مثل ما أورده القادري في شرحه لشواهد التلخيص، حيث قال عند بيت الكميت:
أَخْلَامُكُمْ لِسَقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤُكُمْ تَشْفِي مِنْ
الأحلام: جمع حِلْم بالكسر الأناة والعقل، والسَّقَام كسحاب: المرض، والجهل: ضد العلم، وشافية: وصف مؤنث من الشفاء، والشفاء هو البرء من

(١) المرجع السابق، ٢٥١.

(٢) محمد بن حسن الطرابلسي، حل العويص في شواهد التلخيص، ٣.

العاهة، والدِّمَاء: جمع دم، والكَلْب بالفتح يطلق على عدة معان، والمراد هنا صياح من عضه الكَلْب^(١).

ثالثاً: تقطيع البيت عروضياً: انفرد اللاروندي في كتاب الإفصاح في شرح شواهد المفتاح بالتقطيع العروضي للبيت، وهذا الفعل لم يصنعه أحد غيره - فيما اطلعت عليه - في جميع مؤلفات اللغة، خاصة التي تدُّرس الشواهد، وهذا الصنيع إنما لجأ إليه بسبب الضعف العلمي الذي أصاب طلاب العربية في زمن تأليف الكتاب، والاستعراض العلمي الذي لا طائل منه من قِبَل المؤلفين، خاصة إذا علمنا أنَّ هذا المُؤَلِّف وُجِّه إلى طلاب أعاجم، لم ينشؤوا على اللغة وقراءة الشعر العربي، على أنَّ هذا لا يخدم الشاهد البلاغي، والأولى بهذا الصنيع كتب تعلم العروض لا كتب الشاهد البلاغي، فلو استعراضنا ما صنعه مع أول شاهد ذكره وهو قول مجنون ليلي:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ فَصَادَفَ قَلْبِي خَالِيَا فَتَمَكَّنَا

قال: "وبجره الطويل، أصله فعولن مفاعيلن فعولن أربع مرات، لكنه وهنا مقبوض العروض والضرب والابتداء، والحشو الثاني في المصراع الثاني، وذلك لأنَّه دخل على مفاعيلن في العروض والضرب، وعلى فعولن في الابتداء

(١) محمد بن الطيب القادري، مواهب التخصيص وفرائد التلخيص، في شرح ما انبهم من شواهد التلخيص، ٢٣٧.

والحشو الثاني القبض، وهو حذف الخامس الساكن، وهو النون في فعولن، والياء في مفاعيلن ههنا، فبقس فعول ومفاعلن^(١).

ثم قطع البيت عروضيًا، فقال: "فتقطيعه هكذا: أتأني: فعولن. هَوَاهَقَبْ: مفاعيلن لَ أَنْ أَعْ: فعولن. رَفَ هُوَى: مفاعيلن. وَصَادَ: فعول. فَقَلْبِي خَا: مفاعيلن. لَيْنُ فَ: فعول. تَمَكَّنَا: مفاعيلن.

ثم أردف ذلك بِذِكْرِ قافية البيت وشرحها فقال: "وقافيته من المتدارك، وهو أَنْ يكون بين الساكنين حرفان متحركان، وههنا كذلك لأنَّ بين الكاف المدغم الساكن والألف الإشباعي الساكن حرفين متحركين، وهما الكاف المدغم فيه والنون في تمكنا، ومن المطلقة، وهي ما كان رويها متحركاً لأنَّ النون في تمكنا حرف روي متحرك، ومن الموصولة، وهي ما كان بعد روي القافية حرف واحد يسمى وصلاً مثلاً منزلاً ومنزلاً ومنزلي لأنَّ الألف في (تمكنا) بعد النون نشأ من فتحها والله أعلم"^(٢)، إضافة إلى أنَّ شرح البيت كان بلغة ضعيفة معتمدة على تكلف السجع في مواضع كثيرة، وما فيها من العجمة الظاهرة، من أمثال تذكير المؤنث، أو تأنيث المذكر، إلى غير ذلك.

رابعاً: التفصيل في القضايا الصرفية والمعجمية عند دراسة الشاهد:

والقضايا الصرفية هي من أقل القضايا التي يناقشها شراح الشواهد الشعرية، وهي تكمن في بيان وزن كلمة وطريقة جمعها، أو نحو ذلك من القضايا

(١) إبراهيم بن عبد الرحمن اللارندوي، الإفصاح في شرح شواهد المفتاح، تحقيق: محمد بن

عبد الوهاب، ١٤.

(٢) المرجع السابق، ١٤.

الصرفية، من مثل ما فعل وحدي الرومي، حيث قال: "الجَفَنَاتُ —محركة—: جمع جَفْنَة بسكون، وهذا لأنَّ كل اسم على فَعْلَة إذا جُمِعَ بالألف والتاء حرَّكت عينه بالفتح كثمرات ونخلات وركعات وسجديات، كما في ذيل المغرب، إلا أن يكون ياء أو واواً فيسكن حينئذ، كما في الصحاح، نحو: جوزة وجوزات، وبيضة وبيضات، ولعله مبني على لغة هذيل لما فيه من الاختلاف كما في الشافية وغيره فليحفظ" (١).

(١) وحدي إبراهيم الرومي، المعول شرح أبيات المطول، ٥٤٣.

المبحث الثالث: شرح الشواهد البلاغية بلغات غير العربية

انفردت دراسة الشواهد البلاغية بأن شُرِّحت بغير اللغة العربية، وهذا الفعل لم أجدّه -فيما اطّلت عليه- في علم من علوم العربية، فلم تُشرَّح شواهد النحو ولا الصرف ولا غيرها من العلوم بغير اللغة العربية؛ لاختلاف العلوم في مكوناتها اللغوية، وطرق تركيب تلك المكونات، وهذا الصنيع من العلماء اقتصر على البلاغة و كان هدفه توضيح البلاغة العربية لغير الناطقين بها، وتقريبها لهم، ولم يقتصر ذلك على الأغراض البلاغية، وإنما شمل أيضًا التعرض للشعر وأوزانه، فعلم العروض ميّز الشعر العربي عن غيره من شعر اللغات الأخرى، بل إننا نجد أن كتبًا بلاغية ترجمت كلها، ولم يقتصر فيها على الشواهد الشعرية^(١).

أما اللغات التي شُرِّحت بها الشواهد البلاغية فهي اللغة العثمانية، وكانت في أوج عصر الدولة العثمانية، والفارسية، وما اطّلت عليه في هذا الباب خمسة مؤلفات - بعد جهد كبير في البحث والتنقيب - وهي:

الأول: التنقيص المنتظر في شرح أبيات التلخيص والمختصر، فرغ منه مؤلفه سنة (١١٨٤هـ)، لمصطفى بن عبد الله الحنفي (ت: ١٢٠٣هـ)، وقد قدّم له باللغة العربية شرح فيها منهجه وسبب تأليفه الكتاب، يقول

(١) مثل هذه المؤلفات لا تدخل ضمن إطار الدراسة؛ كونها لم تختص بالشاهد البلاغي، وإنما ترجمت كتبًا بلاغية كاملة، وإن كان الشاهد البلاغي جزءًا منها، ومن تلك الكتب: النفع المعول في ترجمة التلخيص والمطول، لعبد النافع الرومي (ت: ١٣٠٨)، و ترجمة للشيخ محمد بن محمد الشهير بآلتي يرمق (ت: ١٠٣٣).

فيها: "إنَّ الأبيات في التلخيص وشرحه المختصر مشكلة الصيغ معضلة المباني، متباينة المرادات، متفاوتة المعاني، مشحونة بالمزايا والاستعارات، مملوءة بالبدايع والاستعمالات، بعضها متعلق ببعض العلوم والحكايات، لا جرم أردت أن أكتب عليها شرحاً تركيًّا لحل ألفاظها ومبانيها، وكشف إعرابها ومزايها ومعانيها، فاتخذت مأخذًا لحصول هذا الخطب العظيم، والأمر الجسيم: المطول والأطول، وحاشية السيد السند، وحاشية حسن جبلي، وملا خسرو وحاشية الخطائي وشرح المالك والتنصيص والمعول للواحدي، ومعاهد التنصيص للأزهري والعباسي وشرح أبيات المفتاح لابن الخطيب محمد المزستري وشروح المفتاح وشرح أبيات الإيضاح، وبعض الكتب الكلامية والحكمة والتواريخ والأمثال واللغة"^(١).

وهنا يرى المؤلف أنَّ شواهد التلخيص والمختصر مُشكِلة في معانيها، وكذلك في وجه الاستشهاد منها، فتحتاج إلى شرح وإيضاح، والأمر فيها ليس كذلك، فالشواهد إنما تُساقُّ لتوضِّع القواعد التي استشهد لثبوتها، فيجب أن تتصف بالوضوح، وهذا ما كانت عليه شواهد التلخيص والمختصر، ثم هي لو كانت غامضة مشكلة فقد مرَّت بمرحلة زمنية كافية لحل ما انبهم وأشكل فيها، فشواهد التلخيص تناقلتها الكتب بالشرح والتعليق، وشواهد المختصر قد عَجَّتْ بها المدارس وحلقات العلم، فكتاب المختصر كان مقررًا في أغلب حلِّق المساجد في أثناء تأليف هذا الكتاب (١١٨٤هـ) ولكن هذا التأليف

(١) مصطفى بن عبدالله الحنفي، التنصيص المنتظر في شرح أبيات التلخيص والمختصر، تركيا:

المكتبة الوطنية العامة، رقم الحفظ (١٢٣٠)، ١.

عالج خللاً عند المتلقين، فلما كانت لغتهم غير العربية، وكانت العجمة غالبية عليهم، كانوا بحاجة إلى شرح تلك الأبيات، فذكر خطواته التي سار عليها، وكذلك الكتب التي اعتمد عليها في شرح تلك الشواهد، وهي الكتب البلاغية المعتمدة، فلو لم تُوضَّح تلك الكتب الشواهد لما اعتمد عليها. ثم إنَّ منهجه في الشرح الذي سار عليه كان يتجه نحو الاتجاه اللغوي، وهو أقلُّ الاتجاهات من حيث العمق المعرفي، فأقصى ما يصل إليه إعراب البيت، قال موضعاً طريقته في التأليف "فكتبت أولاً بحر كل بيت وتقطيعه، مع ما طرأ عليه من العلل والزحافات؛ اهتماماً لتصحيح ألفاظ الأبيات، ثم بيّنت قائله؛ لحصول الاعتماد على من استشهد به لدى المحاورات، ثم حررت ما اقتضاه من الإعراب واللغات والاستعمالات والضروب والمزايا والنكات والاستعارات والاشتهارات ومما يتعلق ببعض العلوم والحكايات لتكميل الإرادات ثم زبرت معناه مساساً بألفاظه على قاعدة النحاة"^(١).

فمن خلال استعراض طريقة المؤلف التي سار عليها في كتابه يتضح لنا جلياً أنَّ دراسته كانت حول الشاهد، وليست منصبة على الشاهد، وحتى الدراسة التي درست الشاهد كانت لقضايا فرعية عن عملية الاستشهاد، فدرس وزن البيت وعروضه، وإعرابه، إلى غير ذلك مما لا علاقة له بوجه الاستشهاد في البيت.

(١) مصطفى بن عبدالله الحنفي، التنقيص المنتظر في شرح أبيات التلخيص والمختصر، تركيا:

المكتبة الوطنية العامة، رقم الحفظ (١٢٣٠)، ١.

الثاني: القول الجيد في شرح أبيات التلخيص وشرحيه وحاشية السيد
 لمؤلفه: محمد ذهني (ت: ١٣٢٩هـ): وقد زاد على الكتاب الأول بأن ضمَّ
 إليه شواهد المطول وحاشية السيد، فأصبحت عدد الكتب المدروس شواهدا
 أربعة: التلخيص والمختصر والمطول وحاشية السيد عليه.
 وقد اختلف عن الكتاب السابق بأنه لم يقدم له بمقدمة عربية، وإنما بمقدمة
 عثمانية، تحدث فيها عن أهمية الشعر، وذكر العصور التي يستشهد بها، وذكر
 لمحة موجزة عن البحور الشعرية، موضحًا تفعيلات كل بحر، وقد بلغت عدد
 الشواهد التي شرحها (٦٢١) بيتًا، وقد كان منهجه في الكتاب كالتالي:
 يكتب الشاهد الشعري باللغة العربية، ثم يذكر بحره، ثم مطلع القصيدة، ثم
 يوضح سياق البيت من القصيدة، وذلك بأن يذكر البيت الذي قبله والذي
 بعده، ثم يذكر الفن البلاغي في البيت، ويختتم ذلك بذكر المعنى الإجمالي
 للبيت، وكل ذلك باللغة العثمانية، باستثناء الشعر، فقد كتبه باللغة العربية.
 ويمكن أن نضع هذا المصنف في الاتجاه الأدبي، فقد درس الشواهد البلاغية
 دراسة أدبية، ويحسب لهذا المصنف أنه نقل الأدب العربي من خلال الشواهد
 البلاغية إلى اللغة العثمانية، فيذكر أسماء الشعراء، وعصورهم، وأهم
 قصائدهم، وما امتزوا به، وقد يذكر العديد من القصص التي دارت حول
 الشاعر، أو ما امتاز به الشاعر، ولم يقتصر على شرح الشاهد فقط، وإنما
 امتد شرحه للأبيات قبله وبعده، فيشرح الألفاظ لغويا، كما صنع في بيت
 رؤية بن العجاج:

وَمُقْلَةً وَحَاجِبًا مُرَجَّجًا وَفَاجِحًا وَمَرَسِنًا مُسَرَّجًا

حيث ذكر الأبيات التي قبله وبعده، فذكر:

مَا هَاجَ أَشْجَانًا وَشَجَوًا قَدْ مِنْ طَلَلٍ كَالْأَتْحَمِيِّ أَهْجَا
أَمْسَى هَجِينَ مِنْ هَيْجَا وَاتَّخَذَتْهُ النَّائِجَاتُ مَنَاجَا
مَنَازِلُ هَيَّجَنَ مِنْ هَيْجَا مِنْ آلٍ لَيْلَى قَدْ عَفَوْنَ حِجْجَا
وَالشَّخْطُ قَطَّاعٌ رَجَاءَ مَنْ

إلى أن قال:

أَزْمَانَ أَبَدَتْ وَاضِحًا مُفْلَجَا أَغَرَّ بَرَّاقًا وَطَرَفًا أُبْرَجَا
وَمُؤَمَّلَةً وَحَاجِبًا مُرَجَّجَا وَفَاجِمًا وَمَرْسِنًا مُسَرَّجَا
وَكَفَلًا وَعَثًّا إِذَا تَرَجَّرَجَا

فقد ذكر الأبيات ثم شرح ألفاظها، ولم يقتصر على شرح ألفاظ الشاهد فقط^(١).

كما أنه في شرحه يستشهد بأبيات لإيضاح معنى البيت أو قصته، فمن ذلك ما أورده عن بيت امرئ القيس:

وَقَبْرُ حَرْبٍ فِي مَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُورَبٌ قَبْرٍ حَرْبٍ قَبْرُ
فوضح مَنْ هو حرب، في قصته مع مرداس السلمي عندما أحرقا غيضة شجر في القرية، يقال إنها كانت للجن فماتا، حيث قال مرداس في ذلك:
إِنِّي انْتَحَبْتُ لَهَا حَرْبًا وَإِخْوَتَهُ إِنِّي بِجَبَلٍ وَثِيقِ الْعَهْدِ دَسَّاسُ

(١) محمد ذهني، القول الجيد في شرح أبيات التلخيص وشرحيه وحاشية السيد، استنبول: مطبعة

باب عالي جاده سنده، ١٣٠٤هـ، ٣٠.

إِنِّي أَقْوَمُ قَبْلَ الْأَمْرِ حُجَّتَهُ كَيْمَا يُقَالُ وَلِي الْأَمْرُ مِرْدَاسُ
وقال:

وَيْلٌ لِّحَرْبٍ فَارِسًا مُطَاعِنًا مُحَالِسًا
وَيْلٌ لِّحَرْبٍ فَارِسًا إِذْ لَبِسُوا الْقَوَانِسَا
لَنَقُ تُلْنُ بِقَتْلِهِ جَحَاجَحًا عَنَابِسَا^(١)

الثالث: شرح شواهد المطول، لمحمد بن عبد الوهاب الكاشاني البندكلي^(٢)، وهذا الكتاب كان باللغة الفارسية، وقد كتب مقدمته أيضاً باللغة الفارسية، وذكر فيها الهدف من تأليفه هذا الكتاب وهو تقريب كتاب المطول للمتحدثين باللغة الفارسية، وأشار إلى أَنَّ الباعث على تأليفه عدم معرفة العجم بلغة العرب، فألَّف هذا الكتاب لتقريب معاني الأشعار المفردة، وكذلك التراكيب، فجاء الكتاب على نهج الكتابين السابقين، فيبدأ بإعراب البيت إعراباً تفصيلياً باللغة الفارسية، ثم يذكر المعنى الإجمالي للبيت، ثم يختتم حديثه عن الشاهد بذكر موطن الاستشهاد، إلا أَنَّهُ كان أكثر اختصاراً، فلا يسهب في ذكر ما تعلق بالشاهد^(٣).

(١) المرجع السابق، ٤٠.

(٢) انظر: عبدالله محمد الحبشي، جامع الشروح والخواشي، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٤م، ١/ ٦٣٢، ولم أعثر على سنة وفاته.

(٣) انظر: محمد بن عبد الوهاب البندكلي، شرح شواهد المطول، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني، رقم الحفظ (١١٧٨٩)، ١ وما بعدها.

وهذا العمل المختصر من البندكلي كان لتحقيق هدفه من الكتاب، وقد أفاد الأعاجم في تلقي الشواهد البلاغية، وقربها لهم، ولم يقدّم شيئا للشاهد البلاغي، فقد خلا كتابه من استعراض أقوال العلماء في المسائل التي أثارها الشواهد الشعرية، فضلا عن مناقشتها، فكان الكتاب مختصرا ومحدود التأثير في المجال البلاغي، ولا عيب في ذلك فأهداف الكتب تختلف، وقد أصاب المؤلف هدفه من تأليفه هذا الكتاب.

الرابع: إزالة العضل عن أشعار المطول، للمولى تراب علي (ت: ١٢٨١) وهذا الكتاب اختص بشواهد المطول دون غيره من الكتب الأخرى، وكُتب باللغة الفارسية، ولم يقدّم له المؤلف باللغة العربية، وإنما كانت مقدمته باللغة الفارسية أيضا، وهو أكثر اختصار من الكتب السابقة، ولم يزد عليها في شيء، وإنما حافظ المؤلف على هدفه من الكتاب، وهو تقريبه للأعاجم، بأخصر طريق^(١).

الخامس: شرح شواهد المطول، للميرزا محمد بن سليمان التنكابني (ت: ١٣٢٠) ولم أتمكن من الاطلاع على الكتاب، وبحسب الاطلاع على الفهارس، "يظهر من فهرس كتبه أنه فارسي" وغالب الظن أنه لن يخرج في منهجه عن الكتب السابقة.

والملاحظ في الشروح بغير العربية أنَّ أغلبها اتخذت من كتاب المطول أصلا لدراسة الشواهد الشعرية، وهذا دليل على شهرة المطول عند غير العرب،

(١) انظر: مولى تراب علي، إزالة العضل عن أشعار المطول، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، رقم الحفظ (٢٢٨٠)، ١.

كشهرته عند العرب أيضا، فقد جاءت أربعة كتب من أصل خمسة لدراسة شواهد فقط، والكتاب الرابع كان لدراسة شواهد التلخيص مع المختصر، والمختصر قريب من المطول، ولم تَطُلْ تلك الدراسات التي كانت بغير اللغة العربية مفتاح العلوم للسكاكي، ولا الكتب السابقة له.

خاتمة:

وبعد عرض دراسة الشّاهد البلاغي ومناهج العلماء في دراستها، يثار سؤال -إذا ما قورنت دراسة الشّاهد البلاغي بدراسة الشّاهد النحوي- وعلم النحو من أقرب العلوم إلى علم البلاغة من حيث منهجية التأليف، خاصة بعد استقرار البلاغة على يد السكاكي - وهو: لماذا تأخرت دراسة الشّاهد البلاغي عن التّأليف البلاغي؟ فأولى المؤلفات البلاغية المنهجية المنفصلة كانت على يد ابن المعتز (ت: ٢٩٦) في كتابه البديع، وقد انتهى من تأليف عام ٢٧٤هـ، وأول دراسة لشواهد البلاغة -فيما اطلعت عليه- كانت على يد فخر الدين الخوارزمي (ت: ٧٩٢) في كتابه شرح أبيات الإيضاح، فالفارق بين التأليف المنهجي المستقل للبلاغة ودراسة شواهدا قرابة خمسة قرون بخلاف علم النحو، فنجد أنّ شواهد سيبويه دُرِسَتْ بعد قرن واحد من تأليفه للكتاب فبدأ المبرد (ت: ٢٨٥) بدراستها، ثم توالى بعد ذلك المؤلفات التي اعتنت بشواهد الكتاب، ولعل من أسباب ذلك ما يلي:

أولاً: اختلاف نشأة العلمين (النحو والبلاغة) فعلم النحو نشأ ناضجاً في كتاب سيبويه، ولم تكن معالم أطوار نشأته واضحة، ولم تتدرج فيه المؤلفات، يقول أحمد أمين: "وتاريخ النحو في منشئه غامض كل الغموض، فإنّ نرى فجأة كتاباً ضخماً ناضجاً هو كتاب سيبويه، ولا نرى قبله ما يصح أن يكون نواة تُبَيِّن ما هو سُنَّة طبيعية من نشوء وارتقاء، وكل ما ذكره من هذا القبيل لا يشفى الغليل" (١).

(١) أحمد أمين، ضحى الإسلام، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٣، ٢ / ٢٨٥.

وهذه النشأة النَّاضجة لعلم النحو جعلت المؤلفات من بعد كتاب سيبويه تدور في فلكه، تشرحه وتفسّر غريبه، وتعيد النَّظر فيه وفي منهجه، ثم لما كان سيبويه لم يَنْسِبْ شواهد طرأت فكرة دراسة شواهد؛ وذلك لتوثيقها ونسبتها إلى قائلها، ومعرفة عصره، من هنا نشأت فكرة دراسة شواهد، والشواهد في كتاب سيبويه هي أَسُّ الكتاب، وعليها دارت منهجية التأليف وتقسيم الكتاب.

ويمكن أنْ نحصر سرعة دراسة شواهد سيبويه إلى أمرين، هما:
الأول: أنَّ سيبويه لم يصرِّح بأسماء الشعراء الذي استشهد بهم في كتابه، مما جعل العلماء بعده يدرسون شواهد، ويشرحونها، والهدف الأكبر من تلك الدراسات هي نسبة تلك الشواهد.

ثانيًا: تحقيق المسائل النحوية، سواء في قبول الشواهد أو الرد عليها، يقول عبدالسلام هارون: "المقصد الأول لشرح الشواهد هو تحقيق المسائل النحوية، واستيعاب دراستها"^(١).

أما نشأة علم البلاغة فكانت مختلفة عن نشأة علم النحو، فنشأ علم البلاغة في أطوار طبيعية، فقد نشأ في أحضان علوم شتى منها النحو نفسه، والأدب وعلوم القرآن، ثم أُفْرِدَ في مؤلفات مستقلة ومنهجية مختلفة، في كتاب البديع لابن المعتز، ثم تطورت تلك المنهجية بحسب طبيعة العصور ارتقاء في مؤلفي عبدالقاهر الجرجاني: دلائل الأعجاز وأسرار البلاغة، ولم يكن الهدف من إفراد علم البلاغة بناء القواعد وحثُّ الحدود وضبطها، وإنما أُفْرِدَ في خضم

(١) عبدالقادر البغدادي، خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب، ١/٩١، المقدمة.

القضايا النقدية، وكان الهدف إظهار بلاغة النص العربي، والصراع بين القديم والحديث في النصوص العربية.

واستمر الهدف من التأليف البلاغي كذلك، إلى أن جاء السكاكي (ت: ٦٢٦) والذي أراد من تأليفه المفتاح ضبط أبواب علم البلاغة، وهو نفس هدف علم النحو، فكان كتابه في علم البلاغة ككتاب سيويه في علم النحو، وهذا يعلل تأخر دراسة الشواهد البلاغة، وأن دراسة الشواهد انصرفت إلى الكتب البلاغية المتأخرة دون الكتب المتقدمة.

ثانيًا: اختلاف طبيعة العلمين (النحو والبلاغة) وشروط قبول الشواهد الشعرية فيهما، فمعلوم أن الشواهد النحوية بُيِّنَتْ عليها القواعد العربية؛ لذا لا بُدَّ من التأكد من صحة نسبتها إلى العرب في زمن معين، وهو زمن الاحتجاج، هذا بخلاف الشواهد البلاغية، فالأمر فيها واسع؛ لذا لم يُلتَقَتْ إلى دراستها إلا متأخراً، ثم اتجهت العناية إلى شرحها وتوضيح بلاغتها، أما العناية بالشواهد النحوي إنما كانت تنصب في المقام الأول إلى نسبته إلى قائله، ثم معرفة زمنه، ثم وجه الاستشهاد فيه، دون شرح معنى البيت أو الاهتمام بذكر سياقه.

وبعد أن استعرضت بشكل مفصل مناهج التأليف في الشاهد البلاغي بأنواعه المتعددة، أخلص إلى نتائج متعددة، هي:

- انقسم العلماء في دراسة الشواهد البلاغية القرآنية إلى قسمين، قسم أفرد مؤلفات إما لدراسة سور معينة أو آيات معينة، وآخر درس شواهد قرآنية مرتبطة بكتاب بلاغي معين.

- لم تُدرّس الشواهد البلاغية القرآنية إلا من كتاب واحد، وهو مراقي المجد لآيات السعد لأحمد بن علي المنجور (ت: ٩٩٥)، وقد جمع بين منهج المفسرين في الترتيب ومنهج البلاغيين في دراسة الآيات القرآنية.

- سارت دراسة الشواهد الشعرية البلاغية في ثلاثة اتجاهات، الاتجاه البلاغي وهو أقلها حضوراً وكان مفرقا في الكتب، والاتجاه الأدبي وهو أكثرها حضوراً، حيث طغى على مؤلفات الشواهد البلاغية الشعرية، وأخيرا الاتجاه اللغوي.

- انحصر الاتجاه البلاغي في دراسة الشواهد الشعرية البلاغية في جزئيات صغيرة، كان من أبرزها:

- الإشارة إلى تاريخ الشاهد.
- توضيح سياق البيت في القصيدة.
- تكثير الاستشهاد على النوع البلاغي.
- الاقتصار على ذكر البيت وموطن الشاهد.
- التوسع في ذكر شواهد للغرض البلاغي من شعر

الشاعر.

- أبرز الجوانب الأدبية التي دُرست في أثناء دراسة الشاهد البلاغي الشعري، هي:

- الانصراف إلى ذكر القصص والأحداث الأدبية.
- ترجمة للشاعر، وذكر أهم أشعاره وقصصه.

- شرح جميع الأشعار الواردة في الكتاب المدروس.
- الانصراف عن موطن الاستشهاد في البيت إلى معنى

البيت.

- تركّز الجانب اللغوي في أثناء دراسة الشاهد البلاغي الشعري في:

- إعراب البيت إعرابًا تفصيليًا.
- التفصيل في المعنى اللغوي لمفردات البيت.
- تقطيع البيت عروضيًا.
- التفصيل في القضايا الصرفية والمعجمية عند دراسة

الشاهد.

- أول مؤلّف دَرَسَ الشواهد البلاغية الشعرية كان في أواخر القرن الثامن الهجري على يد أبي بكر الخوارزمي (ت: ٧٩٢) في كتابه شرح أبيات الإيضاح، بعد استقرار البلاغة العربية على يد السكاكي (ت: ٦٢٦) في كتابه مفتاح العلوم، وأكثر المؤلفات التي درست الشواهد البلاغية الشعرية كانت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، وجميعها كانت في عصور الشروحات والحواشي.

- لم تُدرَسَ شواهد الكتب البلاغية المتقدمة من مثل البديع لابن المعتز، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني، مع أنها قائمة على الشواهد.

- الكتب التي دُرِسَتْ شواهدا ستة كتب بلاغية، هي - مرتبة حسب كثرة التأليف فيها-: التلخيص والإيضاح للخطيب القزويني، والمطول

والمختصر للسعد التفتازاني، ومفتاح العلوم للسكاكي، وحاشية السيد الشريف على المطول.

- عند إطلاق الشاهد في عناوين الكتب التي درست الشواهد البلاغية يكون المقصود الشاهد الشعري وليس غيره من الشواهد، أما الآيات القرآنية فعند دراستها إما أن تذكر في عنوان الكتاب، أو يُذكر لفظ آيات كما في مؤلف ابن منجور.
- أكثر أنواع الشواهد التي دُرست هي الشواهد الشعرية، ثم الشواهد القرآنية بدراسة واحدة، وأهملت دراسة الشواهد البلاغية النثرية.
- غابت الأهداف البلاغية عن دواعي التأليف في جميع كتب دراسة الشواهد البلاغية، وقد انصبت الأهداف إلى أهداف أدبية من مثل نسبة البيت على قائله، وذكر وزنه وعروضه، والإشارة على أبيات القصيدة، والأحداث التاريخية المتعلقة بالشاهد أو الشاعر أو لغوية من مثل إعراب البيت إعرابًا تفصيليًا، وذكر أوزان بعض الألفاظ، أو ذكر المعاني المعجمية لألفاظ الشاهد أو تعليمية من مثل تقريب فهم الأبيات للملقين، وهذا كان ظاهرًا في الشروح التي كانت بغير اللغة العربية.
- عند تحليل الدراسات التي تناولت الشاهد الشعري البلاغي نجد أنها دراسة حول الشاهد، وليس دراسة الشاهد نفسه.
- انفردت دراسة الشواهد البلاغية بأنواعها عن غيرها من العلوم بأمرين:
 - دراسة الشواهد القرآنية.

● دراسة الشواهد الشعرية بغير العربية.

وفي نهاية البحث أقول: هذا جهد المقل، فما كان فيه من الصواب فمن الله وحده، وما كان فيه من الخطأ والنسيان، فمني ومن الشيطان، والله أسأل أن يتقبل هذا العمل، وأن يعفو عما فيه من الزلل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب المطبوعة:

- ابن المعتز، عبدالله، البديع، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٧م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادى، الدار البيضاء: خزنة ابن خلدون: بيت الفنون والعلوم والآداب، (٢٠٠٥م).
- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، ط٥، القاهرة: دار المعارف.
- البغدادى، عبد القادر، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- بن عياد، مراد، مدونة الشواهد في التراث البلاغي، من الجاحظ إلى الجرجاني، أسسها، مقاييسها، مناهجها، وظائفها، صفاقس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- التفتازاني، سعد الدين، المختصر، تحقيق: عجاج عودة برغش، دمشق: دار التقوى، ٢٠٢١م.
- التفتازاني، سعد الدين، شرح تلخيص المفتاح المطول، تحقيق: ضياء الدين عبد الغني القالاش، اسطنبول: دار الباب، ٢٠٢٢م.
- التهانوي، محمد علي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م.

- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت: دار الجيل.
- الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، جدة: دار المدني، ط ٣، ١٩٩٢م.
- الجزري، محمد بن محمد، كفاية الأملعي في آية يا أرض ابلعي، تحقيق: نشيد حميد آل محمود، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ٢٠٠٣م.
- الحبشي، عبدالله محمد، جامع الشروح والحواشي، أبو ظبي: الجمع الثقافي، ٢٠٠٤م.
- حسين، محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٠م.
- ذهني، محمد، القول الجيد في شرح أبيات التلخيص وشرحيه وحاشية السيد، استنبول: مطبعة باب عالي جاده سنده، ١٣٠٤هـ.
- الرازي، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.
- الرازي، محمد بن عمر، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: نصرالله حاجي، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤م.
- الزبيدي، محمد بن حسن، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل، مصر: دار المعارف.
- الزركلي، خيرالدين، الأعلام، بيروت: دار الملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- الزمخشري، محمود بن عمر، إعجاز سورة الكوثر، تحقيق: حامد

- الخفاف، بيروت: دار البلاغة، ١٩٩١م.
- السكاكي، يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠١١م.
 - سيوييه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة: عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٣م.
 - العباسي، عبدالرحيم، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: عبد الحميد آل عبدالله، بيروت: عالم الكتب، ٢٠١١م.
 - القادري، محمد بن الطيب، مواهب التخصيص وفرائد التلخيص، في شرح ما انبهم من شواهد التلخيص، تحقيق: لطيفة السني، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والتعليم والثقافة، إيسيسكو، ٢٠١١م.
 - القزويني، الخطيب، الإيضاح، تحقيق: ضياء الدين القالاش، دمشق: دار اللباب، ٢٠٢٣م.
 - القزويني، محمد بن عبدالرحمن، تلخيص المفتاح، تحقيق: محمد بن علي الزعابي، المدينة المنورة: دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع، ٢٠٢٣م.
 - القيرواني، ابن رشيقي، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: النبوي شعلان، القاهرة: درة الغواص، ٢٠٠٠م.
 - مشبال، محمد، البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغة العربي، المغرب: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٧م.
 - المنجور، أحمد بن علي، مراقي المجد لآيات السعد، تحقيق: مبارك شتيوي الحبيشي، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٩م.

- النيسابوري، الحاكم، المستدرك على الصحيحين، دار التأصيل، مركز البحوث وتقنية المعلومات، ٢٠١٤م.

ثانيًا: الرسائل الجامعية والأبحاث المحكمة:

- ابن نجيم، عمر بن إبراهيم، عقد جوهر الكلام على سورة الكوثر، تحقيق: عادل بن محمد الرفاعي، الجامعة الإسلامية، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، العدد: ٦، الجزء: ١، ٢٠٢٣م.
- الدريهم، سعد بن عبدالعزيز، موقف السكاكي من الشاهد القرآني، مجلة جامعة دنقلا للبحوث العملية، مج: ٧، العدد ١٤، (٢٠١٨).
- الرومي، وحدي إبراهيم، المعول شرح أبيات المطول، تحقيق: عبدالقادر حسين طحللو، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٣٣هـ).
- الطرابلسي، محمد بن حسن، حل العويص في شواهد التلخيص، تحقيق: محمد الأمين، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٢٢هـ).
- عبدالباقي، عماد عبدالباقي، التشبيهات ورودها في استخدام اللغات، اللغة العربية والتركية أنموذجا، مجلة Drrga PARK، المجلد ٢١، العدد: ٥٢.
- العطوي، عويص بن حمود، منهج التعامل مع الشاهد البلاغي بين عبدالقاهر الجرجاني وكل من السكاكي والخطيب القزويني، جامعة أم القرى: مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها،

العدد: ٣٠، المجلد: ١٦، (٢٠٠٤).

- العوفي، حمد بن عبدالله، الشاهد البلاغي عند ابن المعتز في كتابه البديع دراسة في المنهج، مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية، المجلد الثامن، العدد (٣١)، سبتمبر ٢٠٢٢.
- اللارندوي، إبراهيم بن عبدالرحمن، الإفصاح في شرح شواهد المفتاح، تحقيق: محمد بن عبدالوهاب، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٣٣هـ).
- النقاوسي، أحمد، الروض الأزهر فيما تضمنته سورة الكوثر، من وجوه البلاغة وفنون الفصاحة والبراعة، تحقيق: عبدالله بن سليمان السعيد، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، العدد: الرابع والعشرون، الجزء: العاشر، ٢٠٢٠م.

ثالثاً: المخطوطات:

- الأناري، إبراهيم، تحفة الأحاب، مكتبة عارف حكمت، رقم الحفظ: (١٦ / ٤١٦).
- البندكلي، محمد بن عبدالوهاب، شرح شواهد المطول، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني، رقم الحفظ (١١٧٨٩).
- الحنفي، مصطفى بن عبدالله، التنصيص المنتظر في شرح أبيات التلخيص والمختصر، تركيا: المكتبة الوطنية العامة، رقم الحفظ (١٢٣٠).
- الخوارزمي، فخر الدين، شرح أبيات الإيضاح، مكتبة جامعة أم

- القرى، رقم الحفظ (١٥٨٦٧).
- العاملي، حسين بن شهاب، عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر، جامعة هارفارد: مكتبة هوتون، رقم الحفظ (١٧٠٣).
 - العباسي، عبدالرحيم، نظم الوشاح على شواهد تلخيص المفتاح، مكتبة عارف حكمت، رقم الحفظ: (٢٨٠٨).
 - مولى، تراب علي، إزالة العضل عن أشعار المطول، مكتبة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، رقم الحفظ (٢٢٨٠).

First: sources and references

- Ibn al-Mu‘tazz, Allāh, al-Badī‘, taḥqīq : Muḥammad ‘bdālmn‘m Khafājī, Bayrūt : Dār al-Jīl, 2007m.
- Ibn Khaldūn, ‘Abd-al-Raḥmān, al-muqaddimah, taḥqīq : ‘Abdussalām al-Shaddādī, al-Dār al-Bayḍā’ : Khizānat Ibn Khaldūn : Bayt al-Funūn wa-al-‘Ulūm wa-al-Ādāb, (2005m).
- Brūkilmān, Kārl, Tārīkh al-adab al-‘Arabī, tarjamat : ‘bdālḥlym al-Najjār, ṭ5, al-Qāhirah : Dār al-Ma‘ārif.
- al-Baghdādī, ‘Abd-al-Qādir, Khizānat al-adab wa-lubb lubāb Lisān al-‘Arab, taḥqīq : ‘Abdussalām Hārūn, al-Qāhirah : Maktabat al-Khānjī.
- ibn ‘Ayyād, Murād, Mudawwanat al-shawāhid fī al-Turāth al-balāghī, min al-Jāḥiẓ ilā al-Jurjānī, ususuḥā, maqāyisuhā, manāḥijuhā, wazā’ifuhā, Ṣafāqis : Kullīyat al-Ādāb wa-al-‘Ulūm al-Insānīyah.
- al-Taftāzānī, Sa‘d-al-Dīn, al-Mukhtaṣar, taḥqīq : ‘Ajjāj ‘Awdah Barghash, Dimashq : Dār al-Taqwā, 2021m.
- al-Taftāzānī, Sa‘d-al-Dīn, sharḥ Talkhīṣ al-Miftāḥ al-Muṭawwal, taḥqīq : ḍyā’aldyn ‘Abd alqālsh, Istanbūl : Dār al-Lubāb, 2022m.
- al-Tahānawī, Muḥammad ‘Alī, Kashshāf iṣṭilāḥāt al-Funūn wa-al-‘Ulūm, taḥqīq : ‘Alī Daḥrūj, Bayrūt : Maktabat Lubnān Nāshirūn, 1996m.
- al-Jāḥiẓ, ‘Amr ibn Baḥr, al-Bayān wa-al-tabyīn, taḥqīq : ‘Abdussalām Hārūn, Bayrūt : Dār al-Jīl.
- al-Jurjānī, ‘bdālqāhr, Dalā’il al-‘jāz, taḥqīq : Maḥmūd Shākir, Jiddah : Dār al-madanī, ṭ3, 1992m.
- al-Jazarī, Muḥammad ibn Muḥammad, Kifāyat al-Alma‘ī fī Āyat yā arḍ abl‘y, taḥqīq : Nashīd Ḥamīd Āl Maḥmūd, Bayrūt : Dār al-Āfāq al-Jadīdah, 2003m.
- al-Ḥabashī, Allāh Muḥammad, Jāmi‘ al-Shurūḥ wa-al-ḥawāshī, Abū Ḍaby : al-Majma‘ al-Thaqāfi, 2004m.
- Ḥusayn, Muḥammad Kāmil, fī adab Miṣr al-Fāṭimīyah, al-Qāhirah : Dār al-Fikr al-‘Arabī, 1950m.
- Dhuhni, Muḥammad, al-Qawl al-Jīd fī sharḥ abyāt al-Talkhīṣ wa-sharḥayh wa-ḥāshiyat al-Sayyid, astnābwil : Maṭba‘at Bāb ‘Ālī jādh Sandah, 1304h.
- al-Rāzī, Aḥmad ibn Fāris, Maqāyīs al-lughah, taḥqīq : ‘Abdussalām Hārūn, Bayrūt : Dār al-Fikr, 1979m.

- al-Rāzī, Muḥammad ibn ‘Umar, nihāyat al-Ījāz fī dirāyat al-i‘jāz, taḥqīq : nṣrāllh Ḥājī, Bayrūt : Dār Ṣādir, 2004m.
- al-Zubaydī, Muḥammad ibn Ḥasan, Ṭabaqāt al-naḥwīyīn wāllghwyyn, taḥqīq : Muḥammad Abū al-Faḍl, Miṣr : Dār al-Ma‘ārif.
- al-Ziriklī, khyrāldyn, al-A‘lām, Bayrūt : Dār al-Malāyīn, 15, 2002M.
- al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Umar, I‘jāz Sūrat al-Kawthar, taḥqīq : Ḥāmid al-Khaḥfāf, Bayrūt : Dār al-balāghah, 1991m.
- al-Sakkākī, Yūsuf ibn Muḥammad, Miftāḥ al-‘Ulūm, taḥqīq : ‘Abd-al-Ḥamīd Hindāwī, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 12, 2011M.
- Sībawayh, al-Kitāb, taḥqīq : ‘Abdussalām Hārūn, al-Qāhirah : ‘Ālam al-Kutub, 13, 1983m.
- al-‘Abbāsī, ‘bdālrhym, Ma‘āhid al-tanṣīṣ ‘alā shawāhid al-Talkhīṣ, taḥqīq : ‘Abd-al-Ḥamīd Āl Allāh, Bayrūt : ‘Ālam al-Kutub, 2011M.
- al-Qādirī, Muḥammad ibn al-Ṭayyib, Mawāhib al-takhṣīṣ wa-farā’id al-Talkhīṣ, fī sharḥ mā anbhū min shawāhid al-Talkhīṣ, taḥqīq : Laṭīfah al-Sunnī, Manshūrāt al-Munazzamah al-Islāmīyah lil-Tarbiyah wa-al-ta‘līm wa-al-Thaqāfah, Īsīskū, 2011M.
- al-Qazwīnī, al-Khaṭīb, al-Īdāḥ, taḥqīq : Ḍiyā’ al-Dīn alqālsh, Dimashq : Dār al-Lubāb, 2023m.
- al-Qazwīnī, Muḥammad ibn ‘Abd-al-Raḥmān, Talkhīṣ al-Miftāḥ, taḥqīq : Muḥammad ibn ‘Alī al-Za‘ābī, al-Madīnah al-Munawwarah : Dār al-Imām Muslim lil-Nashr wa-al-Tawzī’, 2023m.
- al-Qayrawānī, Ibn Rashīq, al-‘Umdah fī ṣinā‘at al-shi‘r wa-naqdih, taḥqīq : al-Nabawī Sha‘lān, al-Qāhirah : Durrat al-ghawwās, 2000M.
- Mashbāl, Muḥammad, al-balāghah wa-al-uṣūl, dirāsah fī Usus al-tafkīr al-balāghah al-‘Arabī, al-Maghrib : Afrīqiyā al-Sharq, 2007m.
- al-Manjūr, Aḥmad ibn ‘Alī, Marāqī al-Majd li-āyāt al-Sa‘d, taḥqīq : Mubārak Shutaywī al-Ḥubayshī, al-Madīnah al-Munawwarah : al-Jāmi‘ah al-Islāmīyah, 2009M.
- al-Nīsābūrī, al-Ḥākim, al-Mustadrak ‘alā al-ṣaḥīḥayn, Dār al-ta’ṣīl, Markaz al-Buḥūth wa-tiqnīyat al-ma‘lūmāt, 2014m.

Second: University theses and peer-reviewed research:

- Ibn Nujaym, 'Umar ibn Ibrāhīm, 'aqd Jawhar al-kalām 'alā Sūrat al-Kawthar, taḥqīq : 'Ādil ibn Muḥammad al-Rifā'ī, al-Jāmi'ah al-Islāmīyah, Majallat al-Jāmi'ah al-Islāmīyah lil-lughah al-'Arabīyah wa-ādābihā, al-'adad : 6, al-juz' : 1, 2023m.
- al-Durayhim, Sa'd ibn 'Abd-al-'Azīz, Mawqif al-Sakkākī min al-Shāhid al-Qur'ānī, Majallat Jāmi'at Dunqulā lil-Buḥūth al-'amalīyah, Majj : 7, al-'adad 14, (2018).
- al-Rūmī, Waḥdī Ibrāhīm, alm'wl sharḥ abyāt al-Muṭawwal, taḥqīq : 'Abd-al-Qādir Ḥusayn ṭhlw, Risālat duktūrāh, al-Jāmi'ah al-Islāmīyah, al-Madīnah al-Munawwarah, (1433h).
- al-Ṭarābulusī, Muḥammad ibn Ḥasan, ḥall al'wys fī shawāhid al-Talkhīs, taḥqīq : Muḥammad al-Amīn, Risālat mājistīr, al-Jāmi'ah al-Islāmīyah, al-Madīnah al-Munawwarah, (1422H).
- 'Abd-al-Bāqī, 'Imād 'Abd-al-Bāqī, al-Tashbihāt wrwdhā fī istikhdam al-lughāt, al-lughah al-'Arabīyah wa-al-Turkīyah anmūdhan, Majallat Drrga PARK, al-mujallad 21, al-'adad : 52.
- al-'Aṭawī, 'Uwayḍ ibn Ḥammūd, Manhaj al-ta'āmul ma'a al-Shāhid al-balāghī bayna 'bdālqāhr al-Jurjānī wa-kull min al-Sakkākī wa-al-khaṭīb al-Qazwīnī, Jāmi'at Umm al-Qurā : Majallat Jāmi'at Umm al-Qurā li-'Ulūm al-sharī'ah wa-al-lughah al-'Arabīyah wa-ādābihā, al-'adad : 30, al-mujallad : 16, (2004).
- al-'Awfī, Ḥamad ibn Allāh, al-Shāhid al-balāghī 'inda Ibn al-Mu'tazz fī kitābihi al-Badī' dirāsah fī al-manhaj, Majallat Jāmi'at al-Bāḥah lil-'Ulūm al-Insānīyah, al-mujallad al-thāmin, al-'adad (31), Sibtabir 2022.
- allārndwy, Ibrāhīm ibn 'Abd-al-Raḥmān, al-Ifṣāḥ fī sharḥ shawāhid al-Miftāḥ, taḥqīq : Muḥammad ibn 'Abd-al-Waḥhāb, Risālat mājistīr, al-Jāmi'ah al-Islāmīyah, al-Madīnah al-Munawwarah, (1433h).
- alnqāwsiy, Aḥmad, al-Rawḍ al-Azhar fīmā taḍammanat'hu Sūrat al-Kawthar, min Wujūh al-balāghah wa-funūn al-faṣāḥah wālbrā'h, taḥqīq : Allāh ibn Sulaymān al-Sa'īd, Jāmi'at al-Azhar, Ḥawlīyat Kullīyat al-lughah al-'Arabīyah banīn bjrjā, al-'adad : al-rābi' wa-al-'ishrūn, al-juz' : al-'āshir, 2020m.

Third: Manuscripts:

- al'nāry, Ibrāhīm, Tuḥfat al-aḥbāb, Maktabat 'Ārif Ḥikmat, raqm al-ḥifz : (16/416).

- al-bndkly, Muḥammad ibn ‘Abd-al-Wahhāb, sharḥ shawāhid al-Muṭawwal, Waqfiyat al-Amīr Ghāzī lil-Fikr al-Qur’ānī, raqm al-ḥifz (11789).
- al-Ḥanafī, Muṣṭafā ibn Allāh, al-tanṣīṣ al-muntazar fī sharḥ abyāt al-Talkhīṣ wa-al-mukhtaṣar, Turkiyā : al-Maktabah al-Waṭanīyah al-‘Āmmah, raqm al-ḥifz (1230).
- al-Khuwārizmī, Fakhr al-Dīn, sharḥ abyāt al-Īdāḥ, Maktabat Jāmi‘at Umm al-Qurā, raqm al-ḥifz (15867).
- al-‘Āmilī, Ḥusayn ibn Shihāb, ‘Uqūd al-Durar fī ḥall abyāt al-Muṭawwal wa-al-mukhtaṣar, Jāmi‘at hārfārd : Maktabat hwtwn, raqm al-ḥifz (1703).
- al-‘Abbāsī, ‘bdālrḥym, nazm al-Wishāḥ ‘alā shawāhid Talkhīṣ al-Miftāḥ, Maktabat ‘Ārif Ḥikmat, raqm al-ḥifz : (2808).
- Mawlā, Turāb ‘Alī, Izālat al-‘aḍal ‘an ash‘ār al-Muṭawwal, Maktabat Jāmi‘at Umm al-Qurā, Makkah al-Mukarramah, raqm al-ḥifz (2280).

**سرد سيرة الذات في الترجمة الأدبية
قلائد العقيان للفتح بن خاقان أنموذجاً**

د. ياسر بن غازي الطيب

**أستاذ مساعد، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية والدراسات
الإنسانية، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية.**





سرد سيرة الذات في الترجمة الأدبية قلائد العقيان للفتح بن خاقان أنموذجاً.

د. ياسر بن غازي الطيب

أستاذ مساعد، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤٥/٩/٦ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤٤٦/٣/٢٦ هـ

ملخص البحث

عُني هذا البحث بتتبع البعد السردى في مصدر تراجمي قيم، وهو كتاب قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لمؤلفه الفتح بن خاقان. ترجم الفتح لعدد من أعلام الأندلس المعاصرين له، ووضعهم في طبقات اجتماعية، مراوفاً في أثناء ذلك بين سرد سيرة الغير في الترجمة، وسرد سيرته الذاتية وهو يحكي شطراً من حياته مع من يترجمهم، وقد تتبع البحث هذا التداخل مستحضراً طبيعة تأليف التراجم الأدبية التراثية، وحللها لاستظهار العلاقات السردية، وانبثاقها من العلاقات الاجتماعية، ومدى اشتغال الفتح بتدوين سيرته الذاتية وهو يضع الطبقات ويصف الجماعات، ويورد تجاربه وموقفه منها، وقد توصل البحث إلى نتائج سردية ولغوية وموضوعية على مستوى المترجم، والترجمة، والمترجم، والمتراجم له تسهم في الكشف عن تقنيات تدوين السيرة في تراث الأدب العربي.

الكلمات المفتاحية: قلائد العقيان، الفتح بن خاقان، سيرة الغير، سيرة الذات، الترجمة الأدبية.

A Case Study of Al-Fatḥ bin Khāqān's Book Qalā'id Al-'iqyān as an Example of a Literary Biography

Dr. Yasir Ghazi Altayeb

Assistant Professor, Department of Literature and Rhetoric, College of Arabic
Language and Human Studies, Islamic University in Madinah, Kingdom of
Saudi Arabia

Abstract

The research focused on analyzing the narrative elements found in a significant biographical work, specifically Qalā'id Al-'iqyān and Maḥāsin al-a'yān, by Fat-ḥ bin Khāqān. Bin Khāqān delved into narrating the life stories of various notable Andalusian literary figures, placing them in different social contexts. Throughout the text, he intertwined his own life story alongside those he was narrating, offering a unique perspective on traditional literary biography practices .

The study explored the connections between narratives, the depiction of social dynamics. It also explores how the biographer incorporated his personal experiences, beliefs and viewpoints into the classification of social classes and depiction of various groups. The conclusion sheds light on the narrative, linguistic, and objective aspects of the biographies, autobiographer himself, and the individuals involved, contributing to a deeper understanding of recording biography in Arabic literary heritage.

Keywords: Qalā'id Al-'iqyān, Fat-ḥ bin Khāqān, biography, autobiography, literary biography

يتناول البحث حضور السيرة الغيرية، والتباسها مع كتابة الذات، وجماليات الخطاب التاريخي التراجمي، وانطباق مبادئ الكتابة السيرية عليه، واختار البحث كتاب قلائد العقيان من مشروع الفتح التراجمي، متوخياً الكشف عن محاولة الفتح في تأريخ السيرة الغيرية، وتفسير أدواتها من خلال معرفة تمكننا من النظر إليها من زاوية مختلفة، فالمعالجة التي ينتهجها البحث تأمل أن تثري النص القديم وتبين قابليته، وحياته الممتدة، مع الوعي بطبيعة التأليف القديم، ومدى تداخل الجنس الأدبي فيه، والتباسه، والبحث هنا لا يقرر هوية جديدة للنص، ولكنه يستظهر جانباً من جوانبه.

تظهر أهمية هذا البحث في استظهار البعد الفني في التراجم التاريخية التي توفر الجانب السير غيري، وصورة الآخر/الغير المختلف عن الذات/الأنا، التي تحدد ما بين الخطاب التاريخي والأدبي في كتابة الترجمة، وبخاصة في أنموذج الفتح الذي صار علماً عليه، فترجمة الفتح تمتح من الذاكرة الجماعية الأندلسية، وتنقل تصور المجتمع الأندلسي عن الغير بمستوياته المختلفة، لاسيما وأن تراجم الفتح أكثر جرأة من تراجم معاصريه كما نبه السابقون، وقد ظهر أثرها فيمن ترجم بعده. إضافة إلى ما سبق فإن الفتح ترجم ذاته، وكتب سيرته بطريقة مباشرة وغير مباشرة، فأصبح سرد الفتح سرداً مدمجاً: سرد الغير، وسرد الذات.

يتتبع البحث النوع الأدبي، وديناميكيته، مما يستلزم النظر إلى مقومات الجنس الأدبي وتوافرها في النص ومدى تداخلها مع غيرها، وقد اعتمد تحليل النظام السردى المتحقق في ترجمة الفتح بن خاقان التي تعد عملاً رئيساً في وضع تراجم الفتح ضمن فن السيرة. وخضعت دراسة المترجم لمقولات تاريخية وثقافية تسهم في الكشف عن ملامح الغير/الذات عند الفتح. وقد وجهت مسار البحث أسئلة هي: كيف جاءت

سيرة الغير نصًّا سرديًّا؟ كيف شكل الفتح بن خاقان الغير؟ ما علاقة كتابة الغير بكتابة الذات بوصفها سيرة؟

يمكن الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال تقسيم البحث إلى تمهيد وثلاثة

مباحث:

- المبحث الأول: البعد السردي في سيرة الغير.
- المبحث الثاني: سرد الآخر.
- المبحث الثالث: سرد الذات عند سرد الغير. ثم الخاتمة وأهم النتائج.

تمهيد

عرف فن السيرة العربي أشكلاً للسير منها: التراجم، والسير الموضوعية، والسير الذاتية^(١)، تكتب التراجم والسيرة الموضوعية عن الغير، الأولى موجزة والأخرى مفصلة، وسيرة الغير هي الشق الآخر من سيرة الذات، ففي كتابة الذات يتحد المؤلف مع الراوي والشخصية الرئيسة، وفي كتابة الغير يعرض المؤلف شخصاً غيراً، هذا الغير هو آخر مختلف عن الذات.

ظهر تدوين السيرة الغيرية العربية في زمن أسبق من السيرة الذاتية، ذلك أن السيرة الغيرية ناجمة عن التراجم التراثية التي تقوم على عدالة الشخص في البعد الأخلاقي، ضمن منظومة الترجمة الملزمة بشخصية مشهورة، تنظم في سلك آخرين ممن يترجم لهم ويجمعهم المكان أو العلم أو المهنة أو غير ذلك مما ينظمهم. وهي قائمة على نظام الجمع، وأركانها المولد والنشأة والأخبار والأخلاق ثم الوفاة.

ظهر الاتجاه لترجمة الأدباء مع بدايات تدوين الأدب يقول أحمد أمين: "وأكثر الذي نعرفه من ضروب التأليف القديم في الأدب نوعان: نوع أسس على تراجم الرجال كالأغاني ومعجم الأدباء وطبقات الشعراء وبيتمة الدهر، ونوع أسس على المختار من المنظوم والمنثور كالذي ذهب إليه الجاحظ في البيان والتبيين والكامل للمبرد والعقد الفريد لابن عبدربه"^(٢). ولم تتخلص الترجمة الأدبية من أسلوب تراجم رجال الحديث والتاريخ إلا في زمن متأخر، فهي تراجم تقليدية تضطلع بمهمة الإفادة عن الأشخاص والتعريف بهم بما هو متوفر لدى أهل الصنعة، ظهر هذا عند رجال

(١) ينظر: إبراهيم، عبدالله، السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص ١٣٠.

(٢) أمين، أحمد، تراجم الرجال في الأدب العربي، مصر: مجلة الثقافة، ع ٤٠، أكتوبر ١٩٣٩م، ص ١٣.

علوم القرآن والحديث إذ دعتهم الحاجة إلى توضيح سلسلة الأشخاص من أجل بيان ما حققه الرجال من تقدم في علمهم ومدى ما يتسمون به من وثوقية، وظهرت معها الحاجة إلى طبقات تترجم للأعلام في علم واحد وفن واحد مثل طبقات الشعراء والنحويين والقضاة وغيرهم.

وقد ظل مفهوم السيرة الغيرية مرتبطاً بمفهوم الترجمة ببعدها التاريخي، فابن خلكان يورد ترجمة ابن شداد لصلاح الدين الأيوبي بلفظ سيرة، وعندما يعرج إلى ما كتبه عن السلطان صلاح الدين يقول: "ثم ذكرتها في ترجمة صلاح الدين يوسف بن أيوب فتطلب هناك..."^(١)، فالترجمة صورة من صور كتابة سيرة الغير^(٢).

بعد السيرة الغيرية/الذاتية في تراجم الفتح بن خاقان:

الفتح بن خاقان:

هو الفتح بن محمد بن عبيدالله بن خاقان القيسي، أبو نصر، أديب وكاتب ومؤرخ ولد ونشأ في إشبيلية وإليها يُنسب، وكان كثير الأسفار والرحلات، وصفه ابن خلكان بقوله: "خليع العذار في دنياه لكن كلامه في تواليقه كالسحر الحلال والماء الزلال"، كان ابن خاقان موضع جدل في عصره، وقد مات في ظروف غامضة، وصاحب موته عدة قصص أشهرها أنه مات ذبيحاً في فندق بمدينة مراكش ليلة عيد الفطر من سنة ٥٢٨هـ، بأمر من علي بن يوسف بن تاشفين، وللفتح مصنفات

(١) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ١٤١/٥.

(٢) الغامدي، صالح معيض، كتابة الذات-دراسات في السيرة الذاتية، بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص ٣٥.

عديدة أهمها قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ومطمح الأنفس ومسرح التأس في ملح أهل الأندلس، وترجمة ابن السيد البطليوسي^(١).

قلائد العقيان ومحاسن الأعيان:

يعد كتاب قلائد العقيان من النوع الأول من ضروب التأليف القديم في الأدب، ولئن كتبت السيرة العربية عن الغير في التراجم الموجزة، والتراجم المستفيضة (السيرة الموضوعية)، فإن الفتح أفاض في بعض تراجمه وأوجز في بعضها، وما كتبه الفتح يستقر في بقعة واضحة بين التراجم والسيرة الموضوعية.

سُبق الفتح بسلسلة من التراجم الأندلسية مثل جذوة المقتبس للحميدي، وبغية الملتبس للضيبي والصلة لابن بشكوال والتكملة لابن الأبار وتكملة التكملة، وقد أخذت هذه السلسلة اعتبارها من استدراكها فهي عمل ممتد يتممه اللاحق في زمنه، لأن الهدف منها: (تقييد اللحظة التاريخية)، وقد اشتدت المنافسة في القرنين الخامس والسادس بين الفتح بن خاقان وابن بسام في صنع الخطاب التاريخي، فتفوق ابن بسام باهتمامه بالبعد التاريخي، وتفوق الفتح بخطاب ذي بعد أدبي. وقد حاولت التجريبتان تقريب ما بين التاريخي والأدبي في السيرة، وجاءت فيما بينهما لتحل إشكال الجمود التاريخي، مألوفة فراغاته وصراعاته بالملتقي ذاته، وتستجيب لمنظور جديد، لا يغير الحقيقة التاريخية، وإنما يشرحها ويؤهلها والأهم من هذا أنها عند الفتح محاولة لإنقاذ الأدب بأدوات الأدب نفسه كما ألح على ذلك في مقدمته.

(١) ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م،

دون الفتح في كتابه السيرة والتاريخ للملوك والأمراء والوزراء والكتاب البلغاء وأعيان القضاة والفقهاء والعلماء ونبهاء الأدباء، من أهل الأندلس المعاصرين له، وقسمهم على أربع طبقات: الملوك والأمراء، ثم الوزراء والكتاب البلغاء، ثم أعيان القضاة والفقهاء والعلماء، ثم نبهاء الأدباء، وقد بلغ عدد الترجمات ثمان وسبعين ترجمة. بيّن الفتح بن خاقان في مقدمة القلائد والمطمح أن شخصيات مرموقة وراء تأليفهما؛ فإنه توجه بالقلائد - برغبة ذاتية - إلى إبراهيم بن يوسف بن تاشفين: "رأيت أن أخدم مجلسه العالي بزف الكتاب إليه"^(١)، وفي المطمح فإن رغبة خالصة من الوزير أبي العاص حكم بن الوليد حثته أن يؤلفه، ومع ذلك يُظهر الفتح ذاتيته حين يقول إن النشاط واثاه للاستجابة لطلب الوزير فنفذ ما رغب به لإسعافه^(٢) فهي رغبة الوزير التي وافقت نشاطاً عند الفتح، ثم رجع ليخبر أن هذا الكتاب سيبقى فخرًا للأندلسيين إن احتاجوا إلى مفاخرة الآخرين. يمكن تفهم محاولة الفتح بن خاقان في قلائده، وكذلك ابن بسام في ذخيرته، في إذاعة التفرد الأندلسي الذي يواجه مقولة المشاركة عن كتاب العقد الفريد لابن عبدبره: "هذه بضاعتنا ردت إلينا".

تتماز تراجم الفتح على تراجم من تقدمه بميزة الكتابة الأدبية، فعمله لا يتوقف على الترجمة للأشخاص، بل أسلوب تقديمها بدءًا من اللغة وانتهاء بمكونات الشخصية التاريخية، وصراعاتها النفسية والخارجية، وهي تنبذ الإسناد في الغالب الأعم، وتحقق فيها شخصية المؤلف، وتحررها في اختيار المترجم، وتتخلص من

(١) ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن عبيدالله، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسين خربوش، إربد: الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ٤٧.

(٢) ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن عبيدالله، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٤٨.

المنظور التاريخي المتمحور حول الأحداث والغايات العقدية والأخلاقية كما وردت في القرآن والسنة وقصص السابقين، ثم الغايات العلمية كما في الطبقات والجرح والتعديل، وتحتفي بالمنجز النثري والشعري الذي يؤكد الفردية الأندلسية.

الذات والغير:

يعد الحديث عن الغير بطريقة ما حديثًا عن الذات، وتنهل الذاكرة في الحديث عن الغير، والحديث عن الذات من ذاكرة انتقائية، فالأولى تتوخى الأثر، والثانية يصعب عليها قول الحقائق كاملة. ودور الذاكرة مهم في تمييز ما بين السيرة الغيرية والذاتية، وهو ما وضعه جورج ماي عند تفريقه بينهما من ثلاث جهات: دور الموت، ودور الذاكرة، ودور ترتيب المادة^(١)، وفي آليات استحضارهما؛ إذ تنطلق في الذات من الداخل إلى الخارج، وفي الغير من الخارج إلى الداخل^(٢).

يسهم تحديد لوجون لمفاهيم السيرة الذاتية في استيضاح ملامح السيرة الغيرية عند الفتح، فقد وضع لوجون حدًا للسيرة الذاتية، يشتمل العناصر الآتية^(٣):

١. شكل اللغة: حكي، نثري.

٢. الموضوع المطروق: حياة فردية، تاريخ شخصية معينة.

٣. وضعية المؤلف: تطابق المؤلف والمؤلف والسارد.

(١) ينظر: ماي، جورج، السيرة الذاتية، تعريب: محمد القاضي وعبدالله صوله، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ط ٢٠١٧م، ص ٢٤٥.

(٢) ينظر: عباس، إحسان، فن السيرة، بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ١٢.

(٣) ينظر: لوجون، فيليب، السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة: عمر حلي، بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ٢٢.

٤. وضعية السارد: تطابق السارد والشخصية الرئيسة، المنظور الاستعادي للحكي.

يظهر من كلام لوجون أن ثمة عناصر تمثل الحد بين السيرة الذاتية والغيرية، فانعدام التطابق بين المؤلف والسارد، وبين السارد والشخصية الرئيسة لا يجعلها سيرة ذاتية: "فالتطابق إما أن يكون أو لا يكون، لا وجود لدرجة ممكنة، وكل شك يقود إلى نتيجة سلبية"^(١)، وهذا التطابق المنعدم في السيرة الغيرية دفع شكري المبخوت إلى جعله الحد الذي يسقطها من مفهوم السيرة الذاتية: "يقعد انعدام التطابق بين الراوي والشخصية الرئيسة بالسيرة الغيرية عن أن تكون سيرة ذاتية"^(٢) على أن ذلك يفيد في وضع ملامح مميزة للسيرة الغيرية بعد تثبيت الصفة السالبة، فتكون السيرة الغيرية واجبة عدم التطابق بين الشخصية الرئيسة والسارد، ويضاف إليها بقية الحدود المتعلقة بشكل اللغة، والموضوع المطروق وتطابق المؤلف والسارد.

وبالإفادة من لوجون يمكن تحديد السيرة الغيرية من خلال العلاقة الآتية: "المؤلف هو السارد، والشخصية تشبه النموذج"^(٣)، فالمؤلف هو الفتح، والسارد هو الفتح نفسه، والشخصية المترجم، والنموذج هو الواقع الذي يزعم الفتح أن المكتوب يشبهه، لا يطابقه، وهي تتكلم عن زاوية نظره بوصفه مؤلفا، ومع ذلك ينبغي تفهم دور السارد في تقديم النموذج لا في موقعه من الماضي، ولكن في حاضر التلفظ.

(١) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٢) المبخوت، شكري، سيرة الغائب سيرة الآتي، تونس: دار الجنوب للنشر، ط ١٩٩٢م، ص ١٦.

(٣) لوجون، السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الأدبي، ص ٥٧.

تعد كتابة الغير كتابة مرجعية، فهي تعيد صياغة التجربة من وجهة النظر الخاصة، وهي مثل أي نص مرجعي يحتوي على "الميثاق المرجعي"^(١). واستنادًا على ذلك أن نحاكم الميثاق المرجعي في السيرة الغيرية بالمعلومات الأخرى، ومدى مشابقتها للنموذج. وقد دون الفتح الميثاق في مقدمة القلائد: "أظهرت ما خفي من آثارهم، ودلت على مراتبهم في المعارف وأقدارهم، واستثبت في انتقاء ما أثبت، وانتخبت ما جلبت، وشنفت ما صنفت"^(٢)، وهذا دأبه فقد كتب في مقدمة المطمح: "بالأندلس أعلام فتنوا بسحر الكلام... ثم هووا في مهاوي المنايا... وبقيت مآثرهم الحسان غير مثبتة في ديوان، ولا مجملة في تصنيف أحد من الأعيان... وذهبت إلى إبدائها وتخليد عليها"^(٣).

(١) ينظر: لوجون، السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الأدبي، ص ٥٢.

(٢) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٤٥.

(٣) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص ٤١.

البعد السردى في سيرة الغير

يستعين كاتب السيرة بالمقومات السردية التي تجعل كتابته متسلسلة ومتصلة، وفيها يحول حكايته من وجودها الواقعي إلى آخر يركز على التخيل، ثم يقتص الأحداث، فيعين وينتقي وينسق ثم يسرد، وهو ما عمد إليه الفتح حين كتب تراجمه، تتضح سردية سيرة الغير من خلال النص المحيط، والمكونات السردية.

أ- النص المحيط:

-العنوان: توجه العناوين علاقة ابن خاقان بمن سيكتب عنه، فوضع عنوانه: (قلائد العقيان ومحاسن الأعيان) قام هذا العنوان على التوازي اللغوي والصوتي، وضعه الفتح معتدًا به كاعتداده بقلائد من الذهب الخالص^(١)، وقد صيغت بوصفها حليلة توضع حول العنق، وعطفت الفقرة الأخرى من العنوان على الأولى وهي محاسن الأعيان أي الصفات الحسنة لأشخاص معينين، ويظهر أن ما سيقدمه في كتابه هي المحاسن لا غير، لأعيان في مكان وزمان ومجتمع محددين، لن يتوقف العنوان عند هذا الحد، فهو عنوان له استمرار في عبارات غير منطوقة تتسق مع ما وضعه الفتح لموافقة السجع، تغيب هذه العبارة الموضحة لمن سيجمع بين قلائد الذهب، ومحاسن الرجال ليسبكه سوية، وهو (الفتح بن خاقان) وهكذا يكتمل العنوان وتكتمل دلالاته ونغمه. وقلائد على وزن فعائل جمع كثرة تعني أنها مجموعة من القلائد لا نهائية، ومحاسن صيغة منتهى الجموع، والمقصد غزارتها، وهي تخبر أن ثمة مساوئ لن تذكر وسيكتفى بالمحاسن عن غيرها. هذا أسلوب الفتح المعتمد في عناوين ترجماته فقد

(١) ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: البازجي وجماعة، بيروت: دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، مادة (قلد) ٣/٣٦٦، نخب من اللغويين، المعجم الوسيط، القاهرة: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية، (العقيان) ٢/٦١٨.

جاء كتابه الآخر المطمح بعد القلائد استدراكًا وتوسعًا، ويظهر أن ما كان باسم الجمع قلائد لا نهائية تحول في المطمح إلى مفرد، وما أخذ صفة الحكم في أنه ذهب، تحول إلى لغة أقل تزويغًا فالنفوس تطمح إليه والأنظار ترنو إليه، وتتجمهر أمام صانع العرض الذي سيخلق مسرحًا للتأنس وهذا الوزن على مفعّل بفتح العين اسم للمكان، وهي دعوى من الفتح للإقبال على معرض الفن والأنس، وستكون مادته هي ملح أهل الأندلس، ليس أعيانها فقط كما في القلائد، وتدور أخباره في فلك جمع الكثرة، المحاسن هناك، والملح هنا، وهي على وزن فُعَل وهذا بحذ ذاته خطاب ضمني يقول لآخر غائب، معاصر أو لاحق: إن الأندلسيين لهم ملح ومحاسن وهي عديدة لا تُحصى، وقد قال في مقدمته المقتضبة إنه ألف كتابه ليجعله ذخراً للأندلسيين يساجلون به أهل العراق، بل سيحاسن بذلك الشمس وما تطلع عليه من المشرق^(١).

- الترجمة حسب الطبقة: قسم الفتح كتابه إلى عدة أقسام ليترجم بعدها للغير، واختار لكل قسم اسمًا خاصًا به، بما يرادف مفهوم الطبقة، وبنى طبقاته على المكانة الاجتماعية، فجاءت القلائد على هذا النحو:

- محاسن الرؤساء وأبنائهم، ودرج أنموذجات من مستغرب أنبائهم، وهم ٦ رجال.

- غرر عليّة الوزراء وفقر الكتاب والبلغاء، وهم ٣٤ رجلاً.

- لمع أعلام القضاة والفقهاء، وملح أعلام العلماء، ١٨ رجلاً.

- بدائع نبهاء الأدباء وروائع فحول الشعراء، ٢٠ رجلاً.

(١) ينظر: ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص ١٤٩.

وشابهت قسمته في المطمح القسمة السابقة فجاءت على الآتي^(١):

- غرر الوزراء وتناسق درر الكتاب والبلغاء، وهم ١٦ رجلاً.

- محاسن أعلام العلماء وأعيان القضاء والفقهاء، وهم ١٨ رجلاً.

- محاسن الأدباء النوايع النجباء، وهم ١٤ رجلاً.

يظهر من القسمتين أنهما بُنيتا على مترجم/آخر يتميز بموقعه الاجتماعي، بما أوتي من معارف وفنون، هذا الآخر يطل على آخر غريب غير آخر المترجم، ومنها يدخل إلى عوالم أخرى تناقض الآننا ونحن وتواجه المختلف والمغاير، عبر دوائر ومستويات يفضي بعضها إلى بعض، ويتشكل أطرافها بحسب الموضع والموقف.

- من المشافهة إلى الكتابة: اعتمدت التراجم التي أوردها الفتح على جملة من الأخبار التي تكون الصورة السردية للمترجم، فالأخبار التي ينقلها الفتح تعتمد نظام الرواية التقليدي الإسنادي في حكاية الخبر، لكن الفتح في طريق تحويله النص من المشافهة إلى الكتابة يُعمل أدواته السردية في تسريع الإيقاع وإبطائه فيقول ناقلاً خبراً عن ابن السيد البطليوسي: "وأخبرني أنه حضر مع المأمون بن ذي النون طليطلة في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمح إليها المنى، ومرآها هو المقترح والمتمنى، والمأمون قد احتبى، وأفاض الحبا، والمجلس يروق كأن الشمس في أفقه، والبدر في مرفقه، والنور عبق، وعلى ماء النهر مصطحب ومغتبق، والدولاب يئن كناقاة إثر الحوار، أو ثكلى من حر الأوار، والجو قد عنبرته أنوائه والروض قد رشته أندائوه، والأسد قد فغرت أفواهها، ومجت أمواهها"^(٢). وفي أثناء الانتقال من الشفاهي إلى الكتابي يراعي الفتح ما اشترطه في مقدمته، فالتراجم متفرقة لكنها تنتظم في عقد واحد، وتحمل

(١) المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٢) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٧١٤.

ذات الوظائف التي وعد بنقلها نقلاً مختلفاً يدل على تميزه اللغوي والبلاغي يقول: "وضممتها (أي التراجم) إلى صوان يحفظها، وديوان يبيدها للعيون فتلاحظها، ليعلم أن بالأوان افتناناً، جرت له العوائق بناناً وبياناً"^(١)، وأن يحول تراجمه إلى التخييل الذي لا يضيع معه بعد الواقعة متمثلاً في الإسناد، ومراعياً موضوعية الخبر، ومؤسساً لأبعاده السردية التخيلية.

هذه المهمة معقدة، وهو ما اعترف به الفتح وهو يستحضر تحول الشفهي إلى المكتوب، ومدى التعامل مع النظرية التي تسوغ الشفاهية أمام الكتابة^(٢)، ولذا وضع مراعاته للأصول التي تحول المنطوق إلى مكتوب، وحيث إنه لا بد من الإقناع بصدق ما سيورده، وزوايا الكتابة بحضور الكاتب، وتؤكد المشافهة والمواجهة مع الناقل للخبر الصدق أو تنفيه لما يستصحب ذلك من علامات يميزها مستقبلو الخبر.

ب- مكونات السرد:

تتكون تراجم الفتح بن خاقان من الشخص الذي يترجم وهو الراوي، والذي يترجم عنه وهو المروي، والذي كُتبت التراجم له وهو المروي له.

- **المترجم/الراوي**^(٣): وهو تحول من المؤلف إلى صوت يقدم الحكاية منفصلاً عن مؤلفه، فمترجمه سارد يصف الأحداث ويقدم الشخصيات وفق منظوره الخاص، ويكشف عن نفسه حيناً ويتقنع حيناً آخر، وقد فرض سياق الخبر السردى مسافة

(١) المصدر السابق، ص ٤٤.

(٢) إبراهيم، عبدالله، السردية العربية، ص ٣٤.

(٣) ينظر: إبراهيم، عبدالله، السردية العربية، ص ١١.

الرؤية من الخلف^(١)، وظل الراوي يسرد الترجمات وفق هذا النظام دون إقامة نظام تبادلي بين الرؤية مع، والرؤية من الخارج فالتزامه الواضح بتقديم خبر يضمن تعزيز قدرته على تحمل الميثاق المرجعي، وهذه السمة العظمى في أغلب مروياته، غير أن مشاركة الراوي في أحد الأخبار تضلل بانتقال الراوي إلى نسق الرؤية مع، وسرعان ما تتحول إلى نسق الرؤية من الخلف وفي النموذج الآتي يظهر ذلك فالراوي يتحدث عن الوزير أبي محمد بن مالك ومشكلات عرضت له وموقف الأمير معه فيقول: "وخرجت بإشبيلية مشيعاً لأحد زعماء المرابطين، فألفيته معه مسايراً له في جملة من شيعه؛ فلما انصرفنا مال بنا إلى قصر أمير المسلمين الذي ينزله عند حلول إشبيلية وهو في موضع مستبدع، وكأن الحسن فيه مودع، ما شئت من نهر ينساب انسياب الأرقام..."^(٢) إلى أن يتجه الخبر إلى طمأنته حيث يطلب منه بيت شعر فحسب.

ويلاحظ إلحاح السارد على الأسلوب الموضوعي في السرد، فخبره بسيط، ولا يشرح كيف تم الخبر ولكنه يُظهر ما يوحى بإحاطته بالأحداث الخارجية ومضمرات الشخصيات فيقول في ترجمته للمتوكل وحكاية قصة مقتله: "أخبرني أحد قاتليه أنه رغب في تقديم ولديه بين يديه، ليحتسبهما حسنة تمحو بعض ذنبه... وقام المتوكل عند صرعهما، محتبلاً من لوعتهما، ليصلي وقد أفرط في ملامه، وتشطط في كلامه، واختلط افتتاحه بسلامه، فبادروه بأستهم في الصلوة، وناهشوه مناهشة الطير لقتيل الفلاة، حتى خر لا لسجود، واستلقى لغير هجود"^(٣). تتحدد في النص السابق المسافة السردية ضمن إطار الخطاب المنقول بأسلوب غير مباشر، وهذا الأسلوب

(١) جنيت، جبرار، خطاب الحكاية بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، الهيئة العامة للطباعة

الأميرية، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص ٢٠١.

(٢) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٥٠٢.

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٢.

يعتمد عليه الفتح حين يستفتح بعبارات من قبيل: أخبرني وحدثني، وهكذا يصبح التعبير أيضاً من تعبير الفتح نفسه؛ إذ يبدو التحقق من حرفية النقل عسيراً كيف وهو يستبعد الحوارات ولا يتيح لشخصياته مساحة كافية لحرية التعبير والكلمة، بل إنه أعاد صياغة ما قالوه ليتوافق مع صياغات الفتح الأخرى في ترجماته.

وقد يتكثف حضور المترجم/الراوي في أحداث القصة، أو يضطلع بدور رئيس فيها فيسرد سرداً متجانساً فيكون الراوي الشخص الأول، وتتحكم الأنا بتوجيه السرد، بالمشاركة أو المشاهدة، أو يختلف عالم السرد عن عالم الفعل فيتحول إلى سرد غير متجانس، وقد تعزز حضور هذا الشكل في الترجمة لأنه يحكي عن شخص ثالث، تحتكم هذه المراوحة إلى العلاقة بين الراوي والمترجم، فكلما كانت العلاقة التاريخية بينهما قريبة أو متصلة علا صوت السارد المتجانس، وكلما ابتعدت خفت هذا الصوت، فترجمة المتوكل على الله أبي محمد تبرز السارد عن شخص ثالث، فالمتوكل وقع له كذا، وفعل كذا، لكن الراوي يروي عن شخص آخر وهذا الآخر متجانس حيث إنه في حالة المتوكل أحد قاتليه، ووزيره ابن القبطنة، ووزيره ابن عبدون، وجليسه ابن زرقون^(١)، وفي ترجمة ابن خفاجة يظهر السارد متجانساً حيث تنتفي العلاقات الأخرى فهو يتصل به مباشرة ويتلقى منه شخصياً فيقول السارد: "بلغه أني ذكرته" و"كتب إلي معاتباً" و"حتى نشر لي ما طواه"^(٢) فالراوي لا يبتعد عن المترجم ولكنه يشاركه. إن سيطرة الراوي على خطاب الترجمة المسرود، نابع من مشاركته فيها، وهذه المشاركة قد تكون مباشرة أو غير مباشرة، بالمشاركة في أحداثها أو تبني وجهة نظر حولها. يرغب الراوي في إكساب مروياته الصدق،

(١) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ١٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٣٩.

فهو يسند في كثير من ترجماته إلى أشخاص معروفين غير مجهولين، ويذكر أسماءهم بلفظ يتواتر في جميع مروياته، وهو لفظ الإخبار "أخبرني" وهي طريقة من طرق الرواية في إسناد المنقول الذي هو خبر قد يكون سماعيًا أو كتابيًا، لكنه في كلا الحالين تعاد صياغته بطريقة تنسجم مع أسلوب الراوي.

-الترجمة/المروي^(١): وهو الانتقال من القصة إلى الخطاب، وهو متن الحكاية في صورة المبني الحكائي، المكتوب الذي ينقل من خلاله الراوي رؤيته إلى المروي له، وهي الترجمة عن الغير ويحوي المروي عدة أحداث وشخصيات ضمن الخبر الواحد، وتقوم الشخصيات على أسماء لها وجود واقعي (شخصيات مرجعية)، ويرتكز المسرود في الترجمة على شخصية رئيسة هي الشخصية المترجمة.

يركز الراوي على أهم ما يميز المترجمين، وفي أثناء ذلك يقوم بمهمته المعرفية حيث يدرج النص الشعري ضمن ترجمته، فيفتح الجنس النثري على الجنس الشعري، ويقوم الشعر بأدوار عديدة في النص الترجمي على ثلاث علاقات: إما أن يوازي النص الشعري النص النثري، أو يوضحه ويشرحه، أو يوسع من شكله السردى وهو ما يظهر في أمرين: تنشيط الصراع الدرامي عبر جنس آخر مثل الرسالة والخطبة، استيضاح معالم الشخصيات.

بني النص المروي وفق ترتيب محدد يتدرج تدرجًا واضحًا من الأحداث الأهم إلى الأقل أهمية، فالشخصيات -المؤثرة في الزمن التاريخي- تظهر عند الراوي رمزًا لصناعة الأحداث وتسلسلها، فالصوت الذي سيسمع أولاً: صوت المترجم، وستظهر الأصوات الأخرى من خلال الترجمات الأخرى اللاحقة فيكون الحدث

(١) ينظر: إبراهيم، عبدالله، السردية العربية ص ١٢.

وفق أكثر من منظور مما يسمح بتعدد الأصوات وتداخلها، فالمعتمد بن عباد يحضر في ترجمات أخرى بسرد من منظور مختلف عن ترجمته المستقلة الواردة في الكتاب.

حددت مقولات مقدمة الترجمة المرتكزات الأساسية للسرد وهو ما يذكره الفتح في مقدمة الكتاب: "واستثبت في انتقاء من أثبت، وانتخبت ما جلبت"^(١) لا يعتمد الفتح الترتيب الزمني، قدر اعتماده استدعاء الذاكرة، وهي عملية انتقائية تناسب النص الأدبي المنتخب الذي يبحث عنه، وكذلك استدعاء النص الأدبي المكونات السردية لا العكس.

-الزمان والمكان: تعتمد مكونات السرد على عدة عناصر تسهم في تقريب الرسالة بين المترجم والمترجم، ومنها الزمان والمكان ففي الزمان يصوغ الراوي ترجمة تنقل الحكاية المنطوقة إلى خطاب، فالزمن في الخطاب خطي ثابت، بينما في الحكاية يسمح بتعدد الأحداث^(٢)، يسرد الراوي ترجماته دون التفات إلى الخط الزمني، فالأحداث غير مرتبة، بلا إحالات تاريخية واضحة يُستند إليها في كثير من المرويات، وراوي الفتح لا يلتزم بالترتيب الزمني للأحداث بل يقدم ويؤخر ويذكر ويحذف. يظهر زمن الحكاية في الخبر مكوناً رئيساً لا يستطيع الراوي الاستغناء عنه فهو يذكر التاريخ والوقت وجميع الفضاءات الممكنة لإثبات صدق الخبر، ويأخذ المكان أهميته باتصاله بالزمان الذي يهتم له الراوي وبما أنه في صدد تقديم سيرة للآخرين فإن الآخر له زمان ومكان يحسم غيبيته، فالخبر غالباً يبدأ بذكر للمكان وهذا المكان يضيق بعد اتساع فهو الأندلس ثم المدينة ثم ما هو أضيق من ذلك، ويحضر المكان الأليف/والآبد، والمكان الواسع/والضيق بحسب الشخصية وامتدادها التاريخي

(١) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٤٥.

(٢) يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م، ص ٧٣.

وتأثيرها الزماني والمكاني، لكن المكان يصبح فضاء حين نرتد من خصوصية الترجمة إلى الورا إلى أن يكون النص السيري الذي كتبه الفتح هو نص مكاني بمجمله، له فضاؤه الخاص حيث هو الأندلس بمقوماتها المكانية والزمانية والبشرية، وهكذا يتخلق بين يدي الراوي أمكنة يتنقل فيها وينسج فيها حكاياته، وتتقابل فيه شخصياته رغم تباعدها في خط الترجمة وتباين مستوياتها الاجتماعية والتأثيرية، ولكنهما يلتقيان في فضاء واحد لقاء تخيليًا أو يلتقيان لقاء شكلت ملامحه اللقاء الواقعي الذي حضره الفتح أو سمع به. يقول في ترجمة أبي الحسن بن اليسع "ولما وصل لورقة، استدعى صاحب الوزارتين القائد أبا الحسن بن اليسع في ليلته"^(١)، ويقول كذلك على لسان الفقيه ابن سراج "حضر مع الوزراء والكتاب بالزهراء"^(٢)، وقد يوغل في الوصف المكاني، حين يحكي قصص من يترجم لهم من ذلك وصفه للبحيرة الكبرى التي تعد مدخلًا لخبر دخر الدولة مع المعتمد: "وهو على البحيرة الكبرى، والنجوم قد انعكست فيها تخالها زهراً، وقابلتها المجرة فسالت فيها نهرًا، وقد أرجحت نوافذ الند، وماست معاطف الرند، وحسد النسيم الروض، فوشى بأسراره وأفشى أحاديث آسه وعراره، ومشى محتالاً بين لبات النور وأزاره"^(٣)، يعتمد الراوي الدمج بين المكان والمترجم، واستظهار خصائصهما المتشابهة أو المتباينة: يقول عن حكم المعتصم: "هذا على انكماش ولايته، وقلة جبايته، فإن نظره لم يزد على شبر، ولم يجد الغمام منه على يانع ولا نضر؛ لأن أكثره منابت شبح، ومهامه فيح"^(٤).

(١) ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٦٤.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ٦٥.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ٦٢.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ١٤٧.

-الشخصيات: والشخصيات عند الفتح ذات وجود تاريخي، وهي تجعل النص قابلاً للسرد، ويستعين الفتح بتقديم شخصيته من خلال كلماتها فهو يحكي خبراً عنها ثم يورد بيتاً لها يعكس أبعادها النفسية والأخلاقية. وهي الفاعلة في الحدث، تثبت الحوار وتستقبله، وتخلق الصراع، وتتداخل الشخصية الثانوية معها في ذات الخصائص، وتتفاعل تبعاً لتحركات الشخصية الرئيسة، ويرتكز في ذلك على التبديل بين الشخصيات فجاءت على النمط الآتي:

- شخصية رئيسة تقابلها شخصية ثانوية.
- شخصية رئيسة تتحول إلى شخصية ثانوية، وتحول الشخصية الثانوية إلى رئيسة. وهنا يصبح المتحكم موقع الشخصية من السرد نفسه فالسرد للشخصية سرد لحياتها وأفعالها.

ويقدم الراوي شخصياته من خلال أسلوب مباشر يبدأ هذا منذ مطلع الترجمة التي لا تخفي المبالغة في مدح الشخص أو ذمه، أو من خلال راوٍ آخر، أو من خلال وصفها لنفسها في عبارات لها، أو بأسلوب غير مباشر وذلك من خلال تصرف الشخصيات التي تعطي انطباعاتها، وحيث يتيح لها الحرية في عرض نفسها والتعبير عن مكنونها. ويذكرها بتتبع علاقة الشخص مع عائلته وبيئته ما بين الأسرة والجماعة والقبيلة، وكيف انسجم المترجم معها إما بسخط أو رضا، مدح أو ذم.

-الحدث: قدم الراوي الحدث بعدة أنساق راوح بينها أهمها نسق التتابع حيث تروى كل قصة بأحداثها من غير أن تتداخل مع أجزاء أخرى وهذا عائد إلى مجموعة أسباب منها طبيعة الترجمة التراثية، والتركيز على اتساق الأخبار فيما بينها، وحين

يدونها فإنه لا يوردها كما وقعت في وجودها الواقعي، بل ينقلها إلى التخيل الفني، بلغة شعرية تقبل التأويل، وبناء عليه فإنه يتحكم بالحدث أيضاً فيضيف ويحذف ويقدم ويؤخر باستعمال تقانات الزمن السردية، مع المحافظة على التسلسل إذ تقول الأحداث في نهاية الأمر إلى الحدث الأهم وهو العقدة الكبرى في حياة الشخص المترجم، والراوي يتدرج في حياة الشخصية، ولا يتوقف عند الطفولة والذكريات الأولى التي يهتم بها كتاب السيرة الذاتية بل إنه يكتب الغير بناء على المنعطفات الجليلة والتوقف عند الأحداث الكبرى، إلى أن تتوقف بالموت. إن استرجاع الفتح للأحداث لا يسلم من تهافت الذاكرة وخطأ الخلط وضرورات النسيان ومزالق الأهواء ولكنه يتحرر من وطأتها بإضافة السند وتأكيد شهادة الوقائع والأحداث، واسترجاع التاريخ من موقعه ومشاركته في الحدث وهكذا تتحقق استعادة الحكي، ولذا يذكر صفات المترجم وخصاله، بوصفها تمهيداً من منظور المؤلف، ثم يورد بعدها الأخبار لتأكيد هذا المنظور. وقد ظهر هذا في استرجاعه الأخبار المفصلية من حياة الشخص وتحويلها إلى حكاية تتخللها أبعاد الشخصية، وحواراتها وأبياتها ومقولاتها الأدبية.

- المترجم له/ المروي له^(١): هو من ترجم الراوي من أجله، وبه اعتنى المؤلف، وقد يكون داخل خطاب السرد وخارجه، حقيقياً وغير حقيقي، فرداً أو جماعة، والمروي له غير ظاهر، وهو مروي له خارج الخطاب السردية ولكن هذا السرد يتوجه إلى المروي له العام وهو عند الفتح مروي له صاحب مكانة اجتماعية، فهو في مقدمة القلائد يتوجه بمرويياته إلى أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين: "رأيت أن أخدم مجلسه العالي بزف الكتاب إليه، وأشرف محاسنها بمثلها بين يديه"^(٢)، وفي

(١) ينظر: إبراهيم، عبدالله، السردية العربية، ص ١٢.

(٢) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٤٧.

المطمح يجيب طلب الوزير أبي العاص حكم بن الوليد: "ندبني إلى أن أجمعها في كتاب، وأدركني من التنشط إلى إقبال ما ندب إليه وكتابة ما حث عليه فأجبت رغبته"^(١).

يمكن ملاحظة حضور المروي له الظاهري حينما يروي الفتح قصصاً على مروي له داخل الترجمة نفسها، والمروي له يستمع للراوي وهو يتحدث، وقد يكون مرويّاً له واحداً أو أكثر من ذلك، وفي الأغلب فإن الراوي في تراجم الفتح يكون راوياً ومرويّاً له في الوقت نفسه.

يظهر مما سبق اشتمال كتاب قلائد العقيان على جوانب سردية مهمة استعملها مؤلف الكتاب لتسهم بتقنياتها في كتابة سيرة الغير كتابة سردية توظف مكوناته وتراعي أطرافه.

سرد الآخر

تكتب سيرة الغير عن آخر غير الذات، وهي تصدر عن الوعي بالاختيار، وآلياته، وإن التزم ابن بسام معاصر الفتح في ترجماته بالمرجعية الجغرافية الأندلسية، فإن الفتح يقدم بمنزلة الشخص وتأثيره، مع ضرورة كونه أندلسياً، فلم يترجم للوفد إلى الأندلس^(٢)، ولم يورد أخباراً عن المشرق كما فعل ابن بسام^(٣).

لا يمكن تجاوز المترجمين دون النظر إلى مقولات الذات والآخر، فالغير هو الآخر المختلف على مستويات متعلقة مثل التجاور أو العمر أو العرق أو المهن أو اللغة أو الدين أو الثقافة. ويعتبر الآخر موقع مخالفة للأنا والنحن، فهو لا يملك

(١) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص ١٤٨.

(٢) ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ١٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق، المقدمة ش.

الأجداد أنفسهم، ولا اللغة نفسها، وذلك في ظل وعي الإنسان بذاته وبمحيطه القبلي والجماعي^(١)، وهو في كثير من الأحيان ينظر إليه على أنه عدو، وأقل قدرة^(٢).

أ- تصنيف المترجمين:

أنشأ الفتح بن خاقان كتابه وهو يعلم أن مداره الآخرون، تدفعه مخاوف وقوع الأدب بيد الامتهان، وحاجته إلى منقذ يخلصه، ويضمن عبوره للأجيال، والفتح بوصفه أحد المنقذين سيكشف الآخرين الذين أفسدوه. فالترجمة عمل مبني على حاجات تضاف إلى حاجة الذات الخالصة للكتابة الأدبية، أسهم فيها دخول الأندلس حقبة جديدة على يد المرابطين إثر انتصار كبير في معركة الزلاقة، أي أن هناك استعلاء طبيعيًا دفعه الانتصار على العدو، إضافة إلى مبدأ فك التبعية، والمنافسة مع الآخر المشرقي، ووقوفًا ضد (بضاعتنا ردت إلينا) التي تجعل الذات تتحسس وجودها وتنظر إلى الآخرين بغية تسويغ الانتصار والهزيمة، والتبعية والاستقلال، والقوة والضعف، من منطلق أنه "لا توجد علاقة بالآخر إلا على قاعدة غالب ومغلوب"^(٣).

(١) ينظر: فارو، جان، الآخر بما هو اختراع تاريخي، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، تحرير: الطاهر ليب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١٩٩٩م، ص ٥١.

(٢) ينظر: هارلي، فيلهو، مفهوم وموارث العدو، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، تحرير: الطاهر ليب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١٩٩٩م، ص ٥٦. والبزري، دلال الآخر المفارقة الضرورية، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، تحرير: الطاهر ليب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١٩٩٩م، ص ٩٩.

(٣) البزري، الآخر المفارقة الضرورية، ص ١٠٣.

تُعد بنية المجتمع الأندلسي مركبة متنوعة، وبروز ظاهرة أدبية تنظر للآخر وتقترب منه جعلت الآخر بعد اطلاعه عليها يطالع نفسه، فهو آخر في الترجمة، أنا في وعيها وهو من خلال الآخر يعود إلى نفسه، فهو آخر وفق المخيال والخطاب الذي تنتجه الأنا والنحن^(١).

ولذا تعددت مستويات حضور الآخر في التراجم غير أن اللبنة الرئيسة فيها تتمحور حول الموقع الاجتماعي مع ذكر صفات تختص بهذه الطبقة، والصفات تتكون من مجموع التراجم، وعليه فهي صفات للفئة لا الأشخاص، وفي الآتي ستحضر هذه الملامح جلية، لنقف عليها من توزيع الفتح بن خاقان ترجماته على أربع طبقات:

الأولى: تراجم الملوك:

تتعلق تراجم الملوك والرؤساء بزمان المرابطين الذين دخلوا الأندلس وقضوا على ملوك الطوائف، وسيترجم الفتح لأشخاص عادوا المرابطين، وهم في الوقت ذاته يُقدَّمون إلى رجل مرابطي وهو إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، ابن الرجل الذي فتك بملوك الطوائف، هؤلاء الملوك هم: المعتمد بن عباد، وابنه الراضي، والمتوكل على الله، والمعتصم بن صمادح، والحاجب ذو الرئاستين، ورئيس مرسية محمد بن طاهر، الأول أسره المرابطون، والثاني والثالث قُتلا، والرابع توفي في أثناء قتالهم، والخامس جابهم وحافظ على ملكه، أما الأخير فقد واجه المعتمد بقيادة ابن عمار، والذي سيتكرر حضوره في أغلب تراجم الشخصيات الستة. ويحضر جميعهم طرفًا في تراجم الطبقة

(١) للاستزادة حول هذه القضية ينظر: لبيب، الطاهر، صور الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، ص ٢١.

إضافة إلى أنهم أبطال ترجمة مستقلة^(١)، وقد يتداخلون فيما بينهم كما فعل في موقف جمع بين المعتمد بن عباد والمعتصم بن صمادح، فأورد في ترجمة كل منهما رأيه في الآخر^(٢).

ولم يلتق الفتح بالرؤساء باستثناء الآخرين، فإن وُلد الفتح عام ٤٨٠ هـ، فإن المعتمد توفي ٤٨٨ هـ، والراضي ٤٨٤ هـ، والمتوكل ٤٨٧ هـ، والمعتصم ٤٨٤ هـ، بينما الحاجب ٤٩٦ هـ، وابن طاهر ٥٠٧ هـ.

قدم الفتح في ترجمات هذه الطبقة بذكر صفاتهم مجملة، ثم أورد أخبارًا عنهم، فهو يترجمهم من وجهة نظر غيره، الذين يخبرونه بحكايات عن المترجم، أما من أخبره فإنهم أشخاص يتفاوتون في المنزلة، وهم جميعهم من النخبة فهم على سبيل المثال: وزراء مثل أبي بكر بن القصيرة^(٣)، وابن القبطرنة^(٤) وأبي محمد بن عبدون^(٥)، وأبي خالد بن يشتغير^(٦)، وأبي عامر بن سنون^(٧)، وأبي جعفر بن سعدون^(٨)، وأقارب مثل أخ المعتمد ذخر الدولة^(٩)، أو المعتد بن المعتمد الذي يخبره بأخبار أخيه

(١) مثل ابن اللبانة وابن عمار، وأبي المطرف بن الدباغ وابن حسداي.

(٢) ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٧٠.

(٣) ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٥٤.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ١٣١.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ص ١٣٧.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ص ١٥٠.

(٧) ينظر: المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٨) ينظر: المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٩) ينظر: المصدر السابق، ص ٥٦.

الراضي^(١)، وأدباء مثل ابن اللبانة^(٢)، وفقهاء وقضاة: مثل ابن زرقون^(٣)، وأيوب بن أمية الفقيه^(٤)، وأعداء مثل من قتل المتوكل على الله^(٥)؛ فهؤلاء على صلة وثيقة بالمترجم، وهم يضيفون على كتابة الفتح الصدق والأمانة، وفي أثناء ترسيخه الوثوق بمدونات يورد قصصاً دون أن يبين من أخبره إياها موهماً بالإجماع على صحتها دون الإشارة إلى من أخبره ونقلها إليه.

إن هؤلاء الرؤساء من مستوى واحد، أصحاب حُكم، فبدأ ترجمته للمعتمد والراضي والمتوكل والمعتصم بلفظة (ملك)^(٦)، وجمعهم خصال مشتركة؛ بيت شريف، ونسل عريق، وفيهم شجاعة وهمة، وطموح إلى الرئاسة، عنيدون فيها، متعلمون ومتأدبون، غاية في الكرم والعطاء والبيان والبلاغة، أرباب أنس وشراب وسممر، ويتميز بعضهم مثل المعتمد بالتأثير على الجماهير وعدم قبول الوشاية^(٧)، ومن عيوبهم: الغرق في اللذة مثل المعتمد^(٨)، والجزع عند لقاء العدو مثل ابنه الراضي^(٩) وحدة المزاج والانتقام مثل ذي الرياستين^(١٠).

(١) ينظر: المصدر السابق، ص ١١٢.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ٥٧.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ١٤٤.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ص ٥١، ١١٠، ١٢٠، ١٤٦.

(٧) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٥٢، ٧٣، ٩٠.

(٨) ينظر: المصدر السابق، ص ٨٢، ٨٦، ٨٨.

(٩) ينظر: المصدر السابق، ص ١١٤.

(١٠) ينظر: المصدر السابق، ص ١٥٨.

تتكرر في هذه الفئة سمات، منها: البنوة، وصورة الابن فيها قلقة، كما في ترجمة المعتمد مع والده المعتضد^(١)، والراضي ووالده المعتمد^(٢)، وابن المعتصم بن صمادح^(٣)، وهي تكشف عن العلاقات داخل تلك الأسر الملكية.

يستعمل الفتح بنية المبالغة في تراجم هذه الفئة، حين يستدعى الشخصيات والأماكن ويقارنها مع المترجم لإثبات تفوقه، يقول في وصف عصر المعتمد "فأصبح عصره أجمل عصر وغدا مصره أحسن مصر"^(٤)، وفي وصف قصر البستان: "أرني على الخورنق والسدير، وأبدى صفحة البدر من أزرار المدير"^(٥)، وفي الحصن الزاهر وأن فيه: "ما لم يكن بجلب لبني حمدان، ولا لسيف بن ذي يزن في رأس غمدان"^(٦)، وعن قصر الشراحيب: "وقصر الشراحيب هذا متناه في البهاء والإشراق، مباه لزوراء العراق"^(٧)، والفتح بهذا لا يورد لحقائق فحسب، بل يتفاعل بذاتيته.

ترجم الفتح لرجال حاربوا دولة المرابطين، وأبان كثيرًا من فضلهم تأكيدًا على توحيه الحقيقة من ناحية، وتكريسًا لقوة المرابطين وبأسهم وهيمنتهم على أطراف الدولة من ناحية أخرى، مما يعني أن وقت كتابة الترجمة يقيد نظرة الفتح للماضي وسرده.

(١) ينظر: المصدر السابق، ص ٨٢.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ١١١.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٥٢.

(٥) المصدر السابق، ص ٦٦.

(٦) المصدر السابق، ص ٩٤.

(٧) المصدر السابق، ص ١١٢.

الثانية: تراجم الوزراء والكتاب والبلغاء

ينوع الفتح في أسلوب خبره عن طبقة الكتاب والبلغاء، فيخبرُ الفتح وزير عن وزير، يخبره أبو المطرف خبر ابن عمار، ويخبره أبو عامر بن الطويل خبر ابن لبون، والوزير المصري خبر عامر ابن الفرغ وغيرهم^(١)، أو تختفي صيغ الإخبار كما في ترجمة ابن زيدون والوزير أبي عامر، وأبي عمر الباجي، وأبي بكر بن القصيرة، وأبي المطرف بن الدباغ وغيرهم؛ فقد التقى الفتح بهم، وتعامل معهم.

يصوغ الفتح خبره عن مترجمي هذه الطبقة في قالب سردي ويديرها في تعداد النماذج الثرية أو الشعرية من غير تطرق لسياقاتها، وقد يكتفي من القالب السردى بعبارته المكرورة: "وله في كذا"^(٢)، وقد يصل الأمر في بعض تراجمه إلى الاكتفاء بالمقدمة التعريفية بالمترجم دون قصص أو أخبار، ثم يورد البيت والبيتين له كما فعل مع أبي محمد عبدالرحيم بن عبدالرزاق^(٣)، وأبي القاسم بن أبي بكر^(٤).

ينطبق على أصحاب هذه الفئة عنوان الفئة التي أدرجوا فيها فهم وزراء، أو كتاب، أو بلغاء، وهي طبقة تحاول الارتقاء، ووسيلتها قدرتها البارعة في الكتابة، وعليه فإنهم يمثلون الطبقة التي تلي طبقة الرؤساء، فهم وزراء أو بمنزلة الوزراء حسب المنظور الاجتماعي، كان هذا قُبيل معادلة الفقهاء للرؤساء في تراتبية الدولة المرابطة. يمتاز أصحاب هذه الفئة بقدرتهم على تصريف القول والبلاغة، وهي عونهم في جميع المواقف^(٥)، وقد اكتسبوا جراء ذلك هيبة الوزارة، التي قد تفوق في بعض

(١) ينظر ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٢٥٧، ٢٩١، ٢٩٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٠٢، ٤٢٢، ٤٣٠.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ٤٤٥.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ٤٨٤.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ص ٢١٠، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٩٧، ٣٠٠.

الأحيان ما كان لدى الملوك والرؤساء من هيبة^(١)، ولديهم اشتغال بالعلم مثل الكيمياء والتنحيم^(٢)، ويميلون إلى الأنس والسمر والتنزه والمداوم والعلاقات الاجتماعية^(٣).

وينحدر بعضهم من بيت فضل وعراقة في الوزارة والعلم^(٤) وكافح بعضهم حتى وضع لنفسه مكانةً بين بني زمنه^(٥)، وهي طبقة معرضة لسهام الحقد والحسد، ولذا يُنكر عليهم ويُحط من قدرهم، ويُتَنَكَّر لهم^(٦) وهم يعيشون على قلق المنزلة، مما يدفع ببعضهم إلى أن يكونوا أكثر حقدًا وأقل ثقةً بمن حولهم وذلك لاضطرارهم الخوض في صراعات معقدة في ظل المنافسات العالية^(٧)، أو أن يرفضوا عروض تولي مناصب أخرى مثل القضاء^(٨)، وقد أدى هذا إلى استغلالهم المواقف والفرص بما أوتوا من تصرف في الكلام، أما حين يملكون زمام الأمور فإنهم ينقلبون على رؤسائهم ويغدون بهم كما فعل ابن عمار وأبو عبدالله بن الخصال^(٩) ويتبعون شهواتهم، ويميلون إلى الغلمان والنساء بخلاف ما عرف عنهم من حكمة وعفة تظهر في كتاباتهم^(١٠)، وقد أثرت محاولة استرضاء من فوقهم على علاقتهم بمن حولهم أو أقل

(١) ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٢٨٩.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ٤٤٥.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٥١، ٢٥٧، ٣٨١، ٤١٨، ٥٥٠.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٤٩، ٢٩٧، ٣٦٧، ٤٢٩.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٥٣، ٣٠٥، ٣٢٢، ٤٩٣.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ص ٣٧٧، ٥٣٨.

(٧) ينظر: المصدر السابق، ص ٢١١، ٤٦٦.

(٨) ينظر: المصدر السابق، ص ٤٦٢.

(٩) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٥٤، ٥١٩.

(١٠) ينظر: المصدر السابق، ص ٢٥٤، ٣١٨، ٤٠٠، ٤٩٣، ٥٠٥.

منهم فعاشوا في حيرة وتناقض، فكانت نهاياتهم وخيمة مثل نهاية أبي المطرف بن الدباغ^(١).

الثالثة: تراجم أعيان القضاة والفقهاء والعلماء

تعد هذه الفئة ما قبل الأخيرة من فئات الفتح، وعددهم ثمانية عشر رجلاً ارتبطوا بالعلوم الفقهية والقضائية، ومع كثرتهم إلا أن هذه الفئة ترجمت لهم تراجم مختصرة مقارنة بغيرهم فمعدل ترجمة الواحد منهم في المتوسط ألف كلمة، أما فئة الملوك فبلغ متوسط عددها خمساً وثلاثين ألف كلمة، وفئة الوزراء والأدباء بلغ متوسطها ألفاً وستمئة كلمة. ويعود ذلك لأمرين: قلة الأحداث الشخصية مقارنة بما يحدث للملوك والوزراء، وقلة الإنتاج الأدبي لهم مقارنة بما ينتجه الكتاب والأدباء. واكتفى بنقل ما ورد عنهم من شعر ونثر إلا ما ندر، ويحكي أخبارهم التي وقف عليها وهنا يقتصر على ما سيثبته لهم بعبارة "وقد أثبت له"^(٢) أو أخبره بها أحدهم مثل ترجمة الوزير القاضي أبي الحسن بن أضحي^(٣).

تعد هذه الطبقة أقل من سابقتها، فالوزير الكاتب أعلى منزلة من الوزير الفقيه، ولذا جاءت فئة الفقهاء بعد فئة الكتاب، وينحدر أصحاب طبقة الفقهاء من بيوت علم وشرف، كما أنهم يمثلون الذروة في منظومة الفقه والنظام القضائي، وهم من أعلام المذهب المالكي، وأكثر ما تتصف به هذه الجماعة التأثير على الجماهير، وهم بتعبير ابن خاقان يرتبطون بألفاظ مثل إمام وأئمة وإمامة^(٤)، كما يقول عن الفقيه أبي محمد غانم بن الوليد المخزومي: "أما الأدب فكان محض

(١) ينظر: المصدر السابق، ص ٣١٥.

(٢) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٦٠٦، ٦١٦، ٦٣٠، ٦٤٢، ٦٩٠.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ٦٤٧.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ٥٩٩، ٦٠٨، ٦١٢، ٦٣٦، ٦٤٨، ٧٠٨.

شريعته"^(١)، ويبدلون عمرهم في طلب العلم من أجل تحقيق هذه المكانة والمحافظة عليها^(٢)، وقد يصيب هذه الفئة الجلف والاستعلاء في معاملة الناس، فيظهر عليهم ما ظهر عند أبي مروان بن سراج: "كان يضجر عند السؤال فما يكاد يعيد، ويتعجن غيظاً على الطالب حتى يتبدل ولا يستفيد"^(٣)، والعجب أن بعضهم عاقر الخمر إدماناً^(٤) وجمع صفات سيئة مثل الهوس والشك^(٥)، ومنهم من قصر نفسه على الأمراء دون غيرهم تزلفاً، ولذا كثر تجوهم وتجوهم^(٦)، ومنهم من يزهد من الدنيا زهداً في غير موضعه، ويعكف على نفسه معتزلاً لأنه لم يحصل مراده^(٧).

الرابعة: تراجم نهاء الأدباء وروائع فحول الشعراء

قسم الفتح طبقاته بناء على توافر الأدب في كل طبقة، والتزم بالوضع الاجتماعي فجعل الملوك الأدباء في الدرجة الأولى، ثم الوزراء الأدباء، ثم الفقهاء الأدباء، وأخيراً الأدباء. معنى هذا أن هذه الفئة أشد ما يميزها هو أدبها، وهو يجد ذاته هنا أكثر مما يجدها مع فئة أخرى، لقد تواصل مع هؤلاء الأدباء تواصلًا مباشرًا دون قيود، وها هو يكثر من استخدام كلمة أخبرني يقصد من لسان المترجم مباشرة، يقول عن ابن خفاجة: "أخبرني لما أقلع عن صبوته، وطلع ثنية سلوته..."^(٨) وفي أثناء الكلام تظهر لغة المآخاة والقرب ولغة لا تدور إلا بين الأحباب والخلان ومحبة

(١) المصدر السابق، ص ٦٠٨.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ٥٩٩، ٦١٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٠٦.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ٦١٠، ٧١٠.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ص ٦٧٥.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ص ٦٢١.

(٧) ينظر: المصدر السابق، ص ٦٢١.

(٨) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٧٤٠.

ومراسلات^(١)، ويتكرر هذا الأمر في تراجم هذه الطبقة حيث يكون الفتح قد سمع والتقى بالشخصية المترجمة فتكثر لديه كلمة أخبرني أو ما يدل علي الاتصال بلا وساطة^(٢)، كما يعلو فيها صوت العتاب ما بين شعر ونثر، يعاتبهم ويعاتبونه^(٣)، فإن لم تكن الترجمة بإخبار الفتح بما رآه، فإنها مجموعة حكايات تدور بين كان وكان، بدون سند أو إثبات، وتظهر فيها المبالغة وعدم التحرز^(٤).

إن أهم ما يميز هذه الفئة هو تربعها على قمة الإبداع الشعري، وهم في غالبهم بذلوا جهودًا من أجل ترسيخ اسمهم الإبداعي ولعل ما تتفق فيه هذه الطبقة هو المستوى الأخلاقي المتقارب، بين مجالس اللهو والشراب، والنساء والغلمان، ومنهم من هو عبثي^(٥) يتقرب الواحد منهم من أحد الأعيان بشعره ويخدمه فيسود مجلسه بما أوتي من بيان وبلاغة وتصوير لا نظير له^(٦). وهم يتقنون فنونًا أخرى، ويغلب عليهم الاشتغال بالأدب وإتقانه^(٧)، وهذه الفئة أكثر الفئات توجعًا وحرزًا وفهما للوجود وإحاطة به^(٨)، وقد سعت هذه الفئة للارتقاء إلى الطبقة الأعلى اجتماعيًا، وهم يبدلون في سبيل ذلك الممكن وغيره، أظهرت ذلك الأخبار، والأبيات التي استشهد بها على ذلك، وهي طريقة غير مباشرة في كشف خللهم وتناقضهم.

(١) ينظر: المصدر السابق، ص ٧٥١، ٨٨٣، ٨٩٣.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ٧٤١، ٨٧٠، ٨٩١.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ٧٤٤، ٧٤٦.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ٧٧١.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ص ٧٦٨.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ص ٧٣٩، ٧٦٧، ٧٧٦، ٧٩١، ٨٠٩.

(٧) ينظر: المصدر السابق، ص ٧٩١، ٨٠٩، ٨٤٢، ٩٢٨، ٩٣١.

(٨) ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٧٥٣، ٧٥٥، ٧٥٦، ٨١١، ٨٢٠، ٨٦٣، ٩٠٢، ٩١٠.

ب- الآخر عبر الآخر:

نعثر في أثناء هذه التراجم على آخر غير آخر المترجم، وهذا الآخر قد يكون فردًا أو جماعة، ففي نماذج من الأفراد نجد آخر مختلفًا: أولاً: الأفراد: في أثناء ترجمة المتوكل يظهر الوزير ابن الحضرمي وهو ظالم مستكبر ظهر للمتوكل قبح أفعاله "واحتذائه النجم وانتعاله"^(١)، ومثله أبو الحزم بن جهور: لا يقبل عذرًا ولا يستعطف ولا يغفر^(٢)، وهنا يكون الفتح صريحًا في وصف هذا الآخر الذي تلتبس حياته بالآخر الذي يسرد ترجمته. ثانيًا: الجماعات: من ذلك وصفه أهل قرطبة: وهم آخر مختلف في المكان، ومختلف في السلطة، سعى المعتمد بن عباد لضمها تحت جناحه فلم يوفق، يقول الفتح عنهم: "لم يكن في منازلها قائد، ولم يكن لها إلا حيل ومكائد، لاستمساكهم بدعوة خلفائها، وأنفتهم من طموس رسوم الخلافة وعفائها"^(٣)، "وهيهات كم من ملك كفنوه بدمائه، ودفنوه بدمائه، وكم من عرش ثلوه، وكم من عزيز أذلوه"^(٤)، وأهل سرقسطة: آخر مختلف ويحكي عنهم قصة ابن عمار معهم: "فلما رأى غباوة أهلها، وتكاثر جهلها، وواصل منهم من لا يعلم قطعًا ولا وصلًا"^(٥)، والعدو الشمالي النصراني: وهو مختلف مكانًا وعقيدة ولغة، فهو محارب وظالم ومؤذ ومنتقم من العروبة والإسلام^(٦)، والسودانيون المغاربة: مختلفون عرقًا وجغرافية، وهم انتهازيون نفعيون^(٧)، واليهود: وهم غير مقبولون في المراتب

(١) المصدر السابق، ص ١٣٣.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ٢١٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٦٨.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٥٦.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ص ٧١، ١٧١، ١٧٣.

(٧) ينظر: المصدر السابق، ص ٨٢.

العالية، يظهر ذلك حين يترجم لابن حسداي: "وقد كانت الذمة تقعده عن مراتب أكفائه، وتجذ في طموس رسمه وعفائه وتصرفه تصريف المهيب، وتقعده في ذلك الحضيض، حتى ألحقه الله بأقرانه وأقاله من متجر خسارته"^(١). وغير ذلك مما يدخلنا في تراجم متعددة، وسير عديدة، وموقف واضح للمؤلف تجاهها، بوصفها آخر في مواجهة للأنا والنحن، لكنها تنطق بلسان الجماعة التي ينتمي إليها الفتح. نخلص من هذا إلى أن حضور الغير في تراجم قلائد العقيان على صورتين: الأولى: تقسيم ترجماته إلى طبقات وهذه الطبقات تعبر عن مضمونها وتعكس الوضع الاجتماعي، وهي مقيدة في صور وهيئات معينة فرضها عليها الفتح بما يحسم غيريتها، والثانية: ظهور عوالم من الغير في أثناء حديثه عن الغير ليعبر عنهم وفق منظور المروي له/ المترجم له.

(١) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٥٤٥.

سرد الذات عند سرد الغير

يعد الفتح بن خاقان مؤلف التراجم، والسارد الذي يسردها، وسرده يتكئ على ضمير المتكلم/الذات في أثناء ترجمته عن الغائب، وهو ما يندرج تحت مشروع الفتح الذي أعلن عنه بوصفه وثيقة تقدم الغير: "أظهرت... ودلت... واستثبتت... وانتخبته... وشنت ما صنفته"^(١)، فهناك علاقة وثيقة بين المؤلف والسارد تؤكد أنها خطبة الكتاب، هذه العلاقة أخفت أنساقاً تقصي وتحاكم وتميز ضد المختلف، لكن المضمّر في مواضع كثيرة يتحول إلى معلن وإلى صراحة تنبئ عن موقف العصر من الآخر الذي سيقدمه الفتح بن خاقان بجمل جمالية تخفي في طياتها أزمات الذات (الفتح) والجماعة الصغرى (فئات المجتمع) والجماعة الكبرى (الأندلسيون المسلمون) تجاه الآخر المختلف والمغاير. وعليه فإن الفتح يسرد سيرته من خلال كتابة سيرة الغير، وذلك في العلاقات الآتية:

أ- من المجتمع إلى المؤلف:

لم يشفع ما قدمه الفتح بن خاقان من عمل ضخم للمكتبة الأندلسية في الكتابة عنه وترجمته، فترجمته شحيحة بالمقارنة إلى ما خلفه، وقد لاحظ ذلك من درسه ودرس كتبه^(٢)، وأهملته المصادر المعاصرة له مثل البغية للضبي المتوفى ٥٩٩هـ، والصلة لابن بشكوال المتوفى ٥٧٨هـ. توارد من ترجم للفتح على ثلاثة أمور: تهتكه وخلاعته، خلافه مع ابن باجة، ومقتله الشنيع. تحضر أول إشارة عند ابن القاضي عياض المتوفى ٥٧٥هـ في كتابه:

(١) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٤٥.

(٢) ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٨، ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص ١٥.

التعريف بالقاضي عياض المتوفى ٥٤٤هـ، وفيه ذكر قصة إقامة الحد على الفتح بن خاقان، وقصتين تتبع القصة الأولى، تعين ابن القاضي عياض على قضاء دانية وهو في سن الأربعين تقريباً^(١) وذلك قبل سنة ٥٧٠هـ^(٢)، هذا يفضي إلى أنه ولد تقريباً سنة ٥٢٥هـ، والفتح توفي ٥٢٩هـ بعدها بحوالي أربع سنوات، أي أنه في الرابعة من عمره حين توفي الفتح بن خاقان.

التقى ابن القاضي عياض بابن بشكوال وقرأ عليه كتابه الصلة^(٣)، كما أن ابن بشكوال اتصل بالقاضي عياض وترجم له^(٤). ثم جاء ابن الأبار وأتبع كتاب الصلة لابن بشكوال بكتاب سماه التكملة، ولم يذكر فيه الفتح بن خاقان، وإنما ذكره في كتابه الآخر معجم أصحاب الصديقي بترجمة موجزة ذكر فيها أنه "لم يكن مرضياً، وحذفه أولى من إثباته"^(٥)، وقد علل المقرئ المتوفى عام ١٠٤١هـ أنه لهذا السبب لم يذكره في كتابه التكملة^(٦)، وروى في أزهار الرياض الآتي: "من مناقب الإمام القاضي

(١) محمد، أبو عبدالله، التعريف بالقاضي عياض، تحقيق: محمد بن شريفة، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، ص ١١.

(٢) ابن الأبار، محمد بن عبدالله، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبدالسلام المراس، لبنان: دار الفكر للطباعة، ١٩٩٥م، ١٥٩/٢.

(٣) ابن فرحون، إبراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحدي أبو النور، القاهرة: دار التراث للطبع والنشر، ٢٦٦/٢.

(٤) ابن بشكوال، خلف بن عبدالملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: السيد عزت العطار، القاهرة: الخانجي، الطبعة الثانية، ١٩٥٥م، ص ٤٢٩.

(٥) ابن الأبار، محمد بن عبدالله، المعجم في أصحاب الصديقي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ص ٣٠٨.

(٦) ذكر ذلك في المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: سعيد أعراب، وعبدالسلام المراس، صندوق إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٠م، ٩٨/٥، والمقرئ، شهاب الدين

أبي الفضل عياض، الداخلة في أعمال بره إقامته الحد على الفتح بن عبيد الله صاحب القلائد، وذلك أنه قصد مجلس قضائه مخمراً^(١) دون أن ينسبها مبيئاً أن منقبة إقامة الحد أمر يؤجر عليه القاضي عياض، وهي إحدى مناقبه، ثم أورد قصة منسوبة إلى محمد بن عياض ابن القاضي فحواها أن أحد أصدقائه أخبره أن والده بعد أن أقام الحد على الفتح بعث معه ثمانية دنانير وعمامة^(٢) وأنه نفسه -الابن- أخبر من مقرب من الفتح أن الفتح أراد أن يسقط اسم القاضي عياض من قلائد العقيان بعد أن أقام عليه الحد، وأن صاحبه نصحه بألا يفعل ذلك لأنه إن فعل سيسأل الناس عن سبب فعلته، ويأتيهم خبر إقامة الحد على الفتح، وهو ما لا يريده الفتح^(٣)، وقد أخذ المقرري هذه الأخبار من كتاب ابن القاضي عياض^(٤)، لكن الابن في كتابه التعريف ذكر أنها "من نوادر أخباره التي اضطره الشرع إليها إقامته حد الخمر على الفتح..."^(٥)، ثم يكمل المقرري بعد استطراد طويل أن إقامة الحد هو الحق الذي لا غبار عليه^(٦) ثم يقول عن الفتح "لا يمل من المعاقرة والقصف، حتى هان قدره، وابتذلت نفسه، وساء ذكره"^(٧)، هذه العبارات التي ذكرها المقرري

أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر أخبار وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م، ٣٥/٧.

(١) المقرري، أزهار الرياض، ص ٩١.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ٩٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص ٩٣.

(٤) ينظر: محمد، أبو عبدالله، التعريف بالقاضي عياض، ص ١١٢.

(٥) المصدر السابق، ص ١١٢.

(٦) ينظر: المقرري، أزهار الرياض، ص ٩٧.

(٧) المقرري، أزهار الرياض، ص ٩٨، وقد ذكر المقرري الكلام نفسه في نفح الطيب، ٢٩/٧.

مأخوذة بنصها من كتاب الإحاطة للسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦هـ^(١) وقد نقلها المقرئ في كتابيه، ثم استشهد المقرئ بعد عبارة لسان الدين بقول ابن الأبار السابق الذكر.

أخذ لسان الدين بن الخطيب قصة الخمر والعقوبة كما هي من ابن عبد الملك المراكشي المتوفى في ٧٠٣هـ صاحب كتاب الذيل والتكملة^(٢)، وغيرها عن ما رواه صاحب الرواية الأصلي وهو ابن القاضي في كتاب التعريف بالقاضي عياض.

أما القصة الثانية فقد ذكرها المقرئ وهي قصة الفتح مع ابن باجة، وهي أن الفتح ذكر في أحد المجالس صلة الأمراء له، فسخر منه ابن باجة وكذبه بأن قال له: ومن صلتهم لك الزمردة التي على شاربك، وكانت تبدو فضلة خضراء من أنف الفتح، ولذلك حقد عليه وهجاه^(٣) وكذا وردت في الإحاطة.

إذن فالمقرئ أخذ في ترجمته للفتح عن ابن القاضي بنصه في كتابه أزهار الرياض، وعن ابن الخطيب بنص ابن الخطيب الذي أخذ عن ابن عبد الملك في كتابه نفع الطيب.

أما قصة مقتله فحافلة بالمفارقات وهي أن الفتح كان مقرباً من إبراهيم بن يوسف هو الأخ الأصغر لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين^(٤) وكان الفتح

(١) ينظر: ابن الخطيب، محمد بن عبدالله، الإحاطة في أخبار غرناطة، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٩/٤.

(٢) المراكشي، محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، ومحمد بن شريفة، وبشار عواد معروف، تونس: دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٢م، ٤٤٤/٣.

(٣) ينظر: المقرئ، أزهار الرياض، ص ٩٨.

(٤) ينظر: المراكشي، ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان وبروفنسال، بيروت: دار الثقافة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، ٧٨/٤.

"يدل عليه وينادمه"^(١) ولإبراهيم بن يوسف هذا ألف كتابه، وأهداه إياه، وهو محب للأدب كما يظهر من سيرته، فقد قرب الفتح وأنشد فيه ابن خفاجة شعره، وتأدب ابنه على عدد من العلماء والأدباء وهو أبو بكر بن إبراهيم الذي تولى سرقسطة وقرب الأدباء فامتدحه ابن باجة^(٢) وجعله أبو يحيى وزيراً له، ثم ظهر منه سوء جعل أبو بكر يقربه على عيبه كما حكى الفتح: "وحمله على ما كان يعتقد فيه من المقت، واستعمله على ما يقتضيه خلق الوقت"^(٣) أقول: ربما كان لما فعله ابن باجة مع ابن إبراهيم بن يوسف ما إذا هذا التحامل من الفتح على ابن باجة. وجدير بالذكر أنه وصف المرابطين بالتسرع والعنف، إحدى هذه الصور ما حدث مع المتوكل على الله الذي دجت أيامه وذوت غصونه، وأنفذ جور الأيام فيه ظلمه^(٤)، وأنه لما قام يصلي قبل أن يقتلوه حدث أن "اختلط افتتاحه بسلامه، فبادروه بأستهم في الصلاة، وناهشوه مناهشة الطير لقتيل الفلاة"^(٥)، والمرابطون في عنفهم كليث هجم على فريسته من ملوك الطوائف^(٦).

تقول الروايات إن من سيقتل ابن خاقان فيما بعد هو أخ إبراهيم بن يوسف، وهو الأمير علي بن يوسف الذي أصدر أمره بقتله فقتل في أحد فنادق مراکش كما ذكر ابن دحية المتوفى عام ٦٣٣هـ^(٧) وقد نقلها عنه ابن خلكان الذي توفي سنة

(١) المقرئ، نفح الطيب، ٧٢/٤.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٦٨٢/١.

(٣) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٩٣٥.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ١٢١.

(٥) المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ص ١٦٩.

(٧) ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون، بيروت: دار العلم للجميع للطباعة والنشر، ١٩٥٥م، ٢٥/١.

٦٨١هـ^(١). وقد قرأ ابن الأبار بخط من يثق به: "توفي ذبيحاً بفندق لبيت من حضرة مراکش، ودفن بباب الدباغين منها ليلة عيد الفطر من سنة ثمان وعشرين وخمسائة"^(٢)، وقيل بعدها بثلاثة أشهر "عبث فيه بأحد بيوت الفندق المذكور، وما شعر به إلا بعد ثلاث من مقتله، عفا الله عنه"^(٣).

أورده العماد المتوفى ٥٩٧هـ في الخريدة، ونقل كلاماً عن قاض اسمه الرشيد بن الزبير المتوفى ٥٦٢هـ كتب كتابه جنان الجنان وروضة الأذهان، وقام ابن الزبير بامتداح ابن خاقان في بلاغته وتصانيفه، ثم قال: "كان يضع من نفسه بشدة تبدله، وكثرة تنقله، وغضه من ذوي الرتب، وإساءة الأدب على الأدب، وتحليه من الخلاعة بما تعزف عنه نفس كل ذي عقل رصين، واشتغافه من الدنيا إلى ما لا يرضاه أهل المروءة والدين، وهو متوسع في النشر قليل البضاعة في النظم ولم أجد له منه ما يدخل فيما يدخل لأهل طبخته"^(٤)، كما ذكره ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ في معجم الأدباء بقوله: "بذيء اللسان قوي الجنان في هجاء الأعيان، وكان متهم الخلوة فيما بلغني"^(٥)، أما ابن خلكان فقد امتدحه ثم قال: "وكان مخلوع العذار في دنياه"^(٦) ناقلاً هذه العبارة عن ابن دحية الكلبي المتوفى ٦٣٣هـ^(٧)، وابن سعيد المتوفى ٦٨٥هـ

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان ٢٤/٤.

(٢) ابن الأبار، المعجم في أصحاب الصدي، ص ٣٠٨.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) الأصفهاني، العماد، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: آذرتاش آذرناش، تونس: الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، ٢/ ٥٣٨.

(٥) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ٥/ ٢١٦٣.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٣/٤.

(٧) ينظر: ابن دحية، المطرب، ٢٥/١.

في المغرب ذكر فضله، ثم بين أنه عادى ابن باجة ثم جاء بمنقول عن سمط الجمان أبو عمرو عثمان بن عليّ المتوفى ٥٦٠هـ: "أن التكلم في شأنه وإعمال القلم في وصف تجلفه وخذلانه إخلال بالبيان وإضاعة للزمان فأثرنا في أمره الاختصار وتمثلنا قول القائل كل الثّمار وخل العود للنار"^(١)، فهذه كلها مصادر تنقل عن مصدر رئيس واحد (ابن القاضي).

والجدير بالذكر هو أن أول المصادر التي ترجمت للفتح هي سمط الجمان والجنان فالأول توفي صاحبه سنة ٥٦٢هـ والثاني ٥٦٠هـ، بينما توفي الفتح عام ٥٢٨هـ وهذا ما يعقد مهمة التثبت من لقائهم بالفتح، إضافة إلى فقدان هذه المصادر.

إن من العجب أن يقوم الفتح بن خاقان بوضع مصدر من أهم المصادر الأندلسية، ثم بعد ذلك لا تجد له ترجمة وافية، فما الذي جعلهم يتحاشون ابن خاقان بخلاف غيره من المترجمين مثل الضبي وابن بشكوال وابن الأبار. يبدو أن السبب شخصيته: "وما اشتهر به من الوقوع في الأعراض صده عن أن يكون علما من أعلام كتاب الدولة المرابطية"^(٢)، ويظهر من هذا الكلام أن هناك شرطا غير الشرط البلاغي والأدبي لم يتوفر في الفتح، ولو توفر لنال أعلى درجة في الدولة، وقد تكرر مثل هذا الكلام كثيرا في تراجم الفتح.

(١) ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٥٥م، ٢٦٠/١.

(٢) ابن سعيد، المغرب، ٢٦٠/١.

ب- من المؤلف إلى المجتمع:

يقول الفتح في خطبة القلائد: "ولما رأيت عنانه في يد الامتهان، وميدانه قد عطل عن الرهان، وبواتره قد صدئت في أغمادها، وشعله قد قذيت برمادها"^(١) إذن هناك آخرون ولجوا الأدب لكنهم لم يوفوه حقه، وهؤلاء لن يتطرق إليهم الفتح، وسيكتفي بغيرهم، آخريين يملكون زمام الأدب، ولا يميزهم غير الفتح المقتدر المكين، وبينما يعد الفتح بذلك، يسقط في فخ إصدار الحكم على الآخر الجيد حين يقول: "تداركت منه الذمام الباقي، وتلافيت له نفسًا بلغت التراقي، وانتخبته منه لمعا كالسيوف المرفهة، والشفوف المفوفة قد ثقفت تثقيف القداح، وأبرزت كالناهد الرдах. وانتقيت من توليده المخترع، وتجويدته المستبدع، لُمحا يهز لها الزمان عطفه انتشاء، وتروق لها النجوم طلعت عشاء"^(٢) يوحى حديث الفتح بن خاقان بأن ما لدى الآخرين غير جيد كله، وأن الجيد منه يستطيع الفتح بما أوتي من قوة وقدرة أن يستخرجه، وهو لما أوتي من مزايا سينتخب منه ويبرزه وينتقيه، وهو في كل ذلك واثق بتحمل المسؤولية التي على عاتقه، والتي يمثل من خلالها الأمير الوالي أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، ويمثل لسان الدهر والمجتمع الذي يتحدث عنه. وقد أكد المؤلف أن المترجم شخصية بشرية مثلنا فيها الخير والشر ولا نتعمد إصدار الأحكام عليه، وإنما نتتبع نموه وتطوره وتحولاته السيكلوجية وعلاقاته بالآخر والصراع معه، وعدم جموده مع التقدم الزمني، فابن عباد الملك ليس هو السجين في أغمات.

(١) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٤٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

أدت العلاقة المتوترة بين طموح الفتح، وتعرضه لصنوف الحسد والحقْد، والامتهان إلى أن تتحرك فيه رغبة إخراج كتاب تراجع عن أجود ما كتب في أدب الأندلس، وأهم من كتبوه، وهو في أثناء ذلك يجد الفرصة مواتية لأن يكون حاضرًا ضمن سيرتهم، وهذا شق جديد لم يذكره من ترجم عنه. فيحضر الفتح في التراجع عبر الأحداث والاستشهاد فيكون مشاركًا أو بطلًا في الأخبار التي يوردها، لينتقل موقف السارد من الخارج إلى الداخل، فيكتب السارد ذاته وهو يكتب غيره، ويظهر صوت أنا الفتح أثناء تقديمه للآخرين، ويمزج في ترجمته لهم ترجمته لذاته، وكتابته لسيرته تضمّر الترجمة الأدبية، فالترجمة لا تحفظ الغير، وإنما تحفظ الذات أيضًا وتكتب لها عمرًا جديدًا يحقق الخلود، وقد أكد الفتح ذلك في أثناء حكاية أخباره وقصصه مع المترجمين، وفيها يظهر جزء كبير من ذاته، ومن صورها:

أولاً- إظهار القدرة الثقافية: نستطيع تبين إلحاح الفتح على إظهار معرفته التي شهد بها من كتب عنه، حين ذكروا تتلمذه على أهم علماء الأندلس ومجالستهم وإجازاتهم إياه كما ذكر ابن الأبار ولسان الدين بن الخطيب من أمثال السلمي والبطلينوسي وابن العربي وابن اللبانة وابن زرقون وغيرهم^(١)، ومن ثم ظهر حرص الفتح على استظهار الأخبار والسماع والإجازات، فظهرت في اقتباسه آيات من القرآن الكريم، ليس للاستشهاد بها، بل لأنها تحقق مراد الفتح في مكتوبه، يقول عن المعتصم: "وأرسل دموع أهلها دما، وملاً نفوسهم رعباً، وأخذ كل سفينة غصباً"^(٢)، ويقول عن الرازي بن المعتمد: "ملك تفرع من دوحة سناء، أصلها ثابت وفرعها

(١) ينظر: ابن الأبار، المعجم، ص ٣٠١، وابن الخطيب، الإحاطة، ٤/٢١٠.

(٢) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٧١.

في السماء" (١)، وعن ابن الحضرمي على لسان ابن المتوكل: "ما حمّله إلا البطر، وأنه كان له في ذلك أرب ووطر، فكانت حاجة في نفس يعقوب قضاها وإرادة أنفذها وأمضاها" (٢)، واقتباس من الأمثال: يقول عن الحال بعد سقوط الخلافة: "صار الملك دعوى، وعادت العافية بلوى، استنسر البغا، وصحت الأضغاث" (٣)، ويقول عن لسان المعتمد المنهزم: "وقد عزم على أفضع أمر، وقال بيدي لا بيد عمرو" (٤).

ثانيًا- هيمنته على المشهد الرئيس: يظهر منذ المقدمة أن الفتح يعتد بذاته اعتدادًا كبيرًا، وأن جزءًا غير يسير من الكتاب سيكون عنه، ذكر في مقدمة القلائد: "الحمد لله الذي راض لنا البيان حتى انقاد في أعنتنا، وشاد مثواه في أجنتنا، وذل لنا من الفصاحة ما تصعب فملكناه، وأوضح لنا من مشكلاتها ما تشعب فسلكناه، فصار لنا الكلام عبداً يجيب إذا ناديناه، وسهماً يصيب الغرض إذا رميناه" (٥) تظهر هذه المقدمة الاتجاه الذي سيسلكه الفتح في ترجماته، إذ تدور حول مواقفه منها ومدى رضاه عنها، خاصة وهي تدور في فلك الكلام الذي صار عبداً له، ولذا ذكر المقرئ ناقلاً عن ابن سعيد نقد فضلاء الأندلس للفتح في خطبة القلائد لاشتمالها الخطأ (٦)، وامتداداً لهذه المقدمة سيظهر الفتح في ترجمات الآخرين شخصاً رئيساً ففي إحدى الترجمات يتحول السرد إلى سيرة ذاتية للفتح: "وفي أيام مقامي

(١) المصدر السابق، ص ١١٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٨٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٨٩.

(٥) المصدر السابق، ص ٢.

(٦) المقرئ، نفح الطيب، ٣٥/٧.

بالعدوة اتفقت بيني وبين أبي يحيى بن محمد... مودة استحکم تواخيها، وشدت أواخيها، وغدونا بها حليفي صفاء وأخلاص... فوقع بيني وبينه في بعض الأيام تنازع أدى بنا إلى الانفصال، وتعطيل تلك البكر والأصال، ثم نمت إلى عنه قول ضاق به ذرعي، وأجثت منه أصلي وفرعي، فكلما صديني عن الرحلة صممت، ونكثت من عرى التلوي ما كنت أبرمت، وبعد انفصالي علمت أن ذلك القول غدا زوراً^(١)، وفي ترجمة الوزير أبي جعفر يستطرد بالحديث عن حياته: "حللت حامة بجانة ليلاً، وجفونها بالظلام مكتحلة، ومتونها من الأنس ممحلة، فتشوفت مستوحشا، ووقفت منكمشاً لا أجد أين أريح، ولا أرى مع من أستريح..."^(٢) ويكمل في تفصيل لما حدث له مستطرداً في ذكر ما جرى بينهما.

ثالثاً-تعليقه على بعض المواقف وتدوين آرائه الشخصية حول الأحداث:

إن سيرة الفتح غير المرضية المتجسدة في القصص المذكورة عنه حول شرب الخمر وإقامة الحد عليها بحكم من القاضي عياض^(٣)، وكذلك اتهامه بالكذب وسخرية ابن باجة منه جعلت موضعه خفيضاً بين معاصريه^(٤)، وقد سعى الفتح لنفي ذلك عنه عبر إظهار ملكاته وتدوين مواقفه مما يؤكد حضوره الدائم وينفي عنه ما وسم به من خلاعة وسوء، وقد أكد حبه لذاته وأن تخلد قصته بالذكر الحسن دون الذكر السيء في قصة معروفة ذكرها ابن الخطيب مفادها أن الفتح عزم على إسقاط اسم القاضي من كتابه قلائد العقيان، فنصح ألا يفعل، ولما سأل عن السبب قيل له: "قصتك معه من الجائز أن تنسى، وأنت تريد أن تتركها مؤرخة، إذ كل من ينظر

(١) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٥٢٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٨٦.

(٣) للاستزادة ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٠٩/٤.

(٤) للاستزادة ينظر: المصدر السابق، ٢١٠/٤.

في كتابك يحدك قد ذكرت فيه من هو مثله ودونه في العلم والصيت، فيسأل عن ذلك، فيقال له، اتفق معك كيت وكيت فيتوارث العلم عن الأكابر الأصاغر " فتبين للفتح إصابة منطقة فأبقى عليه ولم يحذفه^(١). وقد وجد الفتح ملاءمة تضمنين تراجمه آرائه الذاتية حول الأشخاص والأحداث، فحضرت بما يتجاوز حضور المترجم، ففي أثناء ترجمته للمعتمد يستطرد في ذم باديس بن حبوس رئيس غرناطة، يقول عنه: "ناهيك من رجل لم يبت من ذنب على ندم... وما زال متقدماً في مناحيه مفتقدا لنواحيه، لا يرام بريث ولا عجل، ولا يبيت له جار إلا على وجل، إلى أن وكل أمره إلى أحد اليهود واستكفاه، وجرى في ميدان الإهمال حتى استوفاه"^(٢)، وكذلك حين يترجم لوزير الكاتب أبي محمد بن عبد الغفور، يقول: "كنت نويت ألا أثبت له ذكراً، ولا أعمل فيه فكراً، وأقطع الإهمال مسرحاً..."^(٣) ومع ذلك فإنه يورده لحسناته، متجنباً التعصب والباطل فيقول: "فقد علم الله أني أنحرف عن التعليل، وأغفر الكثير للقليل، وأتغافل عن الهنات، لذوي الهيئات، وأخذ الحسنة من أثناء السيئة"^(٤) وأهم من ذلك في ترجمته لابن باجة يرجع فيقول: "وله نظم أجاد فيه بعض إجادة، وشارف الإحسان أو كاده"^(٥)، وكل ذلك يؤكد أن المترجم سيتناول جانباً من المترجم لا كل الجوانب وهي ليست قطعية فالمترجم قد يكون مغايراً عند المترجمين الآخرين. لكننا سنلاحظ رغم ذلك كيف يحضر الموقف الفردي مع ابن باجة في رسم صورة ابن باجة، فنحن نراه بعين الفتح بن خاقان، نستطيع تبين ذلك من الحكيم الذي

(١) للاستزادة ينظر: المصدر السابق، ٢٠٩/٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٨١.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٦٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٦٧.

(٥) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٩٣٢.

يجعلنا نقرأ سيرة الفتح بدلا من ابن باجة، وموقف المتلقي من ابن باجة يولد من موقف الفتح منه. يتقارب فهم السارد من فهم المؤلف، ويتطابق موقفهما الواقعي والتخييلي داخل النص المحكي، فالسارد تعبير عن مواقف المؤلف بالأفعال والألفاظ، يلاحظ ذلك في موقف الفتح من بعض الأحداث من ذلك على سبيل المثال: تشنيعه على ابن أبي الخصال، وأبي يحيى الحاج الذي وقع بينه وبين أبي الفتح نزاع وصراع: "أبرموا من كيدهم ما غدا بيد القدر مفصوما، وفي أثناء بغيتهم، وخلال حربهم الويل وسعيهم، كانت ترد عليهم من قبله -أيده الله- كتب تحل ما ربطوه"^(١). يستعمل المؤلف في مواقف متعددة تطابق الشخصية والسارد والمؤلف، فيتحدث السارد عن الشخصية بضمير المتكلم فتكون أشد التصاقاً بها، وتصبح الشخصية المركزية في الخبر هي ذات السارد، التي تحيل وفق التسلسل الصحيح إلى ذات المؤلف.

رابعا- معرفته العميقة بعجز الغير: ساهمت جرأة الفتح على تسلطه بلسانه، وقد وُسم بأنه بذيء اللسان قوي الهجاء، إضافة إلى ذلك فإن كثرة ارتحال الفتح وتبذله قاداته إلى تأليف كتابه وفق نمط عجيب، ذكره جمال الدين الأكرم مفاده أنه أرسل إلى ملوك الأندلس وأعيانها يعرفهم بعزمه في تأليف الكتاب، ويسألهم إرفاق شيء من شعرهم ونثرهم، ولأنهم يعرفون منه ما يعرفون من شر ومثلية كانوا يرسلون إليه ما يريد مع صرر من الدنانير اتقاء لشره، فمن رضي منه الصلة أحسن وصفه في كتابه، ومن تغافل عنه هجاه^(٢)، وهذا ما جعله قادراً على استبطان الغير وإدراك عجزهم. وقد كتب الفتح تراجمه وهو يطالع المثل العليا، غير أن هذا المفهوم يتحول تدريجياً في ترجماته من إثبات التطابق مع المثل إلى ما يعتري الإنسان من ضعف

(١) المصدر السابق، ص ٥١٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٩١.

وعلل، فيتدخل الفتح في وصف رغبات النفس، واضطرابها وما تشعر به، ويدخل النفس في مأزق وصراع داخلي وذلك من خلال نشر خوالج النفس والصراعات النفسية، وهو يحكي مثلاً حال أبا اليسع: "فوصل وما للأمن في فؤاده وصول، وهو يتخيل أن الجو صوارم ونصول، بعد أن وصى بما خلف، وودع من تخلف"^(١)، أو من ترجمة ابن زيدون: "وكان له مع أبي الوليد بن جهور تألف أحرمًا بكعبته وطافاً، وسقيه من تصافيهما نطقاً... إلى أن وقع له طلب أصاره إلى الاعتقال، وقصره عن الوخد والأرقال، فاستشفع بأبي الوليد وتوسل، واستدفع به تلك الأسنة المشرعة والأسل، فما ثنى إليه عنان عطفه، ولا كف عنه استئنان صرفه..."^(٢)، وكما فعل مع الحاج أبي عامر: "دخل مصر وهو سار في ظلم البوس، عار من كل لبوس... فنزل بأحد شوارعها، لا يفترش إلا نكده، ولا يتوسد إلا عضده"^(٣).

خامساً- ما يقوله المترجم/ الآخر عن المؤلف الذي يكتب الترجمة: لعل دافعاً خفياً للفتح في قلائده يظهر حين نتبين قدره الذي أغفله معاصروه، ولم يذكر إلا بعد وفاته، فالفتح ذو حظ في البلاغة وتصريف الكلام، كما شهد بذلك ابن الأبار: "كان قائماً على الآداب مرسلاً بليغاً"^(٤) وابن سعيد بقوله: "وَالْفَتْحُ أَقْدَرُ عَلَى الْبَلَاغَةِ وَكَلَامِهِ أَكْثَرُ تَعَلُّقاً بِالْأَنْفُسِ"^(٥)، ولسان الدين ابن الخطيب: "آية من آيات البلاغة، لا يشقّ غباره، ولا يدرك شأوه، عذب الألفاظ ناصعها، أصيل المعاني

(١) المصدر السابق، ص ٦٤.

(٢) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٢٠٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٨٩١.

(٤) ابن الأبار، المعجم، ص ٣٠٠.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، ٤/٢١٠.

وثيقها، لعباً بأطراف الكلام، معجزاً في باب الحلى والصفات"^(١) وقد أثر الفتح أن يبين منزلته هذه عن طريق المترجمين الذين لاقوه بالضرورة، وحينها يسرد الفتح وصف المترجمين له ورأيهم فيه، ففي أثناء التراجم نجده حاضراً في مكاتبات الأشخاص الأعيان من ذلك ما كتبه له ذو الوزارتين أبو الحسن بن الحاج: "واحدى أبا النصر، مثني الوزارة، كيف أستسقي لموضع احتلالك، وحسبه صوب نوالك، وأم تري الغمام لمنزلك، وقد كفاها فيض أناملك..."^(٢)، ومثله الفقيه أبو محمد بن سماك الذي كتب للمؤلف يقول: "وإن أبا نصر ناظم سلك البلاغة، وقائد زمام البراعة سحبان في زمانه، وقس في أوانه، وابن المقفع في مكانه، والجاحظ في بيانه إذا أوجز أعجز وإذا شاء أطال وأطلق من البلاغة العقل، وأتى من ذلك سحرًا حلالاً، وسقاه عذباً زلاً، لا أصل للكتابة أصولاً، وفصل أبوابها تفصيلاً، وحصل أغراضها تحصيلاً"^(٣) فالفتح يكتب سيرة غيره، وغيره يكتبون سيرته، وقد ألف الفتح سلسلة تراجمه لحفظ ما لهم، كما يحفظون ما له.

يظهر مما سبق أن سيرة الفتح عند مجتمعه غير مرضية، فقاومها بكتابة سيرة غيره، التي اقتحمها الفتح فوضع في أثناءها سيرته الذاتية، متفرقة مبثوثة علّها تصلح شيئاً من سيرته المعروفة.

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٠٨/٤.

(٢) الحموي، معجم الأدباء، ٢١٦٤/٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٤٤.

الختام

عالج البحث حضور سيرة الذات في كتابة السيرة الغيرية عند الفتح بن خاقان في كتابه القلائد، وانتهى إلى عدد من النتائج:

- قيام تراجم الفتح على فن السيرة الغيرية، وقد توافر فيها الشكل اللغوي، والموضوع المطروق، وتطابق المؤلف والسارد، وعدم التطابق بين الشخصية الرئيسة والسارد.
- توفرت البنية السردية في تراجم الفتح: المترجم، والترجمة، والمترجم له، وحضرت بنمط محدد ومتصل على طول التراجم.
- انبثقت سير الغير عند الفتح من المجتمع/نحن، والذات/أنا عبر دوائر ومستويات مختلفة، فانعكست على تراجمه بالتنميط للطبقات، أو الجماعات القومية، وهي تعبر عن نحن/أنا وتصوراتها.
- تسربت سيرة الفتح أثناء سيرة الغير، وحضرت مغطية سيرته وشخصيته ونبوغه.
- تجسدت سيرة الفتح في عدة صور أهمها: حديث الشخصيات المترجمة عنه، وبيان موقفه والتعليق بأرائه، وحضوره شخصية رئيسة في عدد كبير من التراجم، وإظهار قدراته، واستبطانه الغير، ومعارفه الواسعة.

مراجع البحث

- إبراهيم، عبدالله، السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- ابن الأبار، محمد بن عبدالله، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبدالسلام الهراس، لبنان: دار الفكر للطباعة، ١٩٩٥م.
- ابن الأبار، محمد بن عبدالله، المعجم في أصحاب الصدي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ابن الخطيب، محمد بن عبدالله، الإحاطة في أخبار غرناطة، بيروت: دار الكتبة العلمية، ١٤٢٤هـ.
- ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: السيد عزت العطار، القاهرة: الخانجي، الطبعة الثانية، ١٩٥٥م.
- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن عبيد الله، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسين خريوش، إربد: الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن عبيد الله، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون، بيروت: دار العلم للجميع للطباعة والنشر، ١٩٥٥م.

- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٥٥م.
- ابن فرحون، إبراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة: دار التراث للطبع والنشر.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: اليازجي وجماعة، بيروت: دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- الأصفهاني، العماد، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، تونس: الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية.
- أمين، أحمد، تراجم الرجال في الأدب العربي، مصر: مجلة الثقافة، العدد ٤٠، أكتوبر ١٩٣٩م.
- البزري، دلال، الآخر المفارقة الضرورية، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، تحرير: الطاهر ليب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١٩٩٩م.
- جنيت، جيار، خطاب الحكاية بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتمد وآخرون، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.
- شهاب الدين أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: سعيد أعراب، وعبد السلام الهراس، صندوق إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٠م.
- عباس، إحسان، فن السيرة، بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

- الغامدي، صالح معيض، كتابة الذات-دراسات في السيرة الذاتية، بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- فارو، جان، الآخر بما هو اختراع تاريخي، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، تحرير: الطاهر ليب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١٩٩٩م.
- لوجون، فيليب، السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة: عمر حلي، بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- ماي، جورج، السيرة الذاتية، تعريب: محمد القاضي وعبدالله صوله، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ط ٢٠١٧م.
- المبخوت، شكري، سيرة الغائب سيرة الآتي، تونس: دار الجنوب للنشر، ط ١٩٩٢م.
- مجموعة من اللغويين، المعجم الوسيط، القاهرة: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية.
- محمد، أبو عبدالله، التعريف بالقاضي عياض، تحقيق: محمد بن شريفة، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
- المراكشي، ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان وبروفنسال، بيروت: دار الثقافة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.
- المراكشي، محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، ومحمد بن شريفة، وبشار عواد معروف، تونس: دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٢م.
- المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر أخبار وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م.

- هارلي، فيلهو، مفهوم وموارث العدو، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، تحرير: الطاهر لبيب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١٩٩٩ م.
- يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧ م.

References

- ebrahym, 'ebdallh, alsrdyh al'erbyh bhth fy albnyh alsrdyh llmwrwth alhka'ey al'erby, byrwt: almrkz althqafy al'erby, altb'eh alawla, 1992m.
- abn alabar, mhmd bn 'ebdallh, altkmlh lktab alslh, thqyq: 'ebdalslam alhras, lbnan: dar alfkr lltba'eh, 1995m.
- abn alabar, mhmd bn 'ebdallh, alm'ejm fy ashab alsdfy, thqyq: ebrahym alabyary, alqahrh: dar alktab almsry, altb'eh alawla, 1410h.
- abn alkhtyb, mhmd bn 'ebdallh, alehath fy akhbar ghrnath, byrwt: dar alktbh al'elmyh, 1424h.
- abn bshkwal, khlf bn 'ebdalmlk, alslh fy tarykh a'emh alandls, thqyq: alsyd 'ezt al'etar, alqahrh: alkhanjy, altb'eh althanyh, 1955m.
- abn khaqan, abw nsr alfth bn 'ebydallh, qla'ed al'eqyan wmmasn ala'eyan, thqyq: hsyn khrywsh, erbd: altb'eh alawla, 1431h/2010m.
- abn khaqan, abw nsr alfth bn 'ebydallh, mtmh alanfs wmsrh altans fy mlh ahl alandls, thqyq: mhmd 'ely shwabkh, byrwt: m'essh alrsalh, altb'eh alawla, 1403h/1983m.
- abn khlkan, shms aldyn ahmd bn mhmd, wfyat ala'eyan wanba' abna' alzman, thqyq: ehsan 'ebas, byrwt: dar sadr, altb'eh alawla, 1994m.
- abn dhyh, abw alkhtab 'emr bn hsn, almtrb mn ash'ear ahl almghrb, thqyq: ebrahym alabyary wakhrwn, byrwt: dar al'elm lljmy'e lltba'eh walnshr, 1955m.
- abn s'eyd, abw alhsn 'ely bn mwsa, almghrb fy hla almghrb, thqyq: shwqy dyf, alqahrh: dar alm'earf, altb'eh althalthh, 1955m.
- abn frhwn, ebrahym bn 'ely, aldybaj almdhb fy m'erfh a'eyan 'elma' almdhb, thqyq: mhmd alahmdy abw alnwr, alqahrh: dar altrath lltb'e walnshr.

- abn mnzwr, jmal aldyn mhmd bn mkrm, lsan al'erb, thqyq: alyazjy wjma'eh, byrwt: dar sadr, altb'eh althalthh, 1414h.
- alasfhany, al'emad, khrydh alqsr wjrydh al'esr, thqyq: adrtash adrnwsh, twns: aldar altwnsyh llnshr, altb'eh althanyh.
- amyn, ahmd, trajm alrjal fy aladb al'erby, msr: mjlh althqafh, al'edd 40, aktwbr 1939m.
- albzry, dlal, alakhr almfarqh aldrwryh, swrh alakhr al'erby nazrana wmnzwrana elyh, thryr: altahr lbyb, byrwt: mrkz drasat alwhdh al'erbyh, t1999m.
- jnyt, jyrar, khtab alhkayh bhth fy almnhj, trjmh: mhmd m'etsm wakhrwn, alhy'eh al'eamh llmtab'e alamyryh, altb'eh althanyh, 1997m.
- alhmwy, shhab aldyn yaqwt bn 'ebdallh, m'ejm aladba', thqyq: ehsan 'ebas, byrwt: dar alghrb aleslamy, altb'eh alawla, 1414h-1993m.
- alzrkly, khyr aldyn bn mhmwd, ala'elam, dar al'elm llmayyn, altb'eh alkhamsh 'eshrh, 2002m.
- shhab aldyn ahmd bn mhmd, azhar alryad fy akhbar alqady 'eyad, thqyq: s'eyd a'erab, w'ebdalslam alhras, sndwq ehya' altrath aleslamy, 1980m.
- 'ebas, ehsan, fn alsyrh, byrwt: dar sadr, altb'eh alawla, 1996m.
- alghamdy, salh m'eyd, ktabh aldat-drasat fy alsyrh aldatyh, byrwt: almrkz althqafy al'erby, altb'eh alawla, 2013m.
- farw, jan, alakhr bma hw akhtra'e tarykhy, swrh alakhr al'erby nazrana wmnzwrana elyh, thryr: altahr lbyb, byrwt: mrkz drasat alwhdh al'erbyh, t1999m.
- lwjwn, fylyb, alsyrh aldatyh walmythaq waltarykh aladby, trjmh: 'emr hly, byrwt: almrkz althqafy al'erby, altb'eh alawla, 1994m.

- may, jwrj, alsyrh aldatyh, t'eryb: mhmd alqady w'ebdallh swlh, alqahrh: r'eyh llnsr waltwzy'e, t 2017m.
- almbkhwt, shkry, syrh algha'eb syrh alaty, twns: dar aljnwb llnsr, t1992m.
- mjmw'eh mn allghwyyn, alm'ejm alwsyt, alqahrh: mjm'e allghh al'erbyh balqahrh, altb'eh althanyh.
- mhmd, abw 'ebdallh, alt'eryf balqady 'eyad, thqyq: mhmd bn shryfh, almgrrb: wzarrh alawqaf walsh'ewn aleslamyh, altb'eh althanyh, 1982m.
- almrakshy, abn 'edara, albyan almgrrb fy akhbar alandls walmgrrb, thqyq: kwlan wbrwfnsal, byrwt: dar althqafh, altb'eh althalthh, 1983m.
- almrakshy, mhmd bn mhmd, aldyf waltkmlh lkaby almwswl walslh, thqyq: ehsan 'ebas, wmmhd bn shryfh, wbsar 'ewad m'erwf, twns: dar alghrb aleslamy, 2012m.
- almqry, shhab aldyn ahmd bn mhmd, nfh altyb mn ghsn alandls alrtyb wdkr akhbar wzyrha lsan aldyn bn alkhtyb, thqyq: ehsan 'ebas, byrwt: dar sadr, 1997m.
- harly, fylhw, mfhwm wmwaryth al'edw, swrh alakhr al'erby nazrana wmmzwrana elyh, thryr: altahr lbyb, byrwt: mrkz drasat alwhdh al'erbyh, t1999m .
- yqtyn, s'eyd, thlyl alkhtab alrwa'ey, byrwt: almrkz althqafy al'erby, altb'eh althalthh, 1997m.

**البطل الإشكالي في خبر نبأشة القبور
للقاضي أبي علي التَّنُوخي**

**د. أسماء بنت صالح المبارك
قسم الآداب — كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**





البطل الإشكالي في خبر نبأشة القبور للقاضي أبي علي التَّنُوخي
د. أسماء بنت صالح المبارك
قسم الأدب — كلية اللغة العربية — جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤٥/٧/٢١ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤٤٥/١١/١٩ هـ

ملخص الدراسة:

يُقدم هذا البحث دراسة حول البطل الإشكالي في (خبر نبأشة القبور) للقاضي أبي علي التَّنُوخي، الذي عاش في القرن الرابع الهجري، من خلال استخلاص أهم الخصائص التي تُميز البطل الإشكالي في الأعمال السردية بشكل عام، حسبما جاءت به التنظيرات الغربية الحديثة التي من أشهرها: كتاب نظرية الرواية، جورج لوكاتش (Georg Lukács) وكتاب مقدمات في سوسيولوجية الرواية، لوسيان جولدمان (Lucien Goldmann) وإسقاطها على شخصية الفتاة (البطل) بهدف إثبات وجود هذا النوع من الأبطال في تراثنا السَّردي العربي.

الكلمات المفتاحية: البطل الإشكالي، نبأشة القبور، الخبر، القاضي التَّنُوخي

The Problematic Hero in The Story of the She-Grave-Digger by Judge Abi

Ali Al-Tanukhi.

Dr. Asma Saleh Almubarak

Department of Literature – Faculty of Arabic Language - Imam Mohammad
Ibn Saud Islamic University

Abstract:

This research provides a study of the problematic hero in " The Story of the She-Grave-Digger by Judge Abi Ali Al-Tanukhi, who lived in the fourth Hijri century. The study extracts the key characteristics that distinguish the problematic hero in narrative works in general, based on modern Western theories, notably (Georg Lukács) Theory of the Novel and (Lucien Goldmann's) Introduction to the Sociology of the Novel. These theories are applied to the character of the girl (the heroine) with the aim of proving the existence of this type of hero in our Arab narrative heritage.

Keywords: problematic hero, Khabar Nibashat Alquboor, narrative, Judge Al-Tanukhi

المقدمة:

تظهر الشخصية الإشكالية بعلاقة تواصلية جدلية بين قيمها وقيم مجتمعتها، وتتميز بنزوعها ضد المألوف القيمي في المجتمع، ولذا تقف أمام تلك القيم موقف الرفض الداخلي الذي يؤول إلى فشل في التغيير، فينشأ في داخلها تمرد على الواقع بقيمه المتناقضة.

وقد برزت صورة البطل الإشكالي في الأعمال السردية متأرجحة بين ذاته وقيم مجتمعه، فهو ليس حاضراً بهيئته الإيجابية ولا بهيئته السلبية، وإنما يجيء بطلاً باحثاً عن واقع جديد؛ لعدم قدرته على تقبل واقعه.

١. فما مفهوم البطل الإشكالي؟

٢. ما أهم الأسباب التي أسهمت في ظهور شخصية البطل الإشكالي؟

٣. ما سمات البطل الإشكالي في خبر نبأشة القبور كما رسمها التتوخي؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة جاءت هذه الدراسة؛ محاولة للكشف عن أبعاد صورة البطل الإشكالي وتظاهراته في تراثنا السردية من خلال هذا الخبر.

وقد اتكأت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف جوانب الظاهرة جميعها، ثم يقوم بتحليلها؛ لاستظهار صورة البطل الإشكالي الذي يفشل في إحداث توافق بين قيمه الذاتية التي يؤمن بها وقيم مجتمعه.

ويُرد اختياري لدراسة صورة البطل الإشكالي إلى قلة عناية النقاد به
أضف إلى ذلك قلة الدراسات النقدية - حسب اطلاعي - في مظهرات البطل
الإشكالي في أدبنا العربي.

أما سبب اختياري للخبر عند القاضي أبي علي التَّنُوخي؛ فالتَّنُوخي
من أدباء القرن الرابع الهجري الذين فاقوا في كتاباتهم الأدبية أدباء عصره، فقد
تميزت أخباره بالحبكة المتطورة التي تدل على حسه القصصي العميق والدقيق؛
ساعده على ذلك اطلاعه الغزير على مختلف الثقافات، وامتلاكه وعي عميق
بقضايا مجتمعه فهو قاض خَبَر أحوال المجتمع وظروفه، فأصبح لديه معرفة كبيرة
بالنفوس البشرية وصراعاتها النفسية والفكرية، إضافة لذلك كله فالتَّنُوخي نفسه
تعرض لمحن وصراعات في حياته، أسهمت في إبراز صورة البطل الإشكالي في
ثورته، وحيرته وتردده، وصراعه مع مجتمعه المحيط به، فنحن إزاء أديب امتلك
أدوات الكتابة مع عمق التجربة.

وقد بُنيت الدراسة على: تمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

التمهيد: تعريف بمفهوم البطل الإشكالي كما جاءت به التنظيرات
الغربية وأشهرها: (كتاب نظرية الرواية) لجورج لوكاتش، وكتاب (مقدمات في
سوسيولوجية الرواية) للوسيان جولدمان، وتُعد دراسة محمد عزّام في كتابه

(البطل الإشكالي في الرواية العربية المعاصرة) من الدراسات القيمة في هذا المجال.

المبحث الأول: تعريف بالتَّنوخي: اسمه ونشأته، ومصنفاته، ووفاته.

المبحث الثاني: سيعنى باستجلاء مظاهر البطل الإشكالي في خبر نبَّاشة القبور، ومدى تحقق سماته وخصائصه في شخصية الفتاة.

وستكون الخاتمة لأبرز النتائج والتوصيات التي خرج بها البحث.

يليهما ثبت بالمصادر والمراجع التي استعانت بها الدراسة.

التمهيد: مفهوم البطل الإشكالي^(١):

يُطلق مصطلح البطل^(٢) على الشخصية الرئيسة في الأعمال السردية، ويُعد الاهتمام بشخصية البطل في الدراسات النقدية من الأمور المهمة التي تثير التساؤلات حول ميزاته التي يفرق بها عن غيره، كما تظهر أهميته من خلال قدرته على نقل رؤية الكاتب التي يروم إيصالها، "وتكاد تُجمع الدراسات الفلسفية الحديثة على أن البطل لم يعد ذلك الشخص المتميز في شجاعته وقوته، بل هو الإنسان العادي البسيط في ميوله، وبواعثه النفسية والاجتماعية المختلفة"^(٣).

^(١) المعنى اللغوي للفظـة (الإشكالي) يشير إلى عدم الوضوح والالتباس والتذبذب، وهذا الالتباس هو مصدر التساؤل والحيرة والبحث عن الحقيقة، أمور أشكال: ملتبسة، وبينهم أشكـلة: أي لبس، والمشكـلة: هي الأمر الصعب الملتبس. انظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مادة (شكل).

^(٢) تحيل المعاجم العربية إلى صفات الشجاعة والقوة والتميز بين الناس عند تعريفها للفظـة البطل، انظر: لسان العرب، القاموس المحيط مادة (بطل).

^(٣) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، د. إبراهيم حمادة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٨٥م، ص ١٥. وانظر أيضاً: معجم النقد الأدبي، ترجمة وتحرير: كامل عويد العامري، دار المأمون للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص ٢١٨. معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٣٤.

ولصورة البطل أهمية كبيرة في أي عمل سردي، فهو المحرك الرئيس للأحداث، ولذا فهو أهم عناصر البناء السردى؛ لما يتميز به من تأثير على سير العمل الأدبي، وهو من أهم العناصر التي بُنيت عليها الأساطير، والملاحم والحكايات الشعبية، فقد نجد أنَّ شخصية ما قد لا تستطيع أن تتشكل كذات واقعية ولكنها رغم ذلك تُعد بطلاً^(١)، "فالبطل لم يعد كائناً متميزاً على سائر المخلوقات مثلما كان الإيمان بهذا سائداً قبل القرن التاسع عشر بل هو كبقية الكائنات الأخرى خاضع للبحث والتجريب ما دام نتاجاً لعاملين أساسيين: الوراثة، والبيئة، ولم يعد هناك مجال للبطل الجليل ذي المكانة العالية، وإنما أصبح البطل من عامة الناس"^(٢)، ومن هنا تكون البطولة مرتبطة بذات الكاتب، وواقعه، ووجهات نظره تجاه قضايا عصره ومجتمعه.

ولشخصية البطل الإشكالي أهمية كبيرة بوصفها: "العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترايط وتتكامل في مجرى الحكى"^(٣)، ولا يتركز هذا الاهتمام من حيث تنظيمه لحركة الشخصيات الأخرى في الأحداث السردية فحسب، وإنما بوصفه القادر على تمثيل الخطابات المتحيزة

(١) انظر: سميولوجية الشخصيات الروائية، فيليب هامون، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٣ م ص ٧٥.

(٢) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، د. إبراهيم حمادة، ص ٢٨٧.

(٣) قال الراوي، البنات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٧ م، ص ٨٧.

والاستراتيجيات القائمة^(١).

ويعد مصطلح البطل الإشكالي من المصطلحات النقدية المتداولة في مجال النقد الاجتماعي، اتسمت بها الرواية الواقعية خلال القرن التاسع عشر^(٢)، ومن المهم أن نحدد مفهومه قبل الولوج إلى مظهراته في الخبر فالإشكالي هو نعت للشخصية، وتحديدًا هو نعت لشخصية البطل.

وفي تحديد هذا المفهوم سأركز على أهم مصدرين في هذا المجال، هما: تنظير جورج لوكاتش^(٣) حول الرواية ونشأتها في كتابه (نظرية الرواية)^(٤)، وتنظير

(١) انظر: الشخصية الإشكالية من منظور السلطة والخضوع في رواية حائط المبكي، لعز الدين جلاوي، عبدالعزيز نصرأوي، مجلة الموروث جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، كلية الأدب العربي والفنون، الجزائر، المجلد/٩، العدد/١، ٢٠٢١م، ص ١٠١.

(٢) انظر: البطل الإشكالي في مقامات الهمداني، رفيدة محجوبي، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ٢٠١٩م ص ١٤.

(٣) جورج لوكاتش: أحد رواد النقد والفلسفة المعاصرة، وضع عدة مؤلفات أساسية في سوسيولوجيا الفكر عامة والرواية خاصة، ووضع عدة مفاهيم سوسيولوجية أدبية اعتمد عليها جولدمان في تطوير بحثه، كمفهوم البطل الإشكالي، ومفهوم البنية، التوليدية (الدينامية). من أهم مؤلفاته: نظرية الرواية (١٩٥٤م) معنى الواقعية (١٩٦٠م). قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، د. سمير سعيد حجازي، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٧٩.

(٤) ونظرية الرواية: مفهوم محدد في النقد يقصد به دراسة أصول الرواية ونشأتها، وأشكالها، واستخلاص أهم قواعدها الجمالية التي تتأسس عليها، أو دراسة تاريخ الرواية وأنماطها الجمالية

لوسيان جولدمان^(١) في كتابه (مقدمات في سوسيولوجية الرواية) فقد طرح لوكاتش مسألة البطل الإشكالي في كتابه، وميَّز فيه بين أنواع الأبطال في الأعمال السردية، وأطلق مصطلح البطل الإشكالي على بعض أبطال الأعمال الروائية في عصره، وقد استحسن جولدمان هذه التسمية التي تميز وجود هذا النوع من الأبطال بقوله: "أطلق عليه لحسن الحظ مصطلحاً مناسباً جداً هو مصطلح (البطل الإشكالي)"^(٢).

وقد "ظهر هذا المصطلح في دراسات لوكاتش ودراسات جولدمان للدلالة على الشخصية الرئيسية في الأثر الأدبي، التي تثير تساؤلات وتطرح

أو الأدبية بصورة تميل إلى التجريد للوصول إلى القواعد والمفاهيم العامة. قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، د. سمير سعيد حجازي، ص ١٤٤.

(١) لوسيان جولدمان: فيلسوف وناقد وعالم اجتماعي، وأحد مؤسسي السوسيولوجيا الحديثة للأدب، جمع في أعماله بين علم الاجتماع والنقد الأدبي، واعتبر الأثر الأدبي يتغير بتغير بنية البيئة أو الوسط الاجتماعي، الأمر الذي جعل منه رائداً من رواد النقد الجديد والجديد لدى جولدمان أنه أعطى الصدارة للبيئة على الواقع الاجتماعي وحاول أن يكشف العلاقة بين بنية الأثر وبنية فكر الكاتب والجماعة التي يرتبط بها اقتصاديا واجتماعيا وتاريخيا، انطلاقاً من مفهوم البنيوية التوليدية (الدينامية). أهم مؤلفاته: بحوث دياكتيكية (١٩٤٩م) نحو سوسيولوجيا الرواية (١٩٦٤م). قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، د. سمير سعيد حجازي، ص ٦١.

(٢) مقدمات في سوسيولوجية الرواية، لوسيان جولدمان، ترجمة: بدر الدين عروذكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ١٤.

قضايا ترتبط بقيم المجتمع والحضارة، وتبرز وجود تناقض قائم بين الشخصية والعالم في المجتمع الاستهلاكي الحديث^(١).

ولذا فالبطل لا يظهر في تلك الأعمال بصفته المجردة التي تمثل البطولة فقط، بل بصفته الإشكالية التي تمخضت عن عوامل تاريخية، وثقافية، واجتماعية، ونفسية، تختلف من بيئة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر باختلاف تلك العوامل، ومدى تأثيرها.

فالبطل الإشكالي هو بطل متردد بين عالمين: عالم الذات الذي يمثل القيم الأصلية التي تؤمن بها الذات إيماناً كاملاً، وعالم الواقع الذي يمثل المجتمع بكل ما يحمل من قيم تنافي تلك القيم الأصلية "ويجب أن نفهم من تعبير القيم الأصلية بالطبع، لا القيم التي يُقدّر الناقد أو القارئ أصالتها، وإنما تلك التي تنظّم بصورة ضمنية مجموع عالم الرواية دون أن يكون حضورها فيه واضحاً"^(٢).

ولذا فهو متردد بين مثالية الذات، وواقعية المجتمع التي تركت أثراً سلبياً على ذاته، مما جعله يعيش اضطراباً في الشخصية بين الرغبة في تغيير الواقع، وعدم القدرة على تحقيق تلك الرغبة، ويبدو هذا الاضطراب واضحاً عندما يفشل البطل الإشكالي في تحقيق القيم الأصلية الذي يراها تحقيقاً لذاته.

(١) قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، سمير سعيد حجازي، ص ٦٤.

(٢) مقدمات في سوسيولوجية الرواية، لوسيان جولدمان، ترجمة: بدر الدين عرودكي، ص ١٤.

والبطل الإشكالي عند لوكاتش بطل يفتقد تقدير الآخرين، وتحقيق الذات في وسط غير مؤمن به وبقيمته، فيصبح بحثه عن القيم الأصيلة منحطاً؛ لأن وسائل بحثه غير سوية.

ولذا يتميز بحث البطل عن القيم الأصيلة بصفة الإشكالية التي تعني اضطراب الشخصية بين الرغبة في تغيير الواقع، وعدم القدرة على تجسيد تلك الرغبة عملياً؛ لأسباب ذاتية، "فالبطل في (نظرية الرواية) إشكالي؛ لأنه يبحث عن قيم أصيلة في عالم متدهور بحثاً متدهوراً" ^(١) ولذا عدّه جولدمان مجنوناً أو مجرماً ^(٢).

وصفة التدهور تشمل البطل والعالم "فالأول متدهور؛ لأنه يسعى إلى إيجاد قيم بطرق تناقض تلك القيم والثاني متدهور؛ لأنه لا يتوفر على

(١) معجم السرديات، د. محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص ٥٢.

(٢) انظر: مقدمات في سوسيولوجية الرواية، جولدمان، ص ١٥، ومقدمة إلى مشكلات علم اجتماع الرواية، جولدمان، ترجمة: خيري دومة، مجلة الفصول القاهرية، العدد ٢، المجلد ١٢، ١٩٩٣م، ص ٣٥.

إمكانية وجود تلك القيم فيه؛ لأنه عالم مسكون بالتشظي، وينتج عن هذا أن تظل القيم مقصية نسبياً؛ بسبب غياب فضاء تتحقق فيه^(١).

وقد أخذ لوكاتش فكرة البطل الإشكالي وبنى عليها معنى الشكل الروائي، وصورة الفرد المغترب الذي لا يتردد بين الشك واليقين، بل يظهر مضطرباً بين ذاته والجماعة، أو بين ذاته والعالم الذي يتأرجح بين التقبل والإقصاء، مما يجعله يعيش وضعاً متأزماً.

ولذا يرى جولدمان أن البطل الإشكالي هو بطل يبحث عن قيم أصيلة داخل مجتمع متدهور يقوم على الزيف، ولكي يحقق البطل الإشكالي هذه القيم داخل مجتمعه عليه أن يكون في صراع مستمر مع ذلك المجتمع أملاً في تحقيق ذاته أولاً، وتحقيق طموحات طبقته الاجتماعية وآمالها ثانياً "فجولدمان كغيره من النقاد والفلاسفة في حقل العلوم الإنسانية لم يكن أول من توصل إلى مفهوم البطل الإشكالي، إذ استسقى أسس مفاهيمه من علماء وفلاسفة علم الاجتماع الذين سبقوه كأستاذه لوكاتش، وهايدجر (Heidegger)، وجاين جانيت (Rene Girard) قبل أن يطور جولدمان نفسه فيما

(١) مقدمات في نظرية الرواية: لوكاش، جولدمان، باختين، المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت، مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، فايد محمد، العدد الأول، ٢٠١٧م، ص ٧٠.

بعد من هذا المفهوم، ويدعم أسسه في نظريته البنيوية التكوينية، كون البطل الإشكالي أحد أهم ركائزها^(١).

والصورة التي يقدمها لوكاتش تركز على رصد وعي البطل الإشكالي داخل مجتمعه، وعدم تلاؤمه مع واقعه، فهو يعاني قطيعة بينه وبين مجتمعه وبيئته وواقعه، ويتخذ عدم التلاؤم شكلين: إما أن يكون أوسع من العالم الخارجي المكون لمجال أفعاله، وإما أن يكون أضيق منه، فينتج عن ذلك أن النفس (الروح) للبطل تتسع أو تضيق في وعيها بالنسبة للعالم الخارجي وتعميداته، لكن في الحالتين معاً يفشل البطل أمام هذا الواقع؛ لأنه يظل مشدوداً إلى القيم، وإلى موطن الروح (الحقيقية) ولو من خلال صيغة غير مباشرة يسميها لوكاتش (الشيطنانية) في مقابل الصيغة الإيجابية المباشرة المفقودة^(٢)، متخذاً بذلك "موقفاً وسطاً بين البطل الإيجابي والبطل السلبي فإذا كان موقف الرغبة في الإصلاح ينظمه في عداد الأبطال الإيجابيين، فإن

(١) ملامح البطل الإشكالي في الرواية النسائية السعودية المعاصرة، الرقص على أسنة الرماح أنموذجاً، إبراهيم بن خلوقة المرحبي، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية، المجلد ٩، المجلد ٩، العدد ٢، ٢٠٢٢م، ص ٦.

(٢) انظر: الخطاب الروائي، ميخائيل باختين، ترجمة: محمد برادة، دار رؤية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ٢١.

موقف الاكتفاء بالتأمل النظري وعدم المساهمة الفعلية في البناء ينظمه في عداد الأبطال السليبين^(١).

فهو في حالة وسط بين البطل الخيّر الذي تصوره الملاحم، والبطل الذي ينزع إلى الشر حسب المفهوم السّردي، "وهو إشكالي يجد نفسه داخل مجتمع يخلو من القيم الأصيلة، ويرفض قيمه الأصيلة التي يؤمن بها ويرغب في تحقيقها، كما أنّ مسيرته تتشكل من كونها انطلاقاً من خنوع مبهم للواقع غير المتجانس الموجود مجرد وجود، والمحروم من الدلالة بالنسبة للفرد إلى معرفة واضحة بذاته"^(٢).

وتبدو صورة البطل الإشكالي إنساناً قلقاً بما هو قيمي وجمالي، فهو كائن لا يرى ضرورة لاستمرار حياة اختلت موازين القيم الجمالية والأخلاقية فيها، كما يلتفت لإحياء الجميل الذي بدأت الذاكرة الجماعية نسيانه^(٣).

(١) البطل الإشكالي في الرواية العربية المعاصرة، محمد عزام، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص ١١.

(٢) نظرية الرواية، جورج لوكاتش، ترجمة: الحسين سحبان، منشورات التل، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص ٧٦.

(٣) انظر: تظاهرات البطل الإشكالي في القصة القصيرة الجزائرية، حاج علي ليلي، مجلة فصل الخطاب، جامعة أحمد بن بلة، وهران الجزائر، المجلد ١١، العدد ٢، ٢٠٢٢م، ص ٢٨٥.

والبطل الإشكالي ليس مثالياً، فهو قادر على الخسارة لأبعد حد الخسارة الاجتماعية، ولكنه عنيد إلى حد المواجهة، وعلى كل فإنَّ البطل الإشكالي غير قادر على خيانة وعيه الخاص للعالم من أجل المجتمع، ومن هنا تبرز سلبية وهي ضرورة لا بد منها كما ذكر لوكاتش، يقول: "ينبغي على بطل الرواية أن يكون سلبياً، أو أن يكون غير نشط إلى أعلى مستوى على الأقل، وسلبية بطل الرواية هذه ضرورية لا بد منها؛ حتى نستطيع أن نبرز صورة العالم المتعاضمة من حوله وعلاقته بها"^(١).

فالبطل الإشكالي "ليس بطلاً إيجابياً لينتصر، ولا سلبياً ليخسر مباشرة، وإنما إشكالي يتردد بين الذات والواقع يعيش اضطراباً وتمزقاً أساسياً، وهو مأزوم في مآزق الحياة التي يحاول أن يحقق فيها ما تصبو إليه جماعته الاجتماعية التي ينتمي إليها دون أن ينجح في ذلك، بسبب شراسة الواقع الاجتماعي وماديته، فهو مجتمع لا يعترف بالقيم الإنسانية، بل بالقيم النفعية المادية البحتة"^(٢).

وهذا التأثير والتأثير بين الفرد ومجتمعه ينشئ صراعاً قائماً يعيشه البطل الإشكالي دون أن يرى نفسه مسؤولاً عن العالم الذي انحطت القيم فيه، وانهارت العلاقات التقليدية التي تفترض الصدق المطلق، والمسؤولية الكاملة، والوفاء

(١) نظرية الرواية، جورج لوكاتش، ص ٢٦.

(٢) ملامح البطل الإشكالي في الرواية النسائية السعودية المعاصرة، الرقص على أسنة الرماح أنموذجاً، إبراهيم بن خلوفا المرحبي، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية، المجلد ٩، العدد ٢، ٢٠٢٢م، ص ٦.

المطلق. والنماذج التي استقى لوكاتش منها تصوراته هي مجموعة من الروايات التي يظهر فيها الأبطال منشطرين بين رؤى ذاتية أصيلة

ومجموعة من التصورات الجماعية المنحطة، فموقفهم الإشكالي من هذين العالمين المتنازعين، وسعيهم للتعبير عن رؤاهم تجاه حالة الالتباس هذه أدّى إلى تمزيقهم بين قطبين يتعذر التوفيق بينهما^(١).

والبطل الإشكالي في محاولاته جميعها يريد أن يغير الواقع، لكنه يواجه صعوبات تجعله يشعر بالغربة وعدم الانتماء، فهو شخص تبني قيماً لا يعترف بها مجتمعه بسلبياته وتناقضاته، فيعيش صراعاً يؤول في النهاية إلى قهره وانكفائه على نفسه، أو انسياق المجتمع بشكل تدريجي إلى أفكاره "على اعتبار أن الإشكالية هي أولاً وقبل كل شيء إشكالية الذات في مسيرتها المكسورة، وإشكالية التاريخ في ترحلاته المهتزة"^(٢).

ولا تكمن إشكالية البطل في تعارض وعيه مع من حوله وحسب، بل تبرز إشكاليته في شعور الاغتراب وفقده الانتماء لمكان آمن أيضاً، ولذا فهو يعاني اغتراباً حسيماً ومعنوياً، والشعور بالاغتراب شعور ملازم للشخصية الإشكالية، وهو الذي يجعل البطل الإشكالي يظهر بصورة إنسان قلق، ولذلك رأى لوكاتش أنّ الشخصية الإشكالية لا تستمد هذا الطابع من نزوعاتها الخاطئة

(١) انظر: موسوعة السرد العربي، عبدالله إبراهيم، قنديل للطباعة والنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م ص ٦٠.

(٢) معضلة البطل الإشكالي في رواية (الافعى والبحر) عبدالرحمن بو علي، جامعة الشارقة، حوليات جامعة قلعة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد ٢٧، ٢٠١٩م، ص ١١٥.

المزعومة، وإنما تستمد من واقع كونها قد أرادت أن تحقق داخل العالم ما كان أدخل فيها وأشد غوراً^(١).

إن أكبر مشكلة تواجه البطل الإشكالي بوصفه بطلاً فلسفياً تعارض وعيه ووجوده مع الآخرين، وأزمة علاقة وعيه القلق مع أزمة الصراع السياسي والاجتماعي^(٢)، فيكون البطل الإشكالي بطلاً مأزومًا يعاني الضياع بسبب القيم التي يؤمن بها هو، ويرفضها مجتمعه.

وقد يتفق المعنى الاصطلاحي مع المعنى اللغوي هنا إلى حد بعيد في أنَّ البطل الإشكالي هو الشجاع، المأزوم، والملتبس، وهو - أيضاً - الشخصية التي تنتجها الثقافة السائدة.

وتشكل صورة البطل الإشكالي في الرواية الغربية "صراع الواقعية والمجتمع البرجوازيين، فكان لزاماً على الرواية - كما يرى جولدمان - أن ترفض كل القيم البرجوازية الزائفة للمجتمع المادي الذي كوَّنت طبيعته الرأسمالية علاقة الفرد بمجتمعه يجعلها علاقة غير إنسانية وبلا مغزى، أي علاقة نفعية تبادلية لا تتوافق مع قيم الطبقة أو الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها البطل"^(٣).

(١) انظر: نظرية الرواية، جورج لوكتاش، ص ١٣١.

(٢) انظر: البطل الإشكالي في مسرودات أحمد خلف، أحمد عواد الخزاغي، نظرة بنيوية تكوينية في ستة نصوص روائية، دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م، ص ٧.

(٣) ملامح البطل الإشكالي في الرواية النسائية السعودية المعاصرة، الرقص على أسنة الرماح أنموذجاً، إبراهيم بن خلوقة المرحبي، ص ٧.

ولا تختلف صورة البطل الإشكالي في أدبنا العربي عنها في الأدب الغربي فهي - أيضاً - قصة الواقعية والمجتمع الذي يرفض فيها البطل كل ألوان الظلم والقهر الاجتماعي، وقيم المجتمع المادية التي لا تهتم بالإنسانية ما يجعل العلاقة بين البشر علاقة نفعية تبادلية لا تتوافق مع قيم الطبقة أو الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها البطل^(١).

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٧.

المبحث الأول: التعريف بالقاضي التَّنُوخي

أولاً: اسمه ونشأته

ولد أبو علي المحسِّن^(١) بن القاضي^(٢) المحسِّن علي بن محمد بن داود بن الفهم التَّنُوخي^(٣) بالبصرة، في ليلة الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأول

(١) قال ابن خلكان: المحسِّن: بضم الميم، ورفع الحاء المهملة، وكسر السين وبعدها نون: يُنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٦٤/٤، ولكن ورد الاسم محرفاً إلى الحسن، عند الذهبي يُنظر: العبر في خبر من غير، شمس الدين الذهبي، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٦٦/٢. تاريخ بغداد، أبو بكر الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٥ / ١٩٩.

(٢) يُنظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، ٢ / ٤٠٥.

(٣) بفتح التاء المنقوطة من فوقها بائنتين، وضم الثُّون المخففة وفي آخرها الحاء المعجمة، هذه النسبة إلى تنوخ، وهو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التوازن والتناصر، وأقاموا هناك فسُموا تنوخاً، والتَّنُوخ الإقامة. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ٦/٣٠٧، الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م، ٩٠/٣، لبُّ الباب في تحريم الأنساب، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٧٧/١، ونقابة الأدب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس الفلقشندي، مطبعة النهضة، مصر، ١٩٨٥م، ص ١٨٩.

سنة سبع وعشرين وثلاثمائة^(١)، في حين يُشير ياقوت الحموي إلى أنَّ ولادته كانت في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة^(٢)، لكني أرجح الرأي الأول؛ لأنَّ التَّنُوخي ذكر مولده في الخبر الذي نقله عن ابنه يقول: "قال لي أبي: مولدي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة، وكان مولده في ليلة الأحد لأربع بقين من ربيع الأول"^(٣).

نشأ التَّنُوخي في بيت عُرف بالعلم، والأدب، والتَّجاجة، يقول ابن خلكان: "وهم أهلُ بيت كلهم فضلاء أدباء، ظرفاء"^(٤)، ويقول ابنه: "وأول

(١) تاريخ بغداد، أبو بكر الخطيب البغدادي، ١٥ / ١٩٩، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الإمام الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ٨ / ٥٦٦، النُّجوم الزَّاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، قدَّم له: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ٤ / ١٧٠، وفيات الأعيان، ابن خلكان ٤ / ١٦٢، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ٧ / ١٧٨.

(٢) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ٥ / ٣٠١.

(٣) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، القاضي أبو علي التَّنُوخي، تحقيق: عبود الشَّالحي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م ٥ / ١٩.

(٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، ٤ / ١٦٢.

سماعه الحديث في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة^(١)، وعمره حينها يقارب سبع سنوات، ويقول الثعالبي عنه: "هلال ذلك القمر، وغصن هاتيك الشجر، والشاهد العدل لمجد أبيه وفضله، والفرع المثل لأصله والنائب عنه في حياته والقائم مقامه بعد وفاته"^(٢).

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخِي، ١٩/٥.

(٢) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، ٢ / ٤٠٥.

وقد ولي التَّنُوخي القضاء بالأهواز^(١) للمطيع لله^(٢)، ثم ولاه المطيع لله القضاء بعسكر مكرم^(٣)، وتَسْتَر^(٤) وجند يسابور^(٥)، والسُّوس^(٦)، ثم أُضيف له قضاء البصرة، وظلَّ في منصبه هذا لبضع سنين ثم صُرف عنه^(٧).
ظلَّ التَّنُوخي في الأهواز حتى سنة أربع وستين وثلاثمائة، وفي هذه السَّنة اضطربت أحوال العراق، مما اضطّر كثير من النَّاس للهرب خوفاً على أنفسهم،

(١) الأهواز سبع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة اسم يجمعهن الأهواز. يُنظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٨٥/١.

(٢) أبو بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع لله، بويغ بالخلافة سنة ٢٦٣هـ، دامت خلافته إلى سنة ٣٨١هـ، حيث خلعه بهاء الدولة بن عضد الدولة وسلمه إلى خلفه القادر بالله فأقام عنده إلى أن توفي سنة ٣٩٣هـ. يُنظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ٢٢٤/٧ والإعلام بوفيات الأعلام، الإمام محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مصطفى عوض، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ص ٢٦٧.

(٣) عسكر مكرم: بلدة بناوخي خوزستان، منسوبة إلى مكرم بن معزاء الحارس، معجم البلدان، ياقوت الحموي ٦٧٦/٣.

(٤) تستر: بلدة في خوزستان، واسمها بالفارسية شوشتر، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٨٤٧/١.

(٥) جند يسابور: مدينة بخوزستان منسوبة كيا سابور بن ازدشير، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٣٠/٢.

(٦) السُّوس: بلدة بخوزستان، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٨٨/٣.

(٧) انظر: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخي، ٢٤/٤، ٢٠/٥.

ومنهم التَّنُوخي، يقول في ذلك: "...كنت قد لجأت إلى البطيحة^(١) هارباً من نكبة لحقتني، واعتصمت بأمرها معين الدولة أبي الحسين عمران بن شاهين السُّلمي^(٢)، فألفيتُ هناك جماعة من معارفي بالبصرة وواسط، خائفين على نفوسهم، قد هربوا من ابن بقية^(٣) الذي كان في ذلك الوقت وزيراً، ولجأوا إلى البطيحة، فكنا نجتمع في المسجد الجامع، فنتشاكى أحوالنا ونتمنى الفرج مما نحن فيه من الخوف والشدة، والشقاء"^(٤).

كما ولي التَّنُوخي القضاء بأمر عضد الدولة^(٥) على الموصل، وقد قويت علاقته به، وصار من ندمائه وكان عضد الدولة يعامله بكثير من العناية

(١) البطيحة: جمعها بطائح، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة، زادت مياه نهر دجلة والفرات، وعجزوا عن سدها، فبتطح الماء في تلك الأراضي، فطرد أهلها عنها. معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٠/٦٦٨.

(٢) أبو الحسين عمران بن شاهين السُّلمي، أمير البطيحة، توفي سنة ٣٦٩هـ.

(٣) أبو طاهر محمد بن محمد بن بقية بن علي، ولد سنة ٣١٤هـ، خدم معز الدولة، ولما خلفه ولده عز الدولة بختيار استوزره ثم نقم عليه فاعتقله وسلمه لعضد الدولة، فأمر عضد الدولة برميهِ بين أرجل الفيلة حتى قتل، سنة ٣٦٧هـ، كان جواداً كريماً، رثاه ابن الأباري بقصيدته المشهورة: علُو في الحياة وفي الممات لحقُّ أنت إحدى المعجزات

الأعلام، خير الدين الزركلي، ٧/٢٤٤.

(٤) الفرّج بعد الشدة، التَّنُوخي، ١/١٧٣.

(٥) عضد الدولة، أبو شجاع فناخسرو بن أبي علي ركن الدولة، الحسن بن بويه، كان يلقب بشاهنشاه، دخل بغداد فاتحاً سنة ٣٦٧هـ وكانت بغداد قد أخربتها الفتن، فعمرها، وأعاد بناء القناطر والجسور، ونظم الرّي، وأصلح الطرق، وكان ذكياً سائساً، توفي سنة ٣٧٢هـ = ودفن

والإكرام، إذ خصص له كرسيًا في حضرته، يقول التَّنُوخي: "وحضر التَّدماء، وأخذوا موافقهم قياماً، ولم يكن أحد منهم يجلس بحضرته غيري، وغير أبي علي الفسوي^(١)، وأبي الحسين الصوفي المنجم^(٢)، وأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف^(٣) صاحب ديوان الرسائل فإنَّه كان يجلس ليوقع بين يديه"^(٤).

بالنَّجف، وله نَظْمٌ بالعربية لا يرقى إلى مرتبة الشعر، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج ابن الجوزي، ١١٣/٧.

(١) أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان الفارسي النحوي، أحد الأئمة في علم العربية، ولد سنة ٢٨٨ هـ في مدينة (فسا) من أعمال فارس تحول في كثير من البلدان، من كتبه (التذكرة) في علوم العربية، رحل إلى بغداد، فأقام فيها إلى أن توفي سنة ٣٧٧ هـ، وفيات الأعلام، ١٣١/١، الأعلام، خير الدين الزركلي، ١٩٣/٢.

(٢) عبد الرحمن بن عمر بن سهل، ولد سنة ٢٩١ هـ، من أهل الرِّي، كان عالماً بالفلك، وكان مُنْجِمَ عضد الدولة، توفي سنة ٣٧٦ هـ. الأعلام، خير الدين الزركلي، ٩٣/٤، ترتيب الأعلام على الأعوام، خير الدين الزركلي، رتبه وعلَّق عليه: زهير ظاظا، دار الأرقم دمشق، ١٩٩٠م، ص ٢٩٣.

(٣) أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الشيرازي، من الكتَّاب الشعراء، تقلد ديوان الرسائل لعضد الدولة، وعُدَّ من وزرائه وخواص ندمائه توفي سنة ٣٨٨ هـ، الأعلام، خير الدين الزركلي، ١٥٥/٤.

(٤) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخي، ٨٩/٤.

وكان عضد الدولة يماشيه - أحياناً - في دار المملكة ويحدثه، وقد يخصّه بأحاديث لا يُحدّث بها المرء عادة إلا صديقاً مقرباً^(١)، كما ولّاه خطبة عقد نكاح ابنته على المطيع لله^(٢).

ورغم المكانة العالية التي حظي بها التّنّوخي لدى عضد الدولة فقد تعرض لسخطه، فعزله من جميع مناصبه التي كان يتولاها، وألزمه الإقامة في منزله، يقول التّنّوخي: "لحقتني محنة عظيمة غليظة من السلطان"^(٣)، وقد ذكر التّنّوخي هذه الحادثة في التّشوار رواية عن أبي الحسين هلال^(٤)، يقول: "في

(١) من ذلك الخبر الذي ذكره التّنّوخي (عضد الدولة ينفق عشرة ملايين درهم على بناء دار وإنشاء بستان) قال في آخره: وكان عضد الدولة عازماً على أن يهدم الدور التي بين داره وبين الزاهر، ويصل الدار بالزاهر، فمات قبل ذلك". يُنظر: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التّنّوخي، ٢٥٩/٤.

(٢) يقول القاضي التّنّوخي: "في يوم الثلاثاء لتسع بقين من ذي القعدة سنة ٣٦٩هـ، تزوج الطائع لله بنت عضد الدولة الكبرى، وعقد العقد بحضرة الطائع، وبمشهد من الأشراف والقضاة والشهود، ووجوه الدولة، على صداق مبلغه مائة ألف دينار، وفي رواية مائتي ألف دينار، والوكيل عن عضد الدولة في العقد أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي، والخطيب القاضي أبو علي المحيّن بن علي التّنّوخي" نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التّنّوخي، ٢٦٢/٤.

(٣) الفرج بعد الشّدة، التّنّوخي، ١٥٢/١.

(٤) أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ، كاتب من أهل بغداد كان أبوه وجده من الصابئة أسلم في آخر حياته وولي ديوان الإنشاء زمناً، له عدة مؤلفات منها: كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، توفي سنة ٤٤٨هـ. الأعلام، ٩٤/٩.

شهر ربيع الأول سخط عضد الدولة على القاضي المحسن ابن علي التَّنُوخي وألزم منزله، وصُرف عمّا كان يتقلده^(١).

وقد ذكرت بعض المصادر^(٢) سبب هذا التحول بأنَّ التَّنُوخي أفضى سرَّ حملة عضد الدولة في ذلك العام إلى همدان للقبض على الوزير أبي القاسم صاحب ابن عباد^(٣)، فلم يكتفِ التَّنُوخي ذلك الأمر، فأخبر بعض خصومه عضد الدولة برقعة أرسلها له، فثارت ثورته على التَّنُوخي، وسخط عليه، يقول التَّنُوخي: "فلما وقف عضد الدولة على الرقعة، وَجَمَ وجوماً شديداً، وقام من سمّاط كان قد عمله في ذلك اليوم على منابت الزعفران للديلم مغيضاً، واستدعاني وقال لي: بلغني أنّك قلت كذا وكذا... قلت: لم أقل من ذلك شيئاً... وخرج أبو عبدالله ابن سعدان^(٤)، وكان لي محباً، فقال لي: الملك يقول لك: ألم تكن صغيراً فكبرناك، ومتأخراً فقدمنّاك، وخاملاً فنبهنا عليك، ومقتراً

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخي، ٩٣/٤.

(٢) منها: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين ابن الجوزي، تحقيق: محمد بركات، كامل محمد الخراط وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ١٧/٥٤٣. (٣) صاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد، لقب بالصاحب لصحبته أبا الفضل ابن العميد ثم أطلق عليه اللقب ولما ولي الوزارة، كان أولاً وزيراً لمؤيد الدولة بن بويه، إضافة إلى السياسة فقد كان علماً من أعلام الأدب، فريد عصره في البلاغة والفصاحة، له مؤلفات كثيرة منها: المحيط، والوزراء، والكشف عن مساوئ شعر المتنبي، توفي سنة ٣٨٥هـ. وفيات الأعيان، ١/٢٢٩.

(٤) أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن سعدان، من رجال عضد الدولة، كان شديد الحجاب إلا أنّه كان كريماً، وفي سنة ٣٧٥هـ عزل وأعتقل، وقتل. تجارب الأمم، ١٠٢/٣.

فأحسنًا إليك؟ فما بالك جحدت نعمتنا، وسعيت في الفساد على دولتنا؟ قلت: أمّا اصطناع الملك لي، فأنا معترف به، وأمّا الفساد على دولته فما علمت أنني فعلته، ومع ذلك فقد كنتُ مستوراَ فهتكني، ومتصوناَ ففضحني، وأدخلني من الشُّرب والمنادمة بما قدح في^(١).

وفي بغداد طلب عضد الدولة من التَّنُوخي أن يتوسط له عند الخليفة الطائع لله؛ لتجافيه عن ابنته المنقولة إليه، يقول التَّنُوخي: "... وقال لي تمضي إلى الخليفة وتقول له عن والدة الصبية: إنها مستزيدة لإقبال مولانا عليها وإدناؤه إليها، ويعود الأمر إلى ما يستقيم به الحال، ويزول معه الانقباض، فقد كنت وسيط هذه المصاهرة، فقلت: السمع والطاعة وعدت إلى داري؛ لألبس ثياب دار الخلافة، فاتفق أن زلقتُ، ووثمتُ رجلي^(٢) فأنفذتُ إلى الملك أعرفه عذري في تأخري عن أمره، فلم يقبله، وأنفذ إليَّ من يستعلم خبري، فرأى الرسول لي غلماناً روقة^(٣)، وفرشاً جميلاً، فعاد إليه، وقال له:

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخي، ٩٦/٤.

(٢) وثأ: الوثء والوثاءة: وصم يصيب اللحم ولا يبلغ العظم. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، مادة (وثأ).

(٣) روق شبابه وريق شبابه: أي في أوله. لسان العرب، مادة (روق).

هو متعالل وليس بعليل، وشاهدته على صورة كذا وكذا، والناس يغشونه، ويعودونه فاغتاظ غيظاً مجدداً، حرّك ما في نفسه مني أولاً، فراسلني: بأن الزم بيتك، ولا تخرج عنه، ولا تأذن لأحد في الدخول عليك فيه إلا نفر من أصدقائي استأذنت فيهم، فاستثنى منهم" (١).

يقول التّوخي: "واستمر عليّ السُّخط والصّرْف عن الأعمال إلى حين وفاة عضد الدولة" (٢)، ويبدو أنّ التّوخي تعرض للحبس والتهديد كثيراً، ففي معرض حديثه عن أثر من أدام قراءة قوله عزّ وجلّ: ﴿وَذَا التُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُعَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣)، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤) في أوقات شدائده، عبّل الله له منها فرجاً ومخرجاً، يقول: "وأنا أحد من واصلها في نكبة عظيمة لحقتني يطول شرحها وذكرها عن هذا الموضع، وكنت قد حُبست، وهُدّدت بالقتل، ففرج الله عني، وأطلقت في اليوم التاسع من يوم قبض عليّ فيه" (٥).

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التّوخي، ١٠٠/٤.

(٢) المصدر السابق، ١٠١/٤. يقول ياقوت الحموي: "واستمر على القاضي التّوخي السُّخط والصّرْف عن الأعمال حتى وفاة عضد الدولة سنة ٣٧٢هـ، وقد عين عضد الدولة ستة قضاة؛ ليقوموا بالعمل الذي كان يقوم به القاضي المحسن التّوخي" معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ٢٦٠/٦.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٨٧ - ٨٨.

(٤) الفرج بعد الشّدة، التّوخي، ٧٤/١.

ومن الشدائد التي ذكرها: مصادرة ضيعته، يقول: "ثم صُرِفَت عن تلك الولاية في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة لما ولي الوزارة محمد بن العباس^(١) فقصدني، وصرفني، وقبض ضيعتي، وأشخصني إلى بغداد بعد حقوق كانت لي عليه، وآمال لي فيه"^(٢)، ويقول فيها أيضاً: "وأقمت أنا سنين أتظلم من تلك المحنة التي ظلمني فيها محمد بن العباس، فما أنصفني أحد، وأيست، وخرجت تلك الضيعة من يدي، فما عادت إلى الآن"^(٣).

ويقول في موضع آخر ذاكراً تظلمه من محمد بن العباس: "أنَّ أبا الفرج محمد ابن العباس بن فسا نجس لما ولي الوزارة، أظهر من الشر على الناس والظلم لهم، بخلاف ما كان يقدر عليه، وكنت أحد من ظلمه، فإنَّه أخذ ضيعتي بالأهواز وأقطعها بالحقين، وأخرجها عن يدي، فأصعدت إلى بغداد متظلماً إليه من الحال، فما أنصفني على حرمان كانت بيني وبينه"^(٤).

ويقول التَّنُوخي لما أظهر بعض أعدائه الشَّماتة: "ولي قصيدة قتلها في الأهواز، لما صُرِفَت في الدفعة الأولى من تقليدي القضاء بالأهواز وقُبِضَت

(١) أبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس، كان والده أبو الفضل العباس من وجهاء شيراز، لما استقر معز الدولة ببغداد قلَّد أبا الفضل دواوين الزمام، ولما مات تقلد أبو الفرج ولده الديوان، كان ذا أدبٍ غزير، وباع في اللغة، سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي ١٧/٦٢٠.

(٢) الفرج بعد الشَّدة، التَّنُوخي، ٣/٢٦٦.

(٣) المصدر السابق، ١/٢٤٢.

(٤) المصدر السابق، ١/٢٣٩.

صَيِّعَةً مِنْ ضِيَاعِي، فَخَرَجْتَ إِلَى بَغْدَادِ أَطْلِبُهَا، وَبَلَّغْنِي عَنْ أَعْدَاءِ لِي إِظْهَارِ
شِمَاتَةٍ بِالْحَالِ"^(١):

لَنْ أَشْمَتَ الْأَعْدَاءَ صَرَفِي وَمَحْنِي
مَقَامٌ وَتَرْحَالٌ وَقَبْضٌ وَبَسْطَةٌ
وَمَا زِلْتُ جَلْدًا فِي الْمَلَمَّاتِ قَبْلُهَا
فَكَمْ لَيْثٌ غَابَ شَرِّدَتْهُ ثَعَالِبُ
وَكَمْ جَيْفَةٌ تَعْلُو وَتَرْسَبُ دَرَّةُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْغَيْثَ يَجْرِي عَلَى الرُّبَى
وَكَمْ فَجٍّ وَالْخَطْبُ يَعْتَاقُ نَيْلَهُ
لَقَدْ أَقْرَضَ الدَّهْرَ السُّرُورَ فَإِنْ يَكُنْ
فَكَمْ فَرَحَةٍ تَأْتِي عَلَى إِثْرِ تَرْحَةٍ
وَكَمْ مَنَحَةٍ مِنْ مَحْنَةٍ تَسْتَفِيدُهَا
عَلَى أَنِّي أَرْجُو لِكَشْفِ الَّذِي عَرَا
فِيْمَنْعَ مِنَّا الْخَطْبَ، وَالْخَطْبُ صَاغِرٌ
وَنَعْتَاضُ بِاللَّقِيَا مِنَ الْبَيْنِ أَعْصَرًا

فَمَا صَرَفُوا فَضْلِي وَلَا ارْتَحَلُ الْمَجْدُ
كَذَا عَادَةُ الدُّنْيَا وَأَخْلَاقُهَا النَّكَدُ
وَلَا غُرُو فِي الْأَحْيَانِ أَنْ يُعْلَبَ الْجَلْدُ
وَكَمْ مِنْ حَسَامٍ فَلَّهُ غَيْلَةٌ غِمْدُ
وَمِنْحَسَةٍ تَقْوَى إِذَا ضَعَفَ السَّعْدُ
فِيحْظَى بِهِ إِنْ جَادَ صَيْبُهُ الْوَهْدُ
يُجِيءُ عَلَى يَأْسٍ إِذَا سَاعَدَ الْجَدُ
أَسَاءَ اقْتِضَاءٌ فَالْقُرُوضُ لَهَا رُدُّ
وَكَمْ رَاحَةٍ تُطْوَى إِذَا اتَّصَلَ الْكَدُّ
وَمَكْرُوهٍ أَمْرٍ فِيهِ لِلْمَرْتَحَى رِفْدُ
مَلِيكَاً لَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ رَفْدُ
وَتَمْسِي عَيُونُ الدَّهْرِ عَنَّا هِيَ الرَّمْدُ
مُضَاعَفَةٌ تَبْقَى وَيَسْتَهْلِكُ الْبَعْدُ

وَمَا ذَكَرَهُ مِنَ الشَّدَائِدِ الَّتِي مَرَّتْ بِهِ، حَدِيثُهُ عَنْ فَضْلِ سُورَةِ الْفِيلِ،
يَقُولُ: "دُفِعْتُ أَنَا إِلَى شِدَّةٍ لِحَقَّتَنِي شَدِيدَةٌ مِنْ عَدُوٍّ، فَاسْتَرْتُ مِنْهُ، فَجَعَلْتُ

(١) الْفَرَجُ بَعْدَ الشَّدَّةِ، التَّنْوِيحُ، ٥٠/٥.

دأبي قراءة هذه السورة في الركعة الثانية من صلاة الفجر في كل يوم وأنا أقرأ في الأولى منها: ألم نشرح لك صدرك... إلى آخر السورة؛ لخير كان بلغني أيضاً فيها، فلما كان بعد شهور كفاني الله أمر ذلك العدو، وأهلكه الله من غير سعي لي في ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأنا أقرأها في ركعتي الفجر إلى الآن"^(١).

ثانياً: مصنفاته

١- الفرج بعد الشدة:

وهو كتابٌ وسطٌ بين (المستجد من فعلات الأجواد) وكتاب (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) من حيث حجمه^(٢) قال عنه النّعالبي: "ناهيك بحسنه وإمتاع فنه، وما جرى من الفأل بيمينه، ولا جرم أنّه أسير من الأمثال، وأسرى

(١) الفرج بعد الشّدة، النّوحي، ١٠٦/١.

(٢) كانت أول طبعة لهذا الكتاب سنة ١٩٠٣م، من قبل حمد الزهراوي عن دار الهلال، كما نشر مرة أخرى بالقاهرة أيضاً سنة ١٩٣٨م بالمشاركة بين مكتبة الخانجي بالقاهرة، ومكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٥٥م، ثم قام عبود الشّالجي بتحقيق الكتاب من جديد ونشره في خمسة أجزاء، مع عدد من الفهارس، للأعلام، والأماكن والمصطلحات، ونشرته دار صادر ببيروت ١٩٧٨م، وعلّل عبود الشّالجي سبب إعادة تحقيق الكتاب بقوله: وتبين لي عند البدء بالتحقيق أنّ النسخة المطبوعة من هذا الكتاب قد اختصرت فقرات من هذا الكتاب اختصاراً محلاً، إذ حذفت من أخباره الأسانيد، كما حذفت كثيراً من التفاصيل، التي كان المؤلف يوردها لبيان ظرف من ظروفه، أو لإيضاح هوية أحد من يروي عنهم، كما حذفت كثيراً من القصص بتمامها، هذا فضلاً عمّا ورد فيهما من التصحيف، وبالرغم من ذلك، فقد أفدت منها، إذ وجدتها قد أثبتت بعض القصص التي سقطت من بقية المخطوطات الأخرى... الفرج بعد الشّدة، النّوحي، ٨/١.

من الخيال" ^(١)، وممن ذكر أنّ للتَّنُوخي كتابًا بهذا العنوان ياقوت الحموي حيث قال: "وله من التصانيف: كتاب الفرج بعد الشدة، ثلاثة مجلدات" ^(٢).

أما عن سبب تأليفه فقد بدأ به في أواخر أيامه، على إثر محن تعرض لها، وشدائد ابتلي بها، يقول: "فإني لما رأيت أبناء الدنيا متقلبين فيها بين خير وشر، ونفع وضر، ولم أر لهم في أيام الرِّخاء أنفع من الشكر والثناء، ولا في أيام البلاء أنجع من الصبر والدعاء... ووجدت أقوى ما يفزع إليه من أناخ الدهر بمكروه عليه، قراءة الأخبار التي تنبئ عن تفضل الله عزَّ وجلَّ على من حصل قبله في محصله، ونزل به مثل بلائه ومعضله... وأنا بمشيئة الله تعالى جامع في هذا الكتاب، أخباراً من هذا الجنس والباب، أرجو بها انشراح صدور ذوي الألباب عندما يدهمهم من شدة ومصاب، إذ كنت قد قاسيت من ذلك، في محن دفعت إليها، ما يحنو بي على الممتحنين ويحدوني على بذل الجهد في تفريج غموم المكروبين" ^(٣).

(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، ٤٠٥/٢.

(٢) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ٢٢٨٠/٥.

(٣) الفرج بعد الشدة، التَّنُوخي، ٥٢/١.

٢- نشوار^(١) المحاضرة وأخبار المذاكرة^(٢):

اختلفت المصادر في ذكر اسم الكتاب، فبعضها ذكره باسم نشوار المحاضرة

(١) النُّشوار: كلمة فارسية معربة، وهي تعريب اللفظ نشخوار، وتعني ما تبقى الدابة من العلف، وأصل المعنى فيه الجرة: أي ما يخرج البعير من بطنه ليهضمه، ثم ييلعه، وقالوا فيه: نُشُورَتْ الدابة من علفها نشواراً: أي أبقَتْ من علفها، القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م، مادة (نشر).

(٢) ناشره لأول مره فهو المستشرق مرجليوث، وسماه جامع التواريخ المسمى بنشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ويعود ذلك إلى اعتماده على نسخة باريس المخطوطة، ولعلَّ ذلك من خطأ النَّاسخ، والدليل على ذلك أنَّه يرد باسم اختيار المذاكرة ونشوار المطالعة، وابتكار المحاضرة، كما في نسخة المخطوطة العائدة للأستاذ أحمد تيمور، كان ابتداء طبع هذا الكتاب في سنة ١٩١٨م، والفراغ منه سنة ١٩٢١م، ويبدو في المقدمة الإنجليزية القصيرة للنص العربي أنهم كانوا يودون أن يكون كتاب النشوار جزءاً من مجموعة النصوص التي نشرها تحت اسم: أقول الخلافة العباسية وهي المجموعة التي نشر منها جزءان في تجارب الأمم، نشرها أمدوز ضمن مطبوعات الجمعية الملكية الآسيوية. نظرات في نشوار المحاضرة، إبراهيم السامرائي، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٣١، الجزء ٤ بغداد ١٩٨٠م. يقول عبود الشَّالجي "وجدت النسخ المطبوعة سواء في مصر أو في دمشق، قد كتب في صدرها: كتاب جامع التواريخ المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، والظاهر أنَّ هذه التسمية أقتحت خطأ من النَّاسخ، فإنَّ مقدمة الكتاب قد نصَّ فيها على الاسم نصاً واضحاً صريحاً "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التَّنوخي، ٦/١.

مثل: معجم الأدباء^(١) والبعض الآخر ذكره باسم نُشوان^(٢) المحاضرة مثل:
وفيات الأعيان^(٣).

لكن يتضح أنَّ الاسم الذي أراده مؤلفه هو (نُشوار المحاضرة وأخبار
المذاكرة) بدليل ورود هذه الكلمة في مقدمته للجزء الأول التي بَيَّن فيها سنة
تأليفه للكتاب يقول: "واتَّفَق أيضاً أَنِّي حضرت المجالس بمدينة السلام في سنة
ستين وثلاثمائة^(٤) بعد غيبيتي عنها سنين فوجدتها مختلَّة ممن كانت به عامرة،
ومذاكراته أهلة ناظرة، ولقيت بقايا من نظراء أولئك الأسيَّاح، وجرت المذاكرة،
فوجدت ما كان في حفظي من تلك الحكايات قديماً قد قلَّ وما يجري من
الأفواه في معناها قد اختلَّ، حتى صار من يحكي كثيراً مما سمعناه، يخلطه بما
يحيله ويفسده، ورأيت كل حكاية مما أنسيته لو كان باقياً في

(١) ياقوت الحموي، ٢٢٨٠/٥.

(٢) نشي الرِّجل من الشراب نشواً وكنشوة ونشوة: سَكِر، فهو نشوان وتعني السكران، لسان
العرب، ابن منظور مادة (نشا).

(٣) ابن خلكان، ١٥٩/٤.

(٤) وأكَّـد ذلك ياقوت بقوله: "صَنَّف أبو علي المحسَّن كتاب نُشوار المحاضرة في عشرين سنة
أولها سنة ستين وثلاثمائة وأنه جعله في أحد عشر جزءاً وجعل كل واحد من أجزائه مائة ورقة
قائماً بنفسه، مستعيناً من الباقي من جنسه، واشترط على نفسه ألا يضمَّنه شيئاً نقله من
كتاب". معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٣/١.

حفظي، لصلح لفن من المذاكرة، ونوع من نشوار المحاضرة^(١)، كما وردت كلمه النُشوار في بعض الأخبار أيضاً^(٢).

٣- المستجاد من فعلات الأجواد:

جمع التَّنُوخي في هذا الكتاب أخبار الكرماء في الجاهلية والإسلام حتى عصره، وهو جزء واحد، عُني بتحقيقه محمد كرد علي^(٣)، يقول الشُّكعة: "وقد ترك التَّنُوخي كتابين آخرين من أمتع ما كُتب في الأدب العربي هما: الفرج بعد الشدة، والمستجاد من فعلات الأجواد^(٤)".

وقد ذكر التَّنُوخي سبب تأليفه الكتاب، وهو أنَّ أحد الأشخاص طلب منه أن يجمع له من أخبار الأجواد أجودها، يقول: "أما بعد، أطل الله في النعمة عمرك وحسن مع التقى عملك، وبلغك في السلامة أملك، وختم بالصالحات أجلك، فإنَّك طلبت مني أن أجمع لك من أخبار الأجواد أجودها،

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخي، ١٠/١.

(٢) يُنظر على سبيل المثال: ٧/٤، ١٣/٤، ٥٦/٤، ٧٩/٤، ٣٩/٥، ٢٥٩/٥، ١٦٧/٧، ١٠٨/٧، ١٦٥/٧.

(٣) يقول عبود الشَّالجي: "وله أيضاً: كتاب المستجاد من فعلات الأجواد، وقد طبع بدمشق، حققه الأستاذ محمد كرد علي، وفي المطبوع ما أخذ كنت أتمنى لو أشار إليها المحقق رحمه الله، منها: أنَّ بعض القصص الواردة في الكتاب جاءت على لسان القاضي أبي القاسم = علي بن المحسن مؤلف كتاب الفرج بعد الشدة، مع أنَّ مؤلف الكتاب هو والده المحسن" نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخي، ٣١/١.

(٤) مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشُّكعة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٤م، ص ٦١٢.

ومن فعاليات الكرام أسناها وأرشدتها، فاستخرت الله في المقال وتخیرت من ذلك ما سنع لي في الحال، مما أحسبه يستفز القارئ والسامع ويقع منه أرفع المواقع، وألفته كتاباً سمّيته المستجد من فعاليات الأجواد، فكان للقبه مطابقاً، ولغرضك موافقاً، ولما يستحسن سابقاً" (١).

ويبدو لي أنّ التَّنُوخي لم يقصد الكرم المادي فقط، بل كان يشير إلى الكرم المعنوي، وهو كرم النفوس والخصال (٢).

وتفاوتت أخبار الكتاب في الطول، فبعضها يمتد حتى يصل إلى عدّة صفحات (٣)، وبعضها لا يتجاوز أسطراً قليلة (٤).

(١) المستجد من فعاليات الأجواد، القاضي أبو علي التَّنُوخي، عُني بنشره وتحقيقه: محمد كرد علي، دار صادر، بيروت ١٩٩٢م، ص ٩.

(٢) يُنظر على سبيل المثال: ص ١٢٤، ص ١٦٧، ص ١٩١، ص ٢١٨، ص ٢٥٠...

(٣) يُنظر على سبيل المثال: ص ٢١، ص ٢٦، ص ٥٣، ص ١٠٦، ص ١٢٦، ص ١٤١، ص ١٦٤...

(٤) يُنظر على سبيل المثال: ص ١٥، ص ١٧٤، ص ٢٥٦، ص ٢٥٧، ص ٢٥٨، ص ٢٥٩...

ثالثاً: وفاته

توفي التَّنُوخي ببغداد في ليلة الاثنين لخمس بقين من المحرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة^(١) قال ابن خلكان: "وكانت وفاته ليلة الاثنين، لخمس بقين من المحرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ببغداد"^(٢)، وعاش سبعاً وخمسين سنة^(٣)، قال ابن العمري: "وفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة توفي القاضي أبو علي التَّنُوخي، وذهب عن الدنيا رونقها وبهاؤها؛ لما حُرمت من فضله... كان له النَّثر والنظم الذي فاق بهما كُتَّاب زمانه فضلاً عن قضاياه"^(٤).

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٥ / ١٩٩.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ٤ / ١٦٢.

(٣) سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، ١٦ / ٥٢٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج ابن الجوزي، ٧ / ١٧٨، الكامل في التاريخ أبو الحسن بن الأثير، ٩ / ١٠٦، معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٧ / ١١٧. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ٤ / ٦، العبر في خبر من غبر، الإمام الذهبي، ٢ / ١٦٦، النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ٤ / ١٧٠.

(٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين ابن الجوزي، ١٨ / ٧٩.

(٤) الإنباء في تاريخ الخلفاء، محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمري، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ١٨٣.

المبحث الثاني: صورة البطل الإشكالي في خبر نبأشة القبور^(١)

روى التَّنُوخي هذا الخبر بروايتين^(٢): واحدة في نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، والأخرى في الفرج بعد الشدة، وهو خبر طويل يقع في ثمان صفحات، رواه أبو المغيرة^(٣).

(١) ذكر التَّنُوخي القبر في أخباره كثيراً، فمرة يذكره في موضع البشارة، والخير، والصالح، ويضفي على القبر مظهراً حسناً، وفي موضع آخر يضفي عليه كل صفات البشاعة، والاشتمزاز، والنفور، كما في خبر (امراة من أهل النار) انظر: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التَّنُوخي ١٢٤/٥

(٢) الملاحظ في مصنفات التَّنُوخي أنه يورد للخبر الواحد عدة روايات زيادة ونقصاً باختلاف الكتاب الذي ورد فيه الخبر، فله منهجه الخاص في إيراد الأخبار في مصنفاته، كما أنه يذكر خبراً واحداً يُروى من طرق متعددة، وبأسانيد مختلفة، والطريف في ذلك أن الخبر يتلبس بوجهة نظر جديدة "وكأن القاضي التَّنُوخي يضع الروايات المختلفة في علاقة جدلية نرى من خلالها الحادثة وهي تتكون بمشاركة الرواة وصناعتهم، أو بالكشف عما كان خافياً من أسرارها، أو بتحديد وجهات النظر المختلفة حول حقيقة موضوعية واحدة. الفرج بعد الشدة للقاضي أبي علي التَّنُوخي، انتقاء وترتيب ودراسة: د. محمد حسن عبد الله، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، ص ٧٧.

(٣) يقول التَّنُوخي عن أبي المغيرة راوي هذا الخبر: "هو شاعرٌ طويلُ اللسان، مطبوعٌ هجاء، وله مدائح كثيرة، وديوان واسع، أنشدني لنفسه أشياء منها:

عرضني للردى هواه من معدن السحر مقلته
وقد لوى نحوه فؤادي صدغ على الخد قد لواه
يا عاذلي في هواه رفقا عذري من الحسن ما تراه

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٢٤٣/٣.

وفيه أنَّ فتاة^(١) أولعت بنيش القبور، وسرقة أكفان من يموت من رؤساء البلد، وكانت تلبس جلد ماعز بشعره، وتمشي على أربع كالذئب؛ خفية كي لا يراها أحد، ومضت على ذلك زمناً طويلاً إلى أن كشف أمرها تاجر قادم من العراق أرهقه المسير، فأراد المبيت في بعض القباب التي على القبور، وحين شعرت الفتاة بوجوده، فزعت، واندفعت نحوه لضربه، لكنَّ الرجل سارع إلى ضرب كفها بالسيف فقطعها، ثم هربت مسرعة تعدو، والدَّم ينزف من يدها، وتبعها الرجل إلى أن دخلت بيت قاضي البلد، فأبلغ والدها بالأمر، فاستتبت، ثم عرض عليه الزواج بها، فتزوجها وهي مُكرهة غير رغبة به وأمضى معها شهوراً إلى أن طلقها بعد تهديدها له بالقتل^(٢).

(١) تحضر المرأة في سرد التَّنوخي كثيراً، ولها دور كبير في تطور الأحداث، وهي غالباً تتميز بالذكاء والشجاعة، وقد صُوِّرَ التَّنوخي المرأةً فرداً وليست نوعاً، وأراد منها تجلية صورة مغايرة للصورة التي عُرفت بها، فكان اختياره لصفات الدهاء، والغدر، والخيانة، والقسوة، ظاهراً في أخباره. انظر: المرأة في أدب التَّنوخي، دراسة في الرؤية والتشكيل، أحمد عبدالكريم الملقى، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م، الخبر العجائي في مصنفات التَّنوخي، أسماء المبارك، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٢١م.

(٢) انظر الخبر كاملاً في: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنوخي، ٢٣٦/٣، الفرج بعد الشدة، التَّنوخي، ٣/٣٧٨.

وقد رواه التَّنُوخِي في إحدى الروايتين عدل عن تشبيهها بالذئب إلى تشبيهها بالذَّب الذي يمشي، وتباين عنده اليد التي قُطعت، ففي رواية ذكر أنها اليد اليمنى، والرواية الأخرى تشير إلى أنها اليد اليسرى، كما أنه حدّد في إحدى الروايتين مدّة مكوثها على نبش القبور، وسرقة الأكفان بالسنتين، ولم يحددها في الرواية الأخرى، بل ذكر أنها أولعت بذلك منذ سنين.

ومما يشدُّ القارئ في هذا الخبر، خروجه عن مألوف الأحداث والشخصيات والأحوال، إذ يفتح الخبر في بدايته على رحلة^(١) قام بها الرجل إلى مدينة الرَّمْلَة^(٢) قاصداً التجارة يقول: "كنت قاصداً الرملة وحدي وماكنت دخلتها قط، فانتهميت إليها وقد نام الناس ودخل الليل، فعدلت إلى الجبّانة^(٣) ودخلت بعض القباب التي على القبور، فطرحت درقة^(٤) كانت معي، واتكأت عليها، وعانقت سيفي، واضطجعت أريد النوم، لأدخل البلد نهاراً"^(٥).

(١) للرحلة دورٌ كبيرٌ في تطوير الأحداث؛ ولذلك درج بعض الأدباء على الإفادة من فعل (الرحلة) والانتقال من مكان إلى مكان؛ لأنها مفتاح الأحداث كلها بعد ذلك.

(٢) الرَّمْلَة: مدينة عظيمة في فلسطين، معجم البلدان ٨١٧/٢.

(٣) الجبّانة: الصحراء، وبها تسمى المقابر، وهي الأرض الملساء المستوية التي لا شجر فيها. لسان العرب. مادة (جبن).

(٤) الدرقة: بفتح الدال والراء: الترس من الجلود لا خشب فيه. لسان العرب، مادة (دَرَق).

(٥) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخِي، ٢٣٦/٣.

ثم يقول بعد أن أحسَّ بحركة في إحدى القباب ظنهم لصوص: "وأخرجت رأسي من بعض أبواب القبة على تخوف شديد مني، فرأيت دابة كالذئب تمشي، فإذا به قد قصد قبةً بحياي، وما زال يتلفت طويلاً ويدور حواليتها، ثم دخلها فارتبت به، وأنكرت أمره، وتطلعتُ نفسي إلى علم ما هو فيه، فدخل القبة، وخرج غير مطيل، ثم جعل يتبصر، ثم دخل، وخرج بسرعة، ثم دخل وعيني إليه، فضرب بيده إلى قبر في القبة يبعثه فقلت: نباش، لا شك فيه، وتأمّلته يحفر بيديه، فعلمتُ أنَّ فيها آلة حديد يحفر بها، فتركته إلى أن اطمأن، وأطال، وحفر شيئاً كثيراً، ثم أخذت سيفي ودرقتي، ومشيت على أطراف أناملي، حتى دخلت القبة، فأحسَّ بي، وقام إليَّ بقامة إنسان، وأوماً إليَّ ليلطمني بكفه، فضربت يده بالسيف، فأبنتها وطار، فصاح: أواه، قتلني لعنك الله! وعدا من بين يديّ، وعدوت وراءه، وكانت ليلة مقمرة، حتى دخل البلد وأنا وراءه، ولست ألحقه، إلا أنَّه بحيث يقع بصري عليه، إلى أن اجتاز بي طرقات كثيرة، وأنا في خلال ذلك أعلم الطريق لثلاً أضل، حتى جاء إلى باب، فدفعه، ودخل، وأغلقه، وأنا أسمع، فعلمت الباب، ورجعت أقفو الأثر والعلامات التي علّمتها في طريقي حتى انتهيت إلى القبة التي كان فيها النبّاش"^(١).

اقترن وصف المكان هنا بزمن الليل، وبجمل الليل على لون السواد الذي يحجب الرؤية، ويبعث على السكينة والهدوء، لكنّه - أيضاً - يبعث على الحزن والوحدة من ناحية أخرى، وانفتاح الخبر على هذه الصورة جاء مناسباً، وممهّداً

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخي، ٢٣٦/٣.

لظهور شخصية البطل الإشكالي بعد ذلك؛ تلك الشخصية التي تصارع في داخلها مشاعر مختلفة ومتضادة.

ولم يكن وصف المكان وارتباطه بالليل فقط هو الممهد لدخول شخصية البطل الإشكالي، وإنما كانت الألفاظ دالة على مشاعر متعددة: الارتباك، التردد، الالتباس، الخوف، الاطمئنان، وكلها تشاكل تلك الشخصية. كما أنَّ التَّنوخي اختار (المقبرة) وهي مكان مفتوح يسمح للفرد بالتردد عليه في أي وقت يشاء، وربطه بالمكان المغلق (البيت)؛ فخرج الفتاة إلى هذا المكان المفتوح، سبقه خروج من مكان مغلق، والأماكن المغلقة تؤدي دوراً كبيراً ومهماً في الخبر، فهي مليئة بالأفكار، والآمال، والترقب، التي تولد مشاعر متناقضة في النفس كما أنها تُشعر بالضيق بما يمارس عليها من قيود لتبقى محكومة بتلك الحواجز، ولذا فهي تخلق لدى الإنسان صراعاً داخلياً بين رغباته وبين ما يفرضه الواقع، وهكذا تتكاتف مستويات المكان لإعطاء القيم السلبية التي تُشعر في أغلبها بعدم الأمان والاستقرار.

ولذلك كان ارتباط المكان المغلق (البيت) بالمكان المفتوح (المقبرة) ارتباطاً وثيقاً، شكلاً انعكاساً لشخصية البطل الإشكالي، ولعل حلقة الوصل

بينهما هي أنَّ الانطلاق من المكان المغلق إلى المفتوح جاء متوافقاً مع تلك الشخصية الراغبة دائماً في التحرر والانفلات، فإشكالية الذات مرتبطة بالمكان،

"والمكان حقيقة معاشة، يؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه"^(١)، فقد اقترن تقديم المكان بحال الشخصية النفسية؛ لتغدو المقبرة معبرة عمّا تعيشه الفتاة من وضع متأزم، ولذا يتّم "إخضاع المكان لفعل الشخصيات"^(٢).

كما أنّ حركة الفتاة من مكان إلى آخر مع خوف وترقب، تعني البحث عن وضع آمن تشعر فيه بعزلتها عن الناس، وانفرادها في هذا المكان، فأهم وظيفة يقوم بها المكان هي القطيعة، والانفصال عن العالم الخارجي وهذا يدل على أنّ الفتاة لم تكن ترغب بالتردد على مكان مفتوح للانطلاق، أو الاتصال مع الآخرين، بل كانت تنحو نحو ذاتها، فالعلاقة التي تجمع بين المكان والشخصيات تتعدى العلاقة الشكلية؛ لأنّ المكان تجاوز وجوده السطحي، وأصبح يحدد سلوك الشخصية واتجاهاتها؛ فالمكان من العناصر الفاعلة في تحديد ملامح الشخصية وطبيعة أفعالها.

(١) البداية في النص الروائي، صدوق نور الدين، دار الحوار، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ٤٧.

(٢) شعريّة المكان في الرواية الجديدة، خالد حسين حسين، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، د.ت، ص ١٠٨.

وقد شكّل الانتقال حافزاً مهماً للبطل الإشكالي؛ لأنّ الانتقال يكون دائماً مدفوعاً بدوافع الرغبة في الاكتشاف، والوصول إلى المجهول، فيبدو المكان عبارة عن حامل رمزي للجسد والوعي معاً^(١).

ولذا أراد التّنوّخي أن يستتر البطل وراء قناع، وأن يكشف عن هويته كشفاً تدريجياً بعد سلسلة من الأحداث، فالمكان المظلم يؤوّل إلى حدث غير متوقع ومخيف، وفيه تهية للنفس فيما يأتي به السرد من أحداث غريبة تبتّ الرعب والهلوع، وهنا يفسح التّنوّخي مساحة كبيرة للحدث، ويصبغه بألوان نفسية، متمثلة في الترقب والخوف وعدم الأمان لكلا الشخصيتين.

يتمثل الحدث غير المتوقع في اكتشاف الرجل - بعدما عاد إلى القباب وتأمل الكفّ المقطوعة - أنّ الكفّ التي قطعها كفّ امرأة، ففيها نقش حنّاء وخاتمان من ذهب، يقول: "فحين علمتُ أنّها امرأة اغتممتُ وتأملتُ الكفّ، وإذا أحسن كفّ في الدنيا، نعومةً، ورطوبةً، وسمناً، وملاحةً، فمسحتُ الدم منها، ونمتُ في القبة التي كنت فيها"^(٢). فهذا الاكتشاف ولّد غموضاً أكبر، وأثار تساؤلات أكثر حول الفتاة، وسبب قيامها بهذا العمل. وقد تضمنت بداية أحداث الخبر ثلاث حركات هي:

(١) انظر: البطل الإشكالي في رواية (أسامينا) للكاتبة هدى محمد، مقارنة في سيميائية الشخصية، سهر الأخصري، لينة نعات، نجلاء بلقيس، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠٢٣م. ص ٥١.

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التّنوّخي، ٢٣٧/٣.

١. حركة الرجل في دخوله إلى القبة مستوحشاً.
 ٢. حركة الفتاة في أثناء دخول القبة التي اتسمت بالبطء والخوف والترقب.
 ٣. حركة الفتاة والرجل معاً في الجري والعدو، وفيها تحرر من مشاعر منغلقة إلى وقوع تحت مشاعر التساؤل والحيرة، والفشل.
- ومن الضروري الإشارة إلى ما تتضمنه العلاقة بين هذه الحركات من دلالة عميقة، إذ يبدو أن بين الحركات الثلاث علاقة السبب بالنتيجة، وثمة علاقة أخرى قريبة من انتظام هذه الأحداث المتوالية وهي علاقة الفشل في إتمام المهمة، فعلى الرغم من تهيؤ المكان، ومناسبة الزمن، واستعداد الفتاة للحفر بكفٍّ من حديد، وشروعها بالحفر، فالمهمة انتهت بالفشل، بل انتهت بإلحاق الضرر بها، وهذا - في ظني - أسهم في تطور الشخصية الإشكالية؛ لأنها أصبحت - رغماً عنها - في هذه الدائرة التي انتهت بالفشل، وانغلقت عليها إذ كان باستطاعة الفتاة إنهاء مهمتها التي خرجت من أجلها، لكنَّ ظهور الرجل أفشلها.

ولم يكن الفشل في إنهاء الحفر، وسرقة الأكفان فقط، بل تعداه إلى الفشل في إخفاء أمرها، فالإحساس بالفشل بمثابة المتحكم في مسار الخبر، وفي تطور الشخصية الإشكالية بعد ذلك، ولذا كان الخروج نقطة انطلاق من مرحلة سابقة عاشتها الفتاة، تتصف بالديمومة، والاطمئنان، إلى مرحلة أخرى يبدأ

فيها صراع البطل الإشكالي وانكشاف أمره، وما يتبع ذلك من فرض السلطة، والسيطرة عليه، وإخضاعه لمنطق القوة والإلزام.

ولذلك أخذت البداية حيزاً كبيراً إلى أن وصلت بالأحداث إلى مرحلة تصاعد وتيرة الحدث، من خلال الحوار الذي كشف بعض ملابسات الأمر، ولذا فقد اعتمد التَّنوخي هذه البداية في خبره؛ لأنَّه مدرك تمام الإدراك أهمية استشارة ذهن المتلقي، وإيقاد شعلة التنبؤ بما سيحدث لاحقاً، وجعل المتلقي يعيش مع الشخصية، ويشعر بملعها وترقبها.

فبعد أن دخل الرجل البلد سأل عن صاحب البيت، فقيل له إنَّه لقاضي البلد، ويُعرف بفلان، دلالة أنَّ ليس له ولد، يقول: " فتقدمت إليه وقلت: بيني وبين القاضي - أعزَّه الله - حديث لا يصلح إلا على خلوة فقام إلى داخل المسجد، وخلا بي، وقال: قل. فأخرجت إليه الكفَّ وقلت: أتعرف هذه؟ فتأملها طويلاً، وقال: أمَّا الكفُّ فلا، وأما الخواتيم فخواتيم ابنة لي عاتق، فما الخبر؟ فقصصت عليه الحديث بأسره، فقال: قُم معي، وأدخلني داره، وغلق الباب، واستدعى طبقاً وطعاماً، واستدعى امرأته..."^(١).

وتبدو الفجوة ظاهرة في العلاقة بين الفتاة ووالدها، بدليل معرفته للخواتيم دون معرفته لكفِّ ابنته، وكذلك العلاقة بين الفتاة وأمها - أيضاً - في تركها مع الجارية، والاعتراف بإهملها، إذ تقول: " وكنت قد خطر لي أن أبيع هذه الجارية إلى سقَّار يغربها عن هذه البلد التي نحن فيها، وأراعي مبيت

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنوخي، ٢٣٨ / ٣.

الصبية، وأيبتها إلى جانبي"^(١) وهذا يعطينا تصوراً عن حالة الاغتراب التي تعيشها الفتاة داخل أسرتها.

ثم يشرع والد الفتاة يمارس عمله بوصفه قاضياً في محاكمة ابنته وكشف ملابسات الحدث أمام هذا الرجل الغريب، وهو ما سيكشفه السرد من خلال مقطع حوار طويل بين الفتاة وأمها، التي طلبت منها أن تحدثها عن سبب يدها المقطوعة، ليبدأ بعد ذلك مقطع سردي طويل جداً، توضح فيه الفتاة سبب نبشها القبور إذ تقول متحدثة عن محنتها في سرقة الأكفان: "إنَّه قد وقع في نفسي منذ سنتين^(٢) أن أنبش القبور فتقدمت إلى هذه الجارية فاشترت لي جلد ماعز غير مخلوق الشعر، واستعملت لي كَفَّين من حديد فكنت إذا أعتم الليل أفتح الباب، وأمرها أن تنام في الدهليز^(٣)، ولا تغلق الباب، وألبس الجلد والكفَّ الحديد، وأمشي على أربع، فلا يشك الذي يراني من فوق سطح أو غيره أنني كلب، ثم أخرج إلى المقبرة، وقد عرفتُ من النهار خبر من يموت من رؤساء البلد، وأين دُفن، فأقصد قبره، فأنبشه، وأخذ الأكفان، وأدخلها معي في الجلد، وأمشي مشيتي، وأعود والباب غير منغلق، فأدخل، وأغلقه، وأنزع تلك الآلة، فأدفعها إلى الجارية، مع ما قد أخذت من الأكفان فتحبئه في بيت

(١) الفرج بعد الشدة، التنوخي، ٣/٣٨٣.

(٢) في رواية الفرج بعد الشدة، "وقع في نفسي منذ سنين"، ٣/٣٨٢.

(٣) الدهليز: الدَّلِيح، فارسي معرَّب، والدَّهْلِيْز بالكسر ما بين الباب والدار، والجمع: الدَّهَالِيْز. لسان العرب، ابن منظور، مادة (دهلز).

لا تعلمون به، وقد اجتمع عندي نحو ثلاثمائة كفن، أو ما يقارب هذا المقدار، لا أدري ما أصنع بها، إلا أي كنت أجد لهذا الخروج والفعل لذة لا سبب لها أكثر من إصابتي بهذه المحنة"^(١).

يبدو أن الإشكالية في شخصية الفتاة بدأت مبكراً؛ فالفتاة كانت تتأسس كشخصية إشكالية قبل وصول الرجل، بدليل قولها: "وقع في نفسي منذ سنتين أن أنبش القبور"، ووقت قدوم الرجل كانت عاتقاً، وهو عمر صغير لا تنهياً لها المقدرة الجسدية على نبش القبر، واستخراج الأكفان، ولا المقدرة النفسية في تحمل رؤية أجساد الموتى، ومنظر القبور، ولحظات الصمت الصماء فيه.

والفتاة هنا شخصية مشاركة في الأحداث، فهي تقوم بدور السارد في الوقت نفسه، وفي هذا النوع يكون ضمير المتكلم هو الأكثر ملاءمة لنقل الاعترافات وإبراز المشاعر، إذ يسمح لها بالروح الذاتي، كما في قولها: "أجد لهذا الخروج والفعل لذة لا سبب لها أكثر من إصابتي بهذه المحنة".

ففي تفسيرها "أجد لذة" يمنحها دلالة أعمق من الدلالة التي يمنحها لها الواقع، وفي اعتقادي أنَّ الذات هنا تحاول تسويغ تصرفاتها الغريبة، وعدم تحملها مسؤولية تلك التصرفات، فجملة "وقع في نفسي" تحتل وظيفة التصور، وعدم التأكد مما تقوم به من أفعال، فتظل أسيرة لذلك التصور، وما

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخي، ٣ / ٢٣٩.

يتبعه من تخطيط، حتى تصطدم بواقع يمارس عليها سلطته، ركيزته الأولى والأخيرة الإخضاع، والتسليم دون معارضة، عندئذ تدرك الذات بأنَّ غير الواقعي أصبح واقعياً، وغير المألوف أصبح مألوفاً.

ولذا أرادت الفتاة أن تعبر عن ذاتها ببساطة، فكانت تدور في دائرة الذات والموضوع، فهي لا تشعر بالتلاؤم بينها وبين الناس في مجتمعتها، ولذا تعتمد إلى الأمور الغريبة الخارجة عن المألوف؛ لأنَّ التعطش إلى المغامرات الذي يحرك البطل يكون أحياناً بكيفية اعتباطية، وبدون تماسك العناصر التي يقرر أن يواجهها^(١)، وهذا دليل واضح على غربة البطل في مجتمعه، كما أنَّ تأكدها من أنَّ الصراع بين ما تفعله، وما تؤمن به، أو بين ما تراه أمراً مألوفاً وما يراه المجتمع انتهاكاً، هو صراع غير متكافئ، وهذه النتيجة تعبير عن وضعية الفتاة الإشكالية، لاسيما أنها ارتأت أن تقوم بهذا العمل بمفردها وبمعزل عن الناس، ولكنها بمجرد أن تستأنس بما تفعله يؤول أمرها بعد ذلك إلى الجماعة.

كما ظهرت شخصية الأم موصوفة بالخضوع^(٢) وهي تمنحنا صورة لامرأة مقهورة، مسلوقة الإرادة، من خلال إرغامها على الجلوس مع رجل غريب

(١) انظر: نظرية الرواية، جورج لوكاتش، ص ٩٣.

(٢) ويُعرَّف الخضوع لغة بأنه التواطؤ، ولا يقتضي أن يكون معه خوف، وقد يجوز للإنسان أن يخضع للإنسان تكلفاً من غير أن يعتقد أن المخضوع له فوقه، والخضوع يكون في البدن = والإقرار بالاستجداء". الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٨م، ص ٢٤٨.

عنها دون رضاها، "فقال له الخادم: تقول لك: كيف أخرج ومعلك رجل غريب، فقال: لا بد من خروجها تأكل معنا، فهنا من لا أحتشمه فأبْتُ عليه، فحلف بالطلاق لتخرجين له، فخرجت باكية، فجلست معنا فقال لها: اخرجي ابنتك، فقالت: يا هذا قد جننت، ما الذي حلَّ بك؟! فقد فضحتني وأنا امرأة كبيرة، فكيف تهتك صبية عاتقاً!، فحلف بالطلاق لتخرجنها فخرجت" (١).

فتمثيل السلطة الذكورية يكون في الغالب دون وعي أو إدراك أنَّه ثمة قهر اجتماعي يمارس على أنثى مسلوطة الإرادة (٢)، ونتيجة لذلك استسلمت الأم لتلك السلطة بعد تهديدها بالطلاق مرتين؛ لأنَّ شخصيتها لا يمكن أن تتحدد إلا بوجود الطرف الآخر وإرضائه، كما استسلمت الفتاة - أيضاً - لتلك السلطة التي قضت بتزويجها دون مشاورتها ورضاها؛ خشية الفضيحة يقول الرجل: "ثم قال لي: يا فتى من أين أنت؟

قلت: من العراق.

قال: فقيم وردت؟

قلت: أطلب الرزق.

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخي، ٢٣٨/٣.

(٢) انظر: الشخصية الإشكالية من منظور السلطة والخضوع في رواية حائط المبكى لعز الدين جلاوجي، عبدالعزيز نصرأوي، مجلة الموروث، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، كلية الأدب العربي والفنون، الجزائر، المجلد ٩، العدد ١، ٢٠٢١م، ص ١٠١.

قال: قد جاءك حالاً هنيئاً، نحن قوم مياسير، والله علينا ستر، فلا تهتكه والله، ما علمت هذا من حال ابنتي، فهل لك أن تتزوجها، وأغنيك بمالي عن الناس، وتكون معنا في دارنا؟

فقلت: نعم.

فرفع الطعام، وخرجنا إلى المسجد، والناس مجتمعون ينتظرونه، فخطب، وزوجني، وقام رجع، فأدخلني في الدار^(١).

وتبرز لنا شخصية الأم بهذه الصورة - أيضاً- من خلال محاولة إخفاء سبب قطع يد ابنتها خوفاً من زوجها، تقول الأم: "فقلت لها: أظهري أن قد خرجت على كفك حُراج، وتعاللي، فإنَّ الذي بك من صفار، ويصدق قولك، حتى إذا مضت أيام، قلنا لأبيك: لا بد أن تُقطع يدك وإلا حَبُثَّ جميع بدنك فتلفت، فيأذن لنا في قطعها، فنوهم أننا قطعناها من جديد، وينستر أمرك"^(٢).

وتحرك الشخصيات وظهورها بهذه الصفات ينمُّ عن رغبة في إظهار تلك الأنساق المتضادة التي تدفع البطل الإشكالي إلى الرغبة في التخلص من الخضوع، والسعي إلى مقاومة السيطرة عليه، ومن ثم رفض القهر الاجتماعي الذي يُمارس على الفرد؛ فالبطل الإشكالي يعيش اغتراباً مزدوجاً من خلال وجوده داخل مجتمع متناقض من جهة، وإحساسه بحيرة داخلية يغذيها البحث عن حقيقة لم يرها ولم يعيشها من جهة أخرى، ولذا يسلط الخبر الأضواء على الفتاة وحدها، ولا يُرينا الآخرين في بيئتهم إلا بمقدار خدمة هؤلاء للأحداث.

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخي، ٢٤١/٣.

(٢) المصدر السابق، ٢٤٠/٣.

لم تُبدِ الفتاة معارضة لحكم والدها، لكنها تُكِنُّ قهراً داخلها؛ فهذا الحكم يسعى لإخضاعها لسلطة المجتمع من خلال مفهومي: الستر، والفضيحة، والبطل الإشكالي تبرز إشكاليته عند طمي ذاته من قِبل قوى اجتماعية مهيمنة لا تقبل النقاش أو الاعتراض.

ولذا وردت كلمة الفضيحة أكثر من ورود كلمة الستر، والجدول الآتي يوضح ذلك:

الستر	الفضيحة
"يا رجل استر على نفسك وابنتك"	"قد فضحتني وأنا امرأة كبيرة"
"وينستر أورك"	"تحتك صبية عاتقاً"
"ولله علينا ستر"	"يا أماه لا تفضحيني ونفسيك بالصياح عند أبي والجيران"
"ترحين الستر"	"لأكشفن أورك لأبيك"
	"فففضحتني أنت وفضحت نفسك"
	"تنكشف جنايتك الأولى والثانية"
	"ولا ينكشف لك حديث في بلدك، ولا فضيحة"
	"ولا تفضحني أبداً"
	"ولا أفضحها"

وورود كلمة الفضيحة في الخبر أكثر من ورود كلمة الستر، يرجع - في ظني - إلى الشعور بقساوة الخيبة التي يشعر بها البطل الإشكالي تجاه مجتمعه، الذي يخضعه لقيم تتعارض مع قيمه، من خلال طمي ذاته وحصارها في دائرة رضا المجتمع، دون اعتبار لتلك الذات وآلامها.

لم تتقبل الفتاة هذه السيطرة من الأب وعارضتها معارضة داخلية فالبطل الإشكالي يلوك معاناته داخل نفسه، ولا يفصح عنها في حينها، فهو يولي ذاته أهمية كبرى، ويرفض أي سيطرة عليه من الخارج، وعلى الرغم من الخضوع لهذه السيطرة فإنه لا يمكنه طويلاً في العيش تحت سلطانها، إذ تبدو محاولة تقويض تلك الخلفية المتوارثة في المجتمع كنوع من مقاومة الآخر، مما يعني أنّ رغبته في تقويض تلك الخلفية جاءت متوافقة مع نفسيته التي تحاول التحرر من القواعد والعادات التي تخضعه خضوعاً تاماً.

كما أنّ هذا الخضوع ثمة لاستسلام دُفعت إليه الشخصية دفعاً، ولذا فإنّ "عجز الأفكار عن النفاذ إلى الواقع ذاته، يجعل هذا الواقع منفصلاً غير متجانس، بحيث تنشأ انطلاقاً من هذه العلاقة نفسها لدى عناصر الواقع حاجة إلى رابطة واضحة جداً مع منظومة الأفكار"^(١).

ولكنه مع التقبل الظاهر يكمن داخله ثورة وتمرد يمارسها بعد ذلك وهذا أمر آخر يجعل البطل الإشكالي يعيش مرحلة من التذبذب وعدم الاستقرار، ولذلك أدركت الفتاة أن انتصار غير المعقول لا يمكن أن يتحقق في

(١) نظرية الرواية، جورج لوكاتش، ص ٧٥.

ظل ظروف اجتماعية لديها مرجعية دينية واجتماعية تحرّم هذا الفعل ولذلك كانت توبتها في المجلس دليل على هزيمة غير المعقول في نفسها؛ فالعقل الباطن للشخصية الإشكالية يتأبى على الواقع ويرفضه، وهنا يبرز الحنين إلى الماضي عنده؛ لأنّ البطل الإشكالي سواء فشلت نفسه في التكيف مع عالمها المحيط بها، أو نجحت في تكيفها معه، فإنها تظل مشدودة إلى ماضيها الذي يمثل لها القيم الأصيلة التي تريد تحقيقها.

هذا التقبل الظاهري لم يلبث طويلاً، فالبطل الإشكالي يعلم "أنّ العالم المحيط به والذي أبدعه بنفسه ليس مأوى له بل سجنًا"^(١)، ولذا ضاقت الفتاة ذرعاً أثناء مكوثها مع زوجها، يقول الرجل: "وقع حب الصبية في نفسي، حتى كدت أموت عشقاً لها، وافترعتها، وأقامت معي شهوراً، وهي نافرة عني، وأنا أونّسها، وأبكي حسرة على يدها، وأعتذر إليها وهي تُظهر قبول عذري، وأنّ الذي بها غمّاً على يدها"^(٢).

إنّ ذلك العجز يرجع إلى أنّ الذاتية يتم دحرها تدريجياً دون انقطاع وحدث هذا للفتاة من خلال: إفشال مهمتها، قطع يدها، تزويجها رغماً عنها، ولذا بقيت محكومة بمنطق الفشل، ونتيجة لهذا الفشل تدخل في لحظة عزلة، وهي اللحظة التي انطلقت بعدها لتقرير مصيرها بعد ذلك من خلال محاولة قتل زوجها.

(١) نظرية الرواية، جورج لوكاتش، ص ٦٠

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التّنوخي، ٢٤١/٣.

لكن الحقيقة المغايرة سرعان ما تتكشف عن خيبة أمل، لأنَّ العزلة التي ارتأتها الفتاة لم تكن عزلة عرضية بل عزلة نمت فيها طويلاً، وهذا مما يعمق الإشكالية عند هؤلاء الأبطال؛ لأنَّه " على كل من هذه الشخصيات أن تنبثق من العزلة والوحدة، وأن تجري في عزلة لا مهرب منها"^(١)، وليست هذه العزلة درامية وحسب، بل هي نفسية أيضاً؛ ذلك لأنها لا تقبل أن تُحتزل إلى النموذج القبلي لكل شخصية درامية، بل هي في الوقت نفسه تجربة معيشة يعيشها كل إنسان صار بطلاً^(٢).

ولذا نتبين المعنى العميق الذي توحى به الأحداث بعد زواجها من الرجل، من خلال التوتر القائم الذي تسبب في تذبذبها بين مجموعتين من القيم (عامة وخاصة). وهو معنى يؤثر المواجهة المستمرة للبطل الإشكالي ما بين الماضي والحاضر، تلك المواجهة هي التي تشكل صفة جوهرية من صفات البطل الإشكالي الذي يتميز بنزوعه ضد قيم محيطه، وهروبه للبحث عن قيم أخرى تناسب وجوده^(٣)، فالفتاة تشكو من إشكالية مضاعفة؛ لأنَّ إشكالياتها في الحاضر مؤسسة على إشكالية أخرى عاشتها في الماضي.

ومن خلال ذلك فالبطل الإشكالي يعيش وضعاً متأزماً يوحي بعجزه عن استيعاب العالم، وعن تحليل المضامين الاجتماعية، والثقافية التي تحيط به

(١) نظرية الرواية، جورج لوكتاش، ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٤١.

(٣) انظر: معضلة البطل الإشكالي في رواية (الافعى والبحر) عبدالرحمن بو علي، جامعة الشارقة، حوليات جامعة قالة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد ٢٧، ٢٠١٩م، ص ١٣٦.

في الواقع، وكلها عوامل تدفعه للبحث عن واقع آخر يتوافق مع قيمه، أو الهروب الى عوالم أخرى تمكنه من تحقيق التوازن والتماسك^(١)، فالذات المدركة لا تنقل ما هو موجود وإنما تُشكل بحسب مزاجها عالماً تتوهمه^(٢)، فكلما سعت الذات لتجاوز هذا الفضاء تجد نفسها في مكان أكثر قتامة.

وقد تركزت لحظات العزلة عند الفتاة في ثلاث مراحل:

١. الرغبة في العزلة، ويتبين ذلك من قول الرجل: " أقامت معي شهوراً وهي نافرة عني، وأنا أؤانسها، وأبكي حسرة على يدها، وأعتذر إليها، وهي تُظهر قبول عذري، وأن الذي بها غمّاً على يدها"^(٣)؛ لأنّ معنى النفور لا يدل على مطلق الابتعاد، كما أنّ إيهامها للرجل بقبول عذره، أدّى بالفتاة إلى تمثيل الرغبة والقبول في داخلها تجاه الرجل، فهي تُنكر بغضها له، وتُظهر له غير ما تبطن، كما أظهرت قبولها لحكم أبيها وهي كارهة.

٢. الوقوع في العزلة، بدليل قول الفتاة وهي تروم الخلاص من الرجل: " وقد استوحش كل منّا من صاحبه"^(٤).

(١) انظر: الشخصية الإشكالية من منظور السلطة والخضوع في رواية حائط المبكى لعز الدين جلاوي، عبدالعزيز نصرأوي، مجلة الموروث، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، كلية الأدب العربي والفنون، الجزائر، المجلد ٩، العدد ١، ٢٠٢١م، ص ١٠٢.

(٢) انظر: نظر في نظر في القصص، مداخل إلى سرديات استدلالية، محمد بن محمد الخبو، دار نهي للطباعة والنشر، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص ٣٤.

(٣) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التّنوخي، ٢٤١/٣.

(٤) المصدر السابق، ٢٤٢/٣.

٣. خرق العزلة ويتمثل في محاولتها قتل الرجل، وفي هذا الخروج إعلان تمرد على الوضع الذي لم يحتمله البطل الإشكالي، يقول الرجل: "إلى أن نمثُ ليلة، وانبسطتُ في نومي، فأحسستُ بثقل في صدري شديد، فانتبهتُ جزعاً، فإذا بها باركة على صدري، وركبتها على يدي مستوثقة، وفي يدها موسى، وقد أهوت لتذبحني، فاضطربتُ ورمتُ الخلاص، فتعذر، وخشيتُ أن تبادرني، فسكنتُ، فقلتُ لها: كلميني، واعلمي ما شئت، ما الذي يدعوك إلى هذا؟ قالت: أظن أنك قطعتَ يدي، وهتكنتي، وتزوجتَ بي، وتنجو سالماً؟! والله لا كان هذا"^(١).

فالبطل الإشكالي يعمد إلى تغيير واقعه إذا لم يجد تكيفاً مع محيطه وهذا الانعزال ملمحٌ أساسي من ملامح البطل الإشكالي، فكل هذه التحولات التي عاشتها الفتاة من الفشل، والإكراه، والنفور، تسبب في عدم قدرتها على تقبل واقعها الذي أجبرتها عليه شخصيات الخبر: الأب، الأم، الزوج.

ولذا فإن الموقف الذي يرافق اعتلاء عرش العزلة هذا، يترجم حالة العالم الراهنة على أنه ليس احتجاجاً ضد العالم، ولا قبولاً به، بل هو بكل بساطة تجربة معيشة هي في الوقت ذاته إدراك أنها تجربة معيشة تجهد من أجل إنصاف الطرفين: الذات والواقع.^(٢)

(١) المصدر السابق، ٢٤١/٣.

(٢) انظر: نظرية الرواية، جورج لوكاتش، ص ١٣١.

ويمكن أن أُقسِّم هذه التحولات إلى أربع وحدات: الفشل، والخضوع،
والنفور، والتَّمرّد، وفي كل هذه الوحدات الأربع كانت العزلة هي المسيطرة
عليها.

كما أنَّ البطل الإشكالي لا يتقبل السيطرة عليه، ولذا يعمد إلى رفض
هذه السيطرة بالقوة، ولذلك لم تطمئن الفتاة لقول الرجل ووعوده، وأبرزت له
جناياته فيها: قطعت يدي، هتكنتي، تزوجت بي، فبسبب شعورها بتهشيم ذاتها
ارتفع هذا الشعور لديها ليصل إلى درجة الرغبة في الانتقام فالإحساس بالقهر
مع وعيٍّ تام بحجم المشكلة ملمح من ملامح الإشكالية لدى الشخصية.

فالشخصية الإشكالية لا ترى حلاً لعقدتها إلا بمنطق القوة؛ لأنها ترى
الواقع الذي تعيشه لا يتوافق مع ما تريده، ولذا فهي ترفض في داخلها الانصياع
إلى ما يحكمه الآخرون عليها من واقع تُرغم على العيش فيه دون رغبة منها،
ولذا خاضت الفتاة تجربة المجازفة لتحدي ذلك الواقع الذي ترى أنَّه لا بد من
تحديه، شأنها في ذلك شأن الأبطال الإشكاليين جميعهم، "فإنَّ الروح إذ تسعى
باحثة عن المغامرة وتعيشها، لتجهل ما في هذا البحث من عذاب فعلي، وما
في هذا الاكتشاف من هلاك واقعي، إنما لا تراهن بنفسها أبداً، ولا تعرف بعد
أنَّ عليها أن تبحث عن ذاتها"^(١)، وهو تمرد تصرُّ عليه الفتاة؛ لأنَّ تلك
الإشكالية تجرّها نحو تحقيق ذاتها برفض ما يمليه عليها الآخرون، ولذا بدا
تمسكها بقرارها في قتل الرجل، على الرغم من تهديده لها بقوله "فقلت الذبح

(١) نظرية الرواية، جورج لوكاتش، ص ٢٥.

قد فاتك ولكنك تتمكنين من جراحات توقعينها بي، ولا تأمنين أن أفلت فأذبحك، أو أهرب، وأكشف هذا عليك، ثم أسلمك إلى السلطان، فيكشف جنائتك الأولى والثانية، ويتبرأ منك أهلك، وتقتلين، فقالت: افعل ما شئت فلا بد من ذبحك" (١).

فالوقوع تحت واقع غير مرغوب فيه يوَلِّد واقعاً قادراً على تشكيل بشر آخرين، وهذا يرجع إلى ما تستمدّه الشخصية من اعتقادها وذاتها في أنَّ بوسعها أن تمارس تأثيراً فعالاً على الواقع، فمكوّنها مع زوجها الذي كان يشكل مصدراً للوحشة غداً - أيضاً - محمّلاً بمختلف صور الخوف والرعب والقتل.

وأمام هذا الإصرار وعدم الخضوع جعلت الرجل يلجأ معها إلى تقديم حلٍّ آخر بقوله: " أطلقك الساعة وتُفرجين عني، وأخرج من البلد، فلا تريني، ولا أراك أبداً، ولا ينكشف لك حديث في بلدك، ولا فضيحة وتزوجين من شئت، فقد شاع عند الناس أنَّ يدك قُطعت لخراج خبثها، وتربحين الستر" (٢).

وقد ارتكز الخطاب السردى بين الفتاة والرجل على الحدث؛ ليعكس تأزم الموقف، من لحظة التأزم الأولى التي تمثلت في عزم الفتاة على قتل الرجل إلى الذروة، ووصولاً إلى الفرج؛ ليكون الحل فرجاً وخلاصاً في نهاية السرد، ولذا فنحن أمام تجربة إنسانية تتوسل بالخلاص وتؤمله بعد نكبات متتالية عاشتها بكل قسوتها.

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخي، ٢٤٢/٣.

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخي، ٢٤٢/٣.

ويجدر بنا أن نقف عند موقفها الأخير من الرجل حينما دفعت له دراهم وقالت له: "خذ هذه نفقة لك"، والبطل الإشكالي ضليع بقلب الأدوار ولعبها، فمعلوم في الإسلام أنَّ المال يدفعه الرجل نفقة لأولاده. فهل كان ذلك تعبيراً عن انتصارها وإيغالها في إذلال خصمها؟! فهي ترى أنَّ إذلال الرجل من هذه الناحية مثل أذيتها نفسياً؟ وإذا نظرنا إلى هذا الموقف من زاوية أخرى، فالفتاة تعيش تناقضاً محموداً في جانبه الآخر، وهو رغبتها في مساعدته، وهنا تبرز لنا الصورة الإيجابية للفتاة.

والصورتان متوافقتان مع شخصية البطل الإشكالي، فالبطل الإشكالي هو بطل المتناقضات وهو انعكاس مجتمعه المتناقض.

إنَّ هذه التناقضات التي تجتمع في شخصية الفتاة جعلت منها عالماً إنسانياً معقداً، يُعبر عن تعقد الحياة التي كان يحياها مجتمعها آنذاك، ولا شك أنَّ سلوك الشخصية وأفعالها، يفصح عن طبيعتها، ومعتقداتها، وما تؤمن به كما يفصح عن ميولها النفسي، والخُلقي، والفكري، وغير ذلك من جوانب النفس الإنسانية، فالبطل الإشكالي - كما يذكر لوكاتش - ليس مثالياً، فهو قادر على الخسارة لأبعد حدِّ الخسارة الاجتماعية، ولكنه عنيدٌ حدِّ المواجهة، وعلى كلِّ فإنَّ البطل الإشكالي غير قادر على خيانة وعيه الخاص للعالم من أجل المجتمع، ولذا يبدو له كل انتصار على الواقع انهزاماً؛ لأنَّ هذا الانتصار يُدخله

دائماً في واقع غريب، في حين أنَّ كلَّ تخلٍّ عن قسط مما استولى عليه من الواقع يصبح انتصاراً^(١).

إنَّ المتأمل في شخصية الفتاة سرعان ما يدرك أنَّها تحمل العديد من المظاهر المختلفة والمتنوعة، فالتناقض والتحول من أبرز سمات الشخصية الإشكالية، ولكن لهذه الشخصية جوهر ثابت يتمثل في الهدف الذي ابتغاه التَّنوخي، وأراد تحقيقه في هذا الخبر.

فقد استطاع التَّنوخي بوعيه تجاوز الصوت الذي يمليه المجتمع وتحويله إلى عملية فنية، فأغلب الأخبار التي وردت في مصنفاته إنما هي تأريخ لمجتمع بأكمله، وإن لم يفصح عن ذلك صراحة، ولا يهتم في هذا المقام استدعاء شخصية الفتاة وإسقاط فكر الكاتب عليها؛ وإنما يهتم كيفية توظيف ذلك الاستدعاء.

أراد التَّنوخي في هذا الخبر - فيما يبدو لي - نقل تجربته الواقعية المعيشة بعد النكبات والشدائد التي أُبتلي بها، سواء في عزله من القضاء، أو مصادرة ضيعته، ولذا يتسرب الرفض الداخلي لقيم المجتمع من الأديب إلى البطل الإشكالي في النص الأدبي" فالنصوص القصصية بصفة خاصة تقوم أساساً على الضمنيات (المضمرات) ولئن كانت هذه الضمنيات قائمة في الكلم عامة، فإنها بالنص الأدبي ألصق"^(٢).

(١) انظر: نظرية الرواية، جورج لوكاتش، ص ١٠٤.

(٢) نظر في نظر في القصص، مداخل إلى سرديات استدلالية، محمد بن محمد الخبو، ص ١٢٤.

فالتَّنُوخي لم يرضَ بحكم عزله من القضاء، وإلزامه داره الذي أمر به عضد الدولة، لا سيما أنَّ تلك الأحكام الجائرة صدرت دون تثبت، مما جعل الأمر يؤول في ذهنه إلى أنَّ ثمة سلطة تُمارس عليه تسعى إلى إخضاعه، فياقع عقوبة قطع يد السارق دون تثبت هي جريمة أخرى، وهذا - في ظني - ما أراد التَّنُوخي إظهاره من وراء حُجب الابداع والفن.

فتلك السيطرة يراها البطل الإشكالي جريمة أخرى تمارس عليه في ظل الصوت الأعلى في المجتمع فإحساس القهر والظلم الذي أحسَّ به التَّنُوخي جعله يؤسس في الفتاة إشكالية عاشها واستشعر ألمها.

ولذا يستحيل التَّنُوخي ذاتاً مجردة ليست هي الذات التاريخية، على الرغم من الإيهام بمرجعية الخبر عبر سلسلة الرواة، فمبدع الأخبار يتخذ - أحياناً - من الراوي قناعاً يعكس آراءه وأفكاره لتبليغ رسالة ما، كما يتخذه أداة لتعريبه واقعه ومجتمعه وتصويرهما.

وقد "ركز التَّنُوخي بشدة على المجال السياسي في بناء هذا الشكل من الأخبار، ونعني بذلك قصصه عن الفرد المأزوم في مواجهة السلطة السياسية، وتعرضه لموقف ما بالغ الخطورة، ثم النجاة منه، وليس غريباً أن يتقاطع ويتماهى هذا النمط من السرد التاريخي مع تجربة سيرية خاضها التَّنُوخي بنفسه، واستشعر ألمها وشدتها"^(١).

(١) سرديات الأمل: دراسة في أخبار الفرج بعد الشدة، رشا جليس، المركز: مجلة الدراسات العربية، مركز أبو ظبي للغة العربية، المجلد ٢، العدد ١، ٢٠٢٣م، ص ٩٦.

فمواجهة المجتمع ورفضه لنظامه القائم بأسلوب متمرد ظهر من خلال سلوك الفتاة، ولذا لا يكتفي التَّنُوخي بتقنية الوصف فقط لنقل الأحداث، بل يركز على الدلالات السياسية، والاجتماعية، والثقافية، ثم يُسقطها على أحداث معينة، ليكشف بها عن تلك الظواهر التي تأسست بين طرفين غير متكافئين؛ لأنَّ "الإشكالية الروائية هي انعكاس لعالم ممزق" (١).

كما يرجع سبب سرقة الفتاة لأكفان رؤساء البلد دون غيرهم - في ظني - إلى ما لاقاه التَّنُوخي من ظلم وشدة بسبب قربه من رؤساء عصره وكأنه يُلمح إلى أنَّ تجريد عامة الشعب من حقوقهم، ومصادرة ضياعهم وأرزاقهم التي هي ستر لهم ولأسرهم من الفقر والحاجة، هو كشف لهذا الستر لا يقدرّون على دفعه عنهم، وتجريد هؤلاء الرؤساء من أكفانهم بعد موتهم فيه كشف لسترهم الذي لا يملكون دفعه أيضاً، وهذا ما أشار إليه التَّنُوخي في رد التهمة عنه حين قال: "أمّا اصطناع الملك لي، فأنا معترف به، وأمّا الفساد على دولته فما علمت أنني فعلته، ومع ذلك فقد كنتُ مستوراً فهتكني ومتصوناً ففضحني، وأدخلني من الشُّرب والمنادمة بما قدح فيّ" (٢).

(١) نظرية الرواية، جورج لوكاتش، ص ١٨.

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التَّنُوخي، ٩٦/٤.

وقد أورد التَّنُوخي أخباراً تُبين تظلم الناس بسبب مصادرة ضياعهم والاستيلاء على ممتلكاتهم وأرزاقهم^(١) ومنه الخبر الذي أورده عن شيخ من شيوخ العمال لما سألته عن سبب قدومه إلى أبي العباس بن فسانجن متظلماً يقول: "فرأيت شيخاً من شيوخ العمال يُعرف بأبي نصر محمد بن محمد الواسطي، أحد من كان يتصرف في عمالات بنواحي الأهواز، وكان صديقاً لي، فسألته عن أمره، فذكر أنَّ الحسن بن بختيار^(٢) أحد قواد الديلم، ضَمِنَ أعمال الخراج والضياع بنهر تيرى، وبها منزل أبي نصر هذا، وأَنَّ طالبه بظلم لا يلزمه، فَبُعِدَ عن البلد فكبس داره، وأخذ جميع ما كان فيها، وكان فيما أخذ عُهد ضياعه كلها، وأَنَّه حضر للوزير محمد بن العباس متظلماً منه، فلما عرف الحسن بن بختيار ذلك، أنفذ بالعُهد إلى الوزير، وقال له: قد أهديتُ إليك هذه الضياع فقبل الوزير منه ذلك، وكتب إلى وكيله في ضيعته بالأهواز فأدخل يده في ضياعي، وقد تظلمتُ إليه، فلم ينصفني"^(٣).

(١) قال التَّنُوخي في حديثه عن الظلم: "روى ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ، فصلاً في مظالم البريديين ثم قال: إنه ذكر هذا الفصل ليعلم الظلمة أنَّ أخبارهم تنقل، وتبقى على وجه الدهر، فرموا تركوا الظلم لهذا، إن لم يتركوه لله سبحانه وتعالى" الفرج بعد الشدة، التَّنُوخي، ٢٨٠/١.

(٢) الحسن بن أحمد بن بختيار: القائد الديلمي، الملقب عز الدولة، كان ملكاً سرياً، شديد القوى، قتل سنة ٣٦٧هـ، وعمره ٣٦ سنة. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ٢٦٧/١.

(٣) الفرج بعد الشدة، التَّنُوخي، ٢٣٩/١.

وقد أشار الصفدي إلى بطش بعض الرؤساء وظلمهم، في معرض حديثه عن رد التهمة عن التَّنُوخي بقوله: "ويبدو أنَّ هذه التهمة ما هي إلا وشاية لفقها للتَّنُوخي بعض حساده، ومنافسيه خاصة بعد المكانة الرفيعة التي حظي بها عند عضد الدولة، فإنَّ عزل القاضي التَّنُوخي على ما بلغ من علو المكانة ليس غريباً فعضد الدولة عزل ونكَّب كثيراً من خاصته ووزرائه، وليس عضد الدولة وحده هو الذي فعل ذلك، فعزل الوزراء، والكتَّاب، والقضاة، شائعة بين ملوك ذلك العهد"^(١).

كما أورد التَّنُوخي أخباراً بيَّن فيها فساد بعض الرؤساء وتسلطهم على الرعية، من ذلك قوله رواية عن أبي القاسم سليمان بن الحسن: "كنت أخطُّ بين يدي أبي العباس بن الفرات"^(٢)، في أول وزارة عبيد الله ابن سليمان، وأتحقق به؛ لأنَّ أبي اصطنع أباه، وكنت أشرب معه، فكنا ليلة على شراب، وقد جرت الأحاديث فحدَّثنا بأخبار عدة من الكتَّاب والوزراء، كانت فيهم جدَّة. وقال:

(١) اتجاهات الكتابة التاريخية في العراق في القرن الرابع الهجري القاضي التَّنُوخي نموذجاً، د.

محمد القدحات، دار ورد، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص ١٣٣.

(٢) محمد بن العباس بن أحمد بن محمد بن الفرات البغدادي، الإمام الحافظ، البارع المجوِّد،

قال عنه العتيقي: هو ثقة مأمون، ما رأيت أحسن قراءة للحديث منه، توفي في شوال سنة

كان أحمد بن الخصيب^(١) يركل المتظلمين وكان أبو عبّاد ثابت بن يحيى^(٢) يضرهم بالمقرعة إذا كان راكباً، وكان أحمد بن خالد^(٣) يشتمهم، وعدّ جماعة قال: وكان في أبي العباس جدّة، وسفه لسان، فسمعنا ذلك منه، ولم نقدم على موافقته^(٤).

ويقول في موضع آخر: "قال أبو الحسين: وما رأينا ولا سمعنا برئيس أسفه لساناً من حامد ابن العباس فإنّه كان لا يردّ لسانه عن أحد البتة، وكان إذا غضب شتم"^(٥).

(١) أحمد بن الخصيب ابن عبد الحميد الجرجاني، الوزير الكبير، أبو العباس ابن أمير مصر، استوزره المنتصر ثم المستعين، وارتفع شأنه ثم نكب، ونفاه المستعين إلى الغرب في سنة ٢٤٨هـ، قال أحمد بن أبي طاهر: كان يحتدّ، ويُخرج رجله من الرّكاب، فيرفس من يراجعه فقلت:

قل للخليفة يا ابن عم محمد شكل وزيرك إنه محلول
فلسانه قد جال في أعراضنا والرّجل منه في الصدور تجول

سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥٥٣/١٢.

(٢) أبو عبّاد ثابت بن يحيى بن يسار الرازي: وزير المأمون، أحد الكفاة البارعين في الحساب، والتصرف، والمعرفة، وبذلك ساد وتقدم، كان جواداً، سمحاً، إلا أنّه كان منقبضاً عبوساً، عاش خمساً وستين سنة، وتوفي في المحرم سنة ٢٢٠هـ. سير أعلام النبلاء، ١٠/١٩٩.

(٣) أحمد بن خالد الأحول الكاتب أبو العباس، وزير المأمون، قال عنه أحمد بن أبي طاهر: "كان أحمد عابساً مكفهاً في وجه الخاص والعام غير أنّ فعله كان حسناً، توفي سنة ٢١٢هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٠/٢٥٦.

(٤) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التّنوخي، ٨/٨٣.

(٥) المصدر السابق، ٨/٨٥.

كما أنَّه على الرَّغم من الثراء الفاحش الذي كانت تعيشه طبقة الخاصة، فإنَّ أفرادها لم يحاولوا التخفيف من وطأة الفقر الذي لحق بالعامّة وقد أشار التَّنوخي إلى ذلك بقوله: "تجارينا ذكر شدة زماننا، وفقر الناس فيه وضيق أحوالهم، واستحبابهم البخل، حتى أنَّ بعضهم يسميه احتياطاً، وبعضهم إصلاحاً، وتوصية الناس بعضهم بعضاً به، وتحذُّر التجار من معاملات الناس، ومسك أيديهم عن الإحسان إلى أحد، أو برّه، أو إغاثة ملهوف أو التنفيس عن مكروب، وإنَّ ذلك في الأكثر لضيق أحوالهم"^(١).

وتبرز في هذا الشَّأن أهمية الشخصية الإشكالية، لا سيما إذا عالج الأديب موضوعات في مجتمعه لها صلة بالسياسة، فإنه "يُستدل بما قيل على ما كان يُقصد به إلى القول ولم يُقل"^(٢)، ولذا تُعد الشخصيات مدخل مهم لفهم النص.

وفيما صاغه التَّنوخي في خبر نبَّاشة القبور فقد أبرز من خلاله قيم الإنسان التي يعتقدها، ومثله التي يؤمن بها أمام مجتمع يتعارض معها "ناهيك

(١) الفرج بعد الشدة، التَّنوخي ٢/٢٧٥.

(٢) نظر في نظر في القصص، مدخل إلى سرديات استدلالية، محمد بن محمد الخبو، ص ١١٧.

بأنَّ التَّنوخي يعرض النتيجة المنطقية التي تقود دوماً إلى الفرج لارتباطها بالسببية المباشرة التي يؤمن بها الإنسان بإرادته" (١).

ولذا كان الخيال عند الأديب يتلخص في الابتكار لإبراز هذا الجوهر عند الإنسان ويستطيع السَّارد خلق صورة عن مجتمعه بفضل هذه الموهبة في الابتكار، التي تفترض فهماً عميقاً لمشكلات مجتمعه؛ فالنص الأدبي ليس شكلاً محضاً، بل هو موجّه وجهة وظيفية تحقق غائيته، إذ ما من قول يقال إلا وله غاية ينحو إليها، وهدف يروم تحقيقه، "ولأجل البحث عن مساحة التوافق بين ما هو واقعي، وبين ما هو تخيلي، ينبغي أن تنظر إلى العالم الروائي على أنّه عالم يوازي الواقع ويحاكيه" (٢).

ولذا تُعد الميزة الكبرى للمبدع عن غيره من الناس أنّه يستطيع أن يحيل ما يشعر به من بؤس وشقاء وحرمان إلى نص أدبي إبداعي يحصل منه على قسط مدهش من الراحة والسَّكينة، "فالمبدع الأدبي ليس مجرد انعكاس

(١) سرديات الأمل: دراسة في أخبار الفرج بعد الشدة، رشا جليس، المركز: مجلة الدراسات العربية، مركز أبو ظبي للغة العربية، المجلد ٢، العدد ١، ٢٠٢٣م، ص ٨٣.

(٢) الشخصية الإشكالية من منظور السلطة والخضوع في رواية حائط المبكى لعز الدين جلاوجي، عبدالعزيز نصرأوي، مجلة الموروث جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، كلية الأدب العربي والفنون، الجزائر، المجلد ٩، العدد ١، ٢٠٢١م، ص ١٠١، ص ٩٨.

لوعبي جماعي حقيقي ومعطى، وإنما مآل نزعات خاصة بوعي هذه الجماعة أو تلك إلى مستوى من التماسك شديد العمق"^(١).

وهذا ما أكَّده التَّنُوخي في مقدمة كتابه الفرج بعد الشدة، بقوله: "ووجدت أقوى ما يفرع إليه من أناخ الدَّهر بمكروه عليه، قراءة الأخبار التي تنبي عن تفضل الله عزَّ وجلَّ على من حصل قبله في محصله، ونزل به مثل بلائه ومعضله، بما أتاحه له من صنع أمسك به الأرماق، ومعونة حلَّ بها من الخناق، ولطف غريب نَجَّاه، وفرج عجيب أنقذه وتلافاه، وإن خفيت تلك الأسباب، ولم تبلغ ما حدث من ذلك الفكر والحساب، فإنَّ في معرفة الممتحن بذلك، شحذ بصيرته في الصبر، وتقوية عزيمته على التسليم إلى مالك كل أمر، وتصويب رأيه في الإخلاص، والتفويض إلى من بيده ملك النَّواص؛ وكثيراً ما إذا علم الله تعالى من وليه وعبد، انقطاع آماله إلَّا من عنده، لم يكله إلى سعيه وجهده، ولم يرض له باحتماله وطوقه، ولم يخله من عنايته ورفقه"^(٢).

فقد أدرك التَّنُوخي في أواخر حياته وبعد أزматыه العديدة عبثية الواقع، فعاد إلى المنابع الأسطورية والخيالية؛ هروباً من مرارة هذا الواقع وألمه^(٣).

(١) مدخل إلى مشكلات سوسيولوجية الرواية، لوسيان جولدمان، ترجمة: بدر الدين عروذكي، المعرفة، المجلد ١٩، العدد ٢١٧، ص ٨٦.

(٢) الفرج بعد الشدة، التَّنُوخي، ٥٢/١.

(٣) تذكر رشا جليس قلة العناية بمصنفات التَّنُوخي من خلال سردية القص وأساليبه بقولها: "ومع كل هذا الغنى والتقدم الذي أظهره التَّنُوخي في الكتاب، فإننا نواجه إشكالية قلة الدراسات العربية الحديثة التي اعتنت بهذا المصنف، أو بمعنى آخر إشكالية تعاملها الظاهري مع الأخبار،

الخاتمة:

في ختام هذا البحث أجمل أبرز النتائج في الآتي:

أولاً: أجاد التَّنُوخي رسم أبعاد صورة (الفتاة) فقد جاءت أبعادها الشخصية والنفسية متوافقة مع صورة البطل الإشكالي.

ثانياً: البطل الإشكالي تجسيد للوعي الفردي في المجتمع، وهو تجسيد لوعي الكاتب غير الراضي عن أوضاع مجتمعه.

ثالثاً: البطل الإشكالي هو الأنسب لبعض الرواة لتجسيد تجارب ذاتية خاصة المسكوت عنه في المجتمع.

رابعاً: القارئ لهذا الخبر يجد نفسه أمام نص مشحون بالرموز والدلالات المفتحة على عدد من التأويلات فالحدث المرتبط بالبطل الإشكالي ليس حدثاً له بداية ونهاية، وإنما هو بنية دينامية دالة، أي متحولة وذات معنى كما ذكر جولدمان.

وفقاً للطابع الوصفي التاريخي من دون العناية العميقة بسرديّة القصّ وأساليبه وأشكال بنيته الخبرية". سرديات الأمل: دراسة في أخبار الفرج بعد الشدة، رشا جليس، المركز: مجلة الدراسات العربية، مركز أبو ظبي للغة العربية، المجلد ٢، العدد ١، ٢٠٢٣م، ص ٧٥.

أما أبرز التوصيات فهي:

أولاً: البحث عن تظاهرات البطل الإشكالي في مختلف الأنواع السردية في أدبنا العربي؛ فأدبنا العربي أرض خصبة للدراسات بكافة أشكالها، ودراسة تظاهرات البطل الإشكالي واحدة من تلك الدراسات التي لها أثر كبير في إثراء الدراسات النقدية والأدبية؛ فموضوع البطل الإشكالي من الموضوعات الجديدة التي تنتظر أن تحظى باهتمام الباحثين.

ثانياً: ضرورة الوقوف على الظروف التي أسهمت في تشكل صورة البطل الإشكالي في أدبنا العربي وهذا يستدعي تضافر الجهود النقدية والدراسات البينية؛ لاستخلاص أهم الأمور التي أسهمت في تشكيلها للوصول إلى رؤية واقعية توضح حالة التأزم، والحيرة، والغربة التي يعيشها هؤلاء الأبطال داخل مجتمعهم.

أولاً: المصادر:

١. الفرج بعد الشدة، القاضي أبو علي التَّنُوخي، تحقيق: عبود الشَّالجي، دار صادر بيروت، ١٩٧٨م.
٢. نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، القاضي أبو علي التَّنُوخي، تحقيق: عبود الشَّالجي، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

ثانياً: المراجع:

١. اتجاهات الكتابة التاريخية في العراق في القرن الرابع الهجري، القاضي التَّنُوخي نموذجاً، د. محمد القدحات دار ورد، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
٢. الإعلام بوفيات الأعلام، الإمام محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مصطفى عوض مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
٣. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م.
٤. الإنباء في تاريخ الخلفاء، محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٥. الأنساب، عبد الكريم السمعاني المروزي، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.
٦. البداية في النص الروائي، صدوق نور الدين، دار الحوار، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
٧. البطل الإشكالي في الرواية العربية المعاصرة، محمد عزام، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
٨. البطل الإشكالي في مسرودات أحمد خلف، أحمد عواد الخزاعي، نظرة بنيوية تكوينية في ستة نصوص روائية دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.
٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الإمام الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
١٠. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أبو بكر الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، بيروت.
١١. تجارب الأمم، أحمد بن محمد بن مسكويه، تحقيق: سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
١٢. ترتيب الأعلام على الأعوام، خير الدين الزركلي، رتبه وعلَّق عليه: زهير ظاظا، دار الأرقم، دمشق ١٩٩٠م.
١٣. الخطاب الروائي، ميخائيل باختين، ترجمة: محمد برادة، دار رؤية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

١٤. سميولوجية الشخصيات الروائية، فيليب هامون، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
١٥. سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة عشر، ٢٠٠٤م.
١٦. شعرية المكان في الرواية الجديدة، خالد حسين حسين، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، د.ت.
١٧. العبر في خبر من غير، شمس الدين الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية بيروت.
١٨. الفرج بعد الشدة للقاضي أبي علي التَّنُوخي، انتقاء وترتيب ودراسة: د. محمد حسن عبد الله، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
١٩. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع القاهرة مصر، ١٩٩٨م.
٢٠. قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ١٩٩٧م.
٢١. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م.
٢٢. قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، سمير سعيد حجازي، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
٢٣. الكامل في التاريخ، أبو الحسن بن الأثير، تحقيق: أبو الفداء القاضي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٢٤. لبُّ الباب في تحريم الأنساب، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد عبدالعزيز، دار الكتب العلمية بيروت.
٢٥. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر بيروت الطبعة الثالثة.
٢٦. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين ابن الجوزي، تحقيق وتعليق: محمد بركات، كامل محمد الخراط وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
٢٧. المستجد من فعاليات الأجواد، القاضي أبو علي التَّنُوخي، تحقيق: عبود الشَّالجي، دار صادر بيروت ١٩٩٢م.
٢٨. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: إحساس عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
٢٩. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، ١٣٩٧م.
٣٠. معجم السرديات، د. محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
٣١. معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، د. إبراهيم حمادة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٨٥م.
٣٢. معجم النقد الأدبي، ترجمة وتحرير: كامل عويد العامري، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، الطبعة الأولى ٢٠١٣م.
٣٣. معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٣٤. مقدمات في سوسيولوجية الرواية، لوسيان جولدمان، ترجمة: بدر الدين عرودي، دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
٣٥. مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٤م.
٣٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
٣٧. موسوعة السرد العربي، عبد الله إبراهيم، قنديل للطباعة والنشر والتوزيع، دبي الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
٣٨. النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، قَمَّ له: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
٣٩. نظر في نظر في القصص، مداخل إلى سرديات استدلالية، محمد بن محمد الخبو، دار نهي للطباعة والنشر تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
٤٠. نظرية الرواية، جورج لوكاتش، ترجمة: الحسين سحبان، منشورات التل، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
٤١. نقابة الأدب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس القلقشندي، مطبعة النهضة، مصر، ١٩٨٥م.
٤٢. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
٤٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس دار صادر بيروت.

٤٤. يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

١. البطل الإشكالي في رواية (أسامينا) للكاتبة هدى حمد، مقارنة في سيميائية الشخصية، سهير الأخضرى لينة نعرات، نجلاء بلقيس، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، كلية الآداب واللغات الجزائر، ٢٠٢٣م.

٢. البطل الإشكالي في مقامات الهمداني، رفيدة محجوبي، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر، ٢٠١٩م.

٣. الخبر العجائبي في مصنفات التّنوخي، أسماء المبارك، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠٢١م.

٤. المرأة في أدب التّنوخي، دراسة في الرؤية والتشكيل، أحمد عبد الكريم

الملقي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م

رابعاً: المجلات والدوريات:

١. تظاهرات البطل الإشكالي في القصة القصيرة الجزائرية، حاج علي ليلي، مجلة فصل الخطاب، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، المجلد ١١، العدد ٢، ٢٠٢٢م.

٢. سرديات الأمل: دراسة في أخبار الفرج بعد الشدة للتّنوخي، رشا جليس، المركز: مجلة الدراسات العربية مركز أبو ظبي للغة العربية، المجلد ٢، العدد ١، ٢٠٢٣م.

٣. الشخصية الإشكالية من منظور السلطة والخضوع في رواية حائط المبكي،
لعز الدين جلاوي عبدالعزيز نصراوي، مجلة الموروث، جامعة عبد الحميد
بن باديس مستغانم، كلية الأدب العربي والفنون، الجزائر، المجلد ٩، العدد
١، ٢٠٢١م.
٤. مدخل إلى مشكلات سوسيولوجية الرواية، لوسيان جولدمان، ترجمة: بدر
الدين عروودكي، المجلد ١٩ العدد ٢١٧، ١٩٨٠م.
٥. معضلة البطل الإشكالي في رواية (الأفعى والبحر) عبد الرحمن بو علي،
جامعة الشارقة، حوليات جامعة قلمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية،
العدد ٢٧، ٢٠١٩م.
٦. مقدمات في نظرية الرواية: لوكاش، جولدمان، باختين، المركز الجامعي
الونشريسي بنسمسيلت، مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، فايد
محمد، العدد ١، ٢٠١٧م.
٧. مقدمة إلى مشكلات علم اجتماع الرواية: جولدمان، ترجمة: خيرى دومة،
مجلة الفصول القاهرية المجلد ١٢، العدد ٢٢، ١٩٩٣م.
٨. ملامح البطل الإشكالي في الرواية النسائية السعودية المعاصرة، الرقص على
أسنة الرماح أتمودجاً مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية، إبراهيم بن
خلوفا المرحبي، المجلد ٩، العدد ٢، ٢٠٢٢م.
٩. نظرات في نشوار المحاضرة، إبراهيم السامرائي، مجلة المجمع العلمي العراقي،
بغداد، المجلد ٣١، الجزء ٤، ١٩٨٠م.

First: Sources

Al Faraj Baad Elsheda, Judge Abu Ali Al Tanukhi, edited by: Aboud Al-Shalaji, Dar Sader Beirut, 1978.

Neshwara Al mohadra wa akhbar al Mozakira, Judge Abu Ali Al-Tanukhi, edited by: Aboud Al-Shalaji, Dar Sader Beirut, second edition, 1995.

Second: References:

Itijahat al kitaba attarikhiya in Iraq in the fourth Hijri centur, Al-Qadi Al-Tanukhi as an example, Dr. Mohammad Al-Qadhat, Dar Ward, Jordan, first edition, 2008.

Ilam biwafiyat Al A'lam, Imam Mohammad bin Othman Al-Dhahabi, investigated by: Mustafa Awad, Cultural Books Foundation, first edition, 1993.

Al A'lam, Khair Al Din Al-Zirkali, Dar Al-Ilm Lil-Malaya'in, Beirut, fifteenth edition, 2002.

Al-Anbaa fi Tarikh Al-Khalifa, Mohammad bin Ali bin Muhammad, known as Ibn Al-Omrani, edited by: Qasim Al-Samarrai, Dar AlAfaq Al-Arabiyya, Cairo, first edition, 2001.

Al ansaab, Abdul Karim Al-Samani Al Maruzi, edited by: Abdul Rahman Al-Muallami, Council of the Ottoman Encyclopedia, Hyderabad, first edition, 1962.

Bidaya in nas arrewai, Saduq Nour al-Din, Dar al-Hiwar, Syria, first edition, 1994.

Batal ishkaly in rewaya arabiah al mosarah, Mohammad Azzam, Al-Ahali Publishing and Distribution, Damascus, first edition 1992.

Batal ishkaly in masrodat Ahmed Khalaf, Ahmed Awad Al-Khuza'i, a structural, compositional view in six novel texts, Al-Warsha Al-Thaqafiyya House for Printing, Publishing and Distribution, Baghdad, first edition, 2020.

Tarikh Islam wwafiyat al mashaheer an al-Alam, Imam Al-Dhahabi, edited by: Dr. Bashar Awad Marouf, Dar Al-Gharb Al-Islami, first edition, 2003.

Tareekh Baghdad, Al-Khatib Al-Baghdadi, Abu Bakr Al-Khatib Al-Baghdadi, study and investigation: Mustafa Abdul Qadir Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut.

- Tagarub Al Ommam, Ahmed bin Muhammad bin Miskawayh, edited by: Sayyed Hassan, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 2003.
12. Tarteeb Al-Alam ala Al awaam, Khair al-Din al-Zirakli, arranged and commented on by: Zuhair Zaza, Dar Al-Arqam, Damascus 1990.
13. Al Khitab Arrewai, Mekhail Bakhteen, translated by: Mohammad Barada, Dar Roya, first edition, 2009.
14. Simiologiat ashakhsiyyat arrewaiayah, Philip Hamon, translated by: Saeed Benkarad, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, first edition, 2013.
15. Seer Alaam al noblaa, Imam Al-Dhahabi, edited by: Mustafa Abdul Qadir Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, thirteenth edition, 2004.
16. Shireyat al makkan, Khaled Hussein Hussein, Al-Yamama Press Foundation, Riyadh, D.T.
17. Ebar in khabar man ghabar, Shams al-Din al-Dhahabi, edited by: Abu Hajar Muhammad al-Saeed Zaghloul, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.
18. Faraj bad ashiddah, by Judge Abu Ali al-Tanukhi, selection, arrangement and study: Dr. Muhammad Hassan Abdullah, Wahba Library, Cairo, second edition, 2009.
19. Forooq laghawyah, Abu Hilal Al-Askari, edited by: Mohammad Ibrahim Salim, Dar Al-Ilm and Al-Thaqafah for Publishing and Distribution, Cairo, Egypt, 1998.
20. Qal Al-Rawi, Binyaat Hikayah in seera shabiya, Saeed Yaqtin, Arab Cultural Center, Casablanca, 1997.
21. Al-Qamoos Al-Muhit, Muhammad bin Yaqoub Al-Fayrouzabadi, edited by: Muhammad Naeem Al-Arqsusi, Al-Resala Foundation, eighth edition, 2005.
22. Qamoos Al Mostaalhatt nakd arabi moasser, Samir Saeed Hegazy, Dar Al-Afaq Al-Arabiyya, first edition 2001.
23. Al-Kamil fi al-Tarikh, Abu al-Hasan ibn al-Atheer, edited by: Abu al-Fida al-Qadi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, first edition, 1987.
24. Lub al-Lubab fi Prohibition of Lineage, Jalal al-Din al-Suyuti, edited by: Muhammad Abdel Aziz, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.
25. Lisan al-Arab, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari, Dar Sader Beirut, third edition.

26. Mirat azzaman fi tawareekh al ayyan, Shams al-Din Ibn al-Jawzi, edited and commented by: Muhammad Barakat, Kamel Muhammad al-Kharrat and others, Dar Al-Resala International, Damascus, Syria, first edition, 2013.
27. Al-Mustagad mn filaat al ajwaad, Judge Abu Ali Al-Tanukhi, edited by: Aboud Al-Shalaji, Dar Sader, Beirut, 1992.
28. Mu'jam alodabaa, Yaqout Hamwi, edited by: Ehsas Abbas, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, first edition, 1993.
29. Mu'jam al-Buldan, Yaqut al-Hamawi, Dar Sader, 1397.
30. Mu'jam Sardyyatt, Dr. Muhammad Al-Qadi and others, Muhammad Ali Publishing House, Tunisia, first edition 2010.
31. Mu'jam mostalahat daramia wam masrahiya, Dr. Ibrahim Hamada, Dar Al-Maaref, Cairo, Egypt, 1985.
32. Mu'jam Nagd Al Arabi , translated and edited by: Kamel Awaid Al-Amiri, Dar Al-Ma'moun for Translation and Publishing, Baghdad, first edition, 2013.
33. Mu'jam Mostalahat Nagd Arriwayaha, Dr. Latif Zitouni, Lebanon Library, Publishers, Beirut, first edition 2002.
34. Moqdimat fi solsiologiyat alrrewayah, Lucian Goldman, translated by: Badr al-Din Aroudaki, Dar al-Hiwar for Publishing and Distribution, Syria, first edition, 1993.
35. Manahej taleef end Olamaa Al Arab, Mustafa Al-Shakaa, Dar Al-Ilm Lil-Malayan, Beirut, fifteenth edition, 2004.
36. Al-Muntazim fi Tarikh al-Muluk wa'l-Numm, Abu al-Faraj bin al-Jawzi, edited by: Muhammad Abd al-Qadir Atta, Mustafa Abd al-Qadir Atta, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1992.
37. Mawsooat Saard Al Arabi, Abdullah Ibrahim, Qandil Printing, Publishing and Distribution, Dubai, first edition 2016.
38. A Nojoom Azzahirah Fe Akhbar Misr Wa Kahira, Ibn Taghri Bardi, published by: Muhammad Hussein Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1992.
39. Nazar Fe Nazar Al Kissas, Madakheil ela Sardiyat Istalidlaliya, Mohammed bin Muhammad al-Khabu, Noha Printing and Publishing House, Tunisia, first edition, 2012.
40. Nazraiyyat Arrewayah, Georg Lukács, translated by: Al-Hussein Sahban, Al-Tall Publications, Rabat, Morocco, first edition 1988.
41. Nikabat Adab Fe Marifat Ansaab Al Arab, Abu Al-Abbas Al-Qalqashandi, Al-Nahda Press, Egypt, 1985.

42. Al-Wafi bi al-Wafiyat, Salah al-Din al-Safadi, Dar Ihya' al-Arab Heritage, Beirut, 2000.

43. Wafiyat Al; Ayyan wa Anbaa Abnaa Azzaman, Abu Abbas Shams al-Din Ibn Khalkan, edited by: Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut.

44. Yateemat Addahar fe Mahasin Ahl Al-Asr, Abu Mansour Al-Thaalabi, edited by: Dr. Mufid Qamiha, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, first edition, 1983.

Third: University Theses:

1. Albattal Alishkaly fe Rewayat (Asamena) by the author Hoda Hamad, an approach to the semiotics of personality, Suhair Al-Akhdari, Lina Naarat, Najla Belqis, Master's thesis, Martyr Hama Lakhdar University in El Oued, Faculty of Arts and Languages, Algeria, 2023.

2. Albattal Alishkaly Fe Maqamat al-Hamdhani, Rafidah Mahjoubi, Master's Thesis, Kasdi Merbah University, Ouargla, Algeria, 2019.

3. Al Khabar Al Ejjay Fe Mosanafat al Tounkhi, Asma Al-Mubarak, PhD thesis, College of Arabic Language, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Riyadh, 2021.

4. Maraa in Adab Al Tanukhi, A Study in Vision and Formation, Ahmed Abdel Karim Al-Mulqi, Master's Thesis, Faculty of Graduate Studies, University of Jordan, 2005.

Fourth: Magazines and Newspapers:

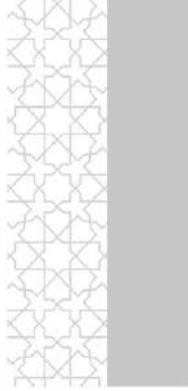
1. Tamazhoraat Al Batal Al Ishkally Fe Kisa Al Qasirat Al Jazaeriyah, Haj Ali Laila, Fasl al-Khattab magazine, Ahmed Ben Bella University, Oran, Algeria, Volume 11, Issue 2, 2022.

2. Sardiyyat Al Amal: A Study of News of Relief After Distress by Al-Tanukhi, Rasha Jalees, Abu Dhabi Arabic Language Centre, Version 2, Journal of Arab Studies, Volume, Version, 2023.

3. Ashakhsiyaa Al Ishakaliya men Manzoor Al Sultah wa Khadoo fe rewayat Haiet Mabki, by Izz al-Din Jalawji Abdelaziz Nasraoui, Al-Mawruth Magazine, Abdelhamid Ibn Badis University of Mostaganem, Faculty of Arab Literature and Arts, Algeria, Volume 9, Issue 1, 2021.

4. Madkhal ela moshkilat sosliohiyat arwayah, Lucian Goldman, translated by: Badr al-Din Aroudaki, Volume 19, Issue 217, 1980.

5. Modilat Al Batal Al Ishkally fe Rewayyat (al afaa wa baher) by Abdul Rahman Bu Ali, University of Sharjah, Annals of Guelma University of Social Sciences and Humanities, Issue 27, 2019.
6. Mogaqimat fe Nazriyat Al Rewayyah: Lukacs, Goldman, Bakhtin, Al-Wancharisi Bensemsilt University Center, Laboratory of Contemporary Critical and Literary Studies, Fayed Muhammad, Version 1, 2017.
7. Moqadima ela moshkilat elm ijtimaa arriwayah: Goldman, translated by: Khairy Douma, Al-Fusoul Al-Qahiriyah Magazine, Volume 12, Issue 22, 1993.
8. Malameh Al Batal Ishkally fe Rewayyah Al Nissayah Assudia Al Moasirah , Arrags ala Asinah Arrimah, as an example, King Khalid University Journal for the Humanities, Ibrahim bin Khalifa Al-Rahbi, Volume 9, Issue 2, 2022.
9. Nazraat Fe Neshawar Al Mohadirat, Ibrahim Al-Samarrai, Journal of the Iraqi Scientific Academy, Baghdad, Volume 31, Part 4, 1980.



Chief Administrator

Prof. Ahmad Ibn Salem AL-Ameri

His High Excellency, President of the University



Deputy Chief Administrator

Dr. Naif Ibn Mohammed Al-Otaibi

Vice Rector for Graduate Studies and Scientific Research



Editor –in- Chief

Prof. Khalid suliman algossy

Professor in the Department of Applied Linguistics - Imam
Mohammad Ibn Saud Islamic University



Managing Editor

Prof. Mohammed Saeed Ibraheem Allowaimi

Associate Professor, Department of Literature, Rhetoric and
Criticism - College of Arabic Language





Editorial board members

■ **Prof. Saad Ibn Abd ul Aziz Maslouh**

Professor in the Department of Linguistics - Kuwait University

■ **Prof. Mohammad Ibn Ibrahim Al-Qadi**

Professor at the Department of Arabic Linguistics - Tunis University

■ **Prof. Mohammed N. Al-Anazi**

Professor in the Department of Applied Linguistics - Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

■ **Prof. Abdulaziz Saleh Abdullah Ibn Deailij**

Professor in the Department of Literature, Rhetoric and Criticism - College of Arabic Language - Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

■ **Prof. Taher Abdel-Hay Shabaneh**

Professor in the Department of Syntax and Morphology - Kafrelsheikh University

■ **Prof. khaled mohammed s aljumah**

Professor in the Department of Syntax and Morphology - Kafrelsheikh University

■ **Editorial-secretary**

Dr. Abdul Rahman Ibn Ibrahim Al-jerid

Editor-in-Chief, Journal of Arabic Sciences



Criteria of Publishing

The Arab Science Journal is a refereed scientific journal; issued by the Deanship of Scientific Research, Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University. It publishes scientific research according to the following regulations:

I. Acceptance Criteria:

1. Originality, innovation, academic rigor, research methodology and logical orientation.
2. Complying with the established research approaches, tools and methodologies in the respective disciplines.
3. Accurate documentation.
4. Language accuracy.
5. Previously published submissions are not allowed.
6. Submissions must not be extracted from a paper, a thesis/dissertation, or a book by the author or anyone else.

II. Submission Guidelines:

1. The author should write a letter showing his interest to publish the work, coupled with a short CV and a confirmation that the author owns the intellectual property of the work entirely and that he will not publish the work without a written agreement from the editorial board.

2. Submissions must not exceed 50 pages (A4).

3. Submissions are typed in Traditional Arabic, in 17-font size for the main text, and 14-font size for footnotes, with single line spacing.

4. The researcher sends his research to the electronic journal's platform (<https://imamjournals.org>) with a summary in Arabic and English, not exceeding two hundred words.

III. Documentation:

1. Footnotes should be placed in the footer area of each page respectively..
2. Sources and references must be listed at the end.
3. Sample images of the verified/edited manuscript should be inserted in their respective areas.
- 4 - Clear pictures and graphs that are related to the research should be included in appendices.

IV. In case the author is dead, the date of his death, in Hijri calendar, is used after his name in the main body of the research.

V. Foreign names of authors are transliterated in Arabic script followed by Latin characters between brackets. Full names are used for the first time the name is cited in the paper.

VI: Submitted research papers for publication in the journal are refereed by two referees, at least.

VII. Rejected research papers will not be returned to their authors.

Address of the Journal:

All correspondence should be sent to the editor of the Journal of Arabic Studies:

Riyadh,11432 P.O. Box 5701

Tel: 2582051 - Fax 2590261

[www. imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

E.mail: arabicjournal@imamu.edu.sa